المسألة المصرية والوفد



سعد زغلول باشا

محمود أبو الفتح



عدلي يكن باشا

المسألة المصرية والوفد

بقلم

محمود أبو الفتح

الى المجاهدين بالامس . والى أبناء الغد أقدم هذا الكتاب

محمود أبو الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

أصدرت فى أواخر الشتاء الماضي كتاب «مع الوفد المصرى» ولكن الظروف قضت فى ذلك الحين بان أغفل ذكر أشياء كثيرة لان القضية المصرية لم تكن قد وصلت بعد الى ماوصلت اليه الآن

وقد زال أكثر الظروف المشار اليها فرأيت ان أصدر هذا الكتاب متضمنا مالم يتيسر لى نشره قبلا . وقد أضفت اليه معلومات كثيرة وبيانات حصلت عليها فيما بعد إذ سافرت الى أوروبا خصيصا لجمعها وقد قضيت أكثر من ستة شهور في الحصول على تفاصيل هامة لم يسبق نشرها من الاستانة وسويسرا وفرنسا وايطاليا وانكلترا وكل رجائى ان يجيء بالغاية التى أردتها منه فيكون مسجلا لتاريخ الحركة المصرية فى أوروبا فى السنوات الاخيرة وقد توخيت فيه الدقة ، وفقنا الله لما فيه الخير أنه سميع مجيب الدعاء

م . ا . ف



بعد الهدنة

كيف تحركت المسألة المصرية فى فرنسا

كانت فرنسا قبل الحرب مركز الجهود التى كان يبذلها فى الخارج الوطنيون المصريون وفى طليعتهم المغفور له المرحوم مصطفى كامل باشا . وكانت مقر كل حركة يقومون بها لنشر الدعوة أو على الاقل أكبر معقل للمطالبين بحقوق مصر الباسطين قضيتها فى الخارج

وكانت الغيوم متكاثفة فى جو السياسة الاوروبية لاسيما فرنسا حيث تتصادم مصالح عديدة لها بمصالح انكلترا وحيث كانت الكراهية القديمة لاتزال باقية يذكيها غير ذكرى الماضى مايقع كل يوم ويزيد الفرنسويين نفوراً من الانجلوساكسون

ثم ان الدوائر السياسية الفرنسوية كانت تقف موقف الحياد أو تتجاوزه ارضاء لانكلترا حتى انها حالت دون عقد المؤتمر المصرى بباريس فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ (وقد عقد ببروكسل فى ٢٢ و٢٣ و٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٠) ولكن هذا لم يمنع الدوائر غير الرسمية من العطف على قضية مصر وتأييدها

هكذا كان مركز الحركة الوطنية المصرية فى فرنسا حتى نشبت الحرب ووجدت فرنسا الخطر الالمانى يهددها ثم وجدت انكلترا

تدخل الحرب فى صفها فجاءت فترة سكوت ونزل ستار كثيف على جميع المسائل التى كانت تثير العواصف قبل الحرب

وليس فيما أرمى اليه تقدير جهود انكلترا في الحرب الى جانب فرنسا. ولا تناول أسباب دخولها ولا كيف كان ذلك. ولا الاطوار التى مرت بها السياسة البريطانية أثناء الحرب فان هذه أمور لا يتناولها الكتاب الحالى. وانما يكفى ان أقول ان انكلترا بمجرد دخول الحرب أصبحت حليفة فرنسا فكل كلمة يكون فيها مساس أو شبه مساس بها جريمة أقل ماينال قائلها الاعتقال السيء ان لم تكن المحاكمة امام المجالس العسكرية بدعوى نشر أفكار أو مبادىء من شأنها تكدير صفاء التحالف والمساعدة على انهزام الجيوش الفرنسوية.

وكانت رقابة المطبوعات فى فرنسا تحول دون نشر أى شيء يمكن ان لا يروق السلطات البريطانية بل كانت الرقابة أحيانا تتغالى فى ذلك الى حد غير معقول

وأكثر من هذا ان المصريين الذين كانوا فى فرنسا أثناء الحرب كانوا موضوع المراقبة والتضييق

وكان هذا التضييق نفسه يتناول المصريين حتى فى البلاد المحايدة مثل سويسرا وغيرها . إذ منعت النقود عن كل من كان يظن انه وطنى أو يساعد الحركة الوطنية .

***

وجاءت الهدنة اخيراً فحررت النفوس من رق السكوت المفروض نحو خمس سنوات . وبدأ أثر الحرب يظهر فى كل مكان بين الاحزاب والجماعات كالامم والشعوب ومن ذلك انقسام الافكار فى هيئتين كبيرتين : «حزب حقوق الانسان» و «الحزب الاشتراكي الفرنسوى»

أما انقسام الافكار في الحزب الاشتراكي فلا يهم القارىء بيانه إذا لاصلة له بموضوع بحثنا ويكفى ان نذكر ان المبادىء الاشتراكية المتطرفة أخذت تنمو فى نهاية الحرب وأخذ عدد المتطرفين فى الحزب يزداد وينمو بخلاف المعتدلين الذين كانوا يتضاءلون ويتناقصون

وحدث مثل هذا فى «حزب حقوق الانسان» إذ تألفت أقلية من رأيها ان يتوسع الحزب فى أعماله فلا يقصرها على الدفاع عن حقوق «الانسان» فقط بل يضيف الى شعاره «الدفاع عن حقوق الشعوب والجنسيات». لاسيما ان الحرب انجلت عن شعوب كثيرة مستعبدة تجاهد للوصول الى برّ الحرية والتخلص من قيود الاقوياء الفائزين

وكان ممن اقتنعوا بهذه الفكرة الاستاذ «لوسيان باركيسو» المحامى ورئيس شعبة الحزب فى الحى الخامس التى كان ينتمي اليها مصريان ممن يدرسون فى أوروبا هما عبده أفندى جوده وخليفه أفندى

بوبلى وحدث ان عرفهما فوعدهما بعضده فى مساعيهما وكانت فاتحة ذلك ان سمعت شعبة اليسار (المتطرفون) فى حزب حقوق الانسان بيانا بسطه الثاني امامها عن المسألة المصرية وكان ذلك قبل مؤتمر الحزب السنوى فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩١٨ .

كان رئيس الاجتماع الاستاذ «أوسكار بلوش» على أنه رغم ذكائه وتطرفه فى المبادىء الحرة كان يؤيد نظرية انكليزية النزعة فزعم ان الفوارق الدينية فى مصر تثير نار التعصب الدائمة المناقضة للسلام والمدنية .

ولم تكن الاضطرابات قد بدأت فى مصر ولم تكن الجالية المصرية فى باريس قد تلقت أخبار النهضة المباركة الموفقة القائمة على أساس الاتحاد بين أبناء النيل من مسلمين وأقباط واسرائيليين ومع هذا تيسر للشابين ان ينقضا تلك النظرية لاسيما ان أحدهما اسرائيلى وهكذا تقرر فى نهاية الاجتماع اعلان العطف على القضية المصرية ومطالبة فريق اليسار بالاهتمام بها حتى ينال المصريون حقهم

وكان الاستاذ باركيسو قد انتدب لحضور مؤتمر الحزب العام الذى سيعقد فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩١٨ فرضى بان يؤيد مطالب المصريين امامه وقد قيدت فعلا فى برنامج جدول أعمال المؤتمر فى باب : مبدأ الجنسية

وقد قام بذلك فعلا فى الساعة الثانية من بعد ظهر ٢٧ ديسمبر ارتقى الاستاذ باركيسو منبر الخطابة في الصالة الكبرى من قصر الجمعيات العلمية وبسط قضية مصر امام سبعمائة مندوب حضروا المؤتمر

ومما يذكر من خطابه الطويل خاتمته فقد قال :

«يحدثونكم عن الجنسيات المحكومة بالغير. التي لا يفكر أحد فى انقاذها وتحريرها . وقد حدثوكم عن ايرلندا ... نعم اننا نفكر فى إيرلندا كثيراً لانها جارتنا ولكن اسمحوا لى ان أقول ان من تقاليد الحزب طرح مسألة استعمارية على بساط بحثه في مؤتمره السنوى وهكذا اخترت مصر لان العالم فسيح والايرلنديون كثيرون فى جميع ارجائه . اني انقل اليكم امنية المصريين اللذين ينتميان لشعبتي

« ان مصر متشبعة بالمدنية الفرنسوية منذ مائة عام ولكن انكلترا تذرعت باتفاق سنة ٩٠٤ وانتهزت فرصة الحرب - إذلم يكن لدى أحد فى بريطانيا ولا فى فرنسا متسع من الوقت للكلام - وأغفلت تصريحات ساستها الرسمية سواء فى ذلك ما صرح به تشامبرلن أوغلادستون وبالفور وغيرهم من رؤساء الوزارات التى تعاقبت منذ سنة ١٨٨٢ أو وزراء خارجيتها

انتهزت انكلترا الفرصة فبسطت حمايتها على مصر في شهر

ديسمبر سنة ١٩١٤ ولكن المصريين يطلبون ان يكونوا أحرارا ولهم ذلك الحق

انهم لا يريدون ان يكونوا تابعين لاحد وقد جاءوا يطالبونكم على لساني بتسجيل مطلبهم هذا وتأييده (١) » (تصفيق حاد)

هكذا ابتدأت المسألة المصرية تتحرك من جديد في فرنسا . ويفسر ماتقدم سبب اهتمام حزب حقوق الانسان بها فيما بعد اذ عرضها عليه الوفد المصرى مما سيرد ذكره

---

(١) مستخرجة من السجل الرسمى لمؤتمر حزب حقوق الانسان سنة ١٩١٨



عبد العزيز بك فهمى



وداع الوفد ببورسعيد حول تمثال دلسبس

منشأ الجمعية المصرية

كيف تألفت وكيف اشتغلت

لقد بسطت في الجزء السابق من كتابي عن الحركة المصرية شيئا مما فعلته الجمعية المصرية بباريس غير انى فاتني ان أذكر كيف ألفت وإذا عدت الى استدراك ذلك هنا فانما بغية تسجيل تاريخ هيئة أدت للقضية المصرية خدمات جليلة

ولدت الجمعية المتقدمة بعد وصول ولسن الى باريس بايام قلائل وكان بدء ظهور الفكرة بين شابين فى قهوة « سورس » الواقعة على شارع « سان ميشيل » إذ اقترح عبده أفندي جوده على خليفه أفندى بوبلى ان يرسلا خطابا الى الرئيس ولسن يبسطان فيه أمانى المصريين مادام لا ينتظر ان يكون في المؤتمر مندوب عن مصر وفعلا أعدا خطابا وقعاه في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٨

وأخذا يبحثان عن شخص كبير المقام يرفع خطابهما للمستر ولسن فقدمهما الاستاذ باركيسو للنائب الاشترا كي موتيـه الذى دعاهما لمقابلته في مجلس النواب حيث قضى معهما نحو ساعة ونصف ساعة يناقشهما في مركز مصر السياسي والاقتصادى حتى اقتنع بعدالة مطالب المصريين فقبل ان يحادث الكولونل هاوس فى الامر وان يرفع خطابهما الى الدكتور ولسن

وقد شجع هذا النجاح الاوّلي جوده وبوبلي فكاشفا بعض مواطنيهما بذلك وهكذا رضى الافندية صبري الخولي ومحمد سعيد والدكتور والي وطراف وعباس وهبي والدكتور شافعي أن يوقعوا الخطاب معهم

وجرى البحث بين هؤلاء جميعا على الاثر فيما اذا كان يصح أن يعقبوا عملهم المتقدم بغيره فتقرر أن يؤلفوا من أنفسهم جمعية مصرية تسعى للحصول على استقلال مصر

على أن أثر الحرب كان لا يزال باقيا فلم يجدوا من الموافق بدأ حركة النشر «البروباجندا» بمناوأة انكلترا مباشرة بل جعلوا الغاية من حملتهم الاولى تفهيم الدوائر السياسية الفرنسوية وغيرها مسألة تغيير المحاكم المختلطة واستئصال اللغة الفرنسوية من مصر

وقد كتبت عدة مقالات ومذكرات عن ذلك نشرت في صحف مختلفة بتوقيع « الجمعية المصرية بباريس » وبين تلك الصحف « البوبولير » و « لير » و « الاومانيتيه» و « الدبيش دوتولوز » « واللانترن » و « والرابل » و « الليبرارول » وغيرها

وبدأت مجلة « لوروب نوفل » حملة كانت فاتحتها مسألة ابطال اللغة الفرنسوية في مصر

***

وأدبت الجمعية ست ولائم في أوقات مختلفة من شهر ديسمبر

الى شهر مارس في « تافرن دوبارى » ببولفار كليشي حضرها كثيرون من الساسة والنواب . وكانت الصحف تنشر موجز الخطابات التي تلقى . ومما يذكر ان الصحف الكبرى مثل الفيغارو والديبا أخذت تبدى اهتماما بحركة المصريين وكذلك الشركات التلغرافية المختلفة مثل راديو

* * *

وحدث ان أرسلت الجمعية خطابا للرئيس ولسن نشرته جريدة « لير » L'Heure ووصلت بعض اعداد الجريدة الى مصر فعرف أعضاء الوفد المصرى من ذلك ان بباريس جمعية تدافع عن القضية المصرية . وفي ذات ليلة ذهب مصريان أحدهما اسمه أباظه الى قهوة « سوزس » - المعروفة بانها مجمع الطلاب المصريين - وسألا عن عنوان المصريين . وكانوا هناك فتعارفوا وافهم القادمان الحاضرين انهما يحملان لهم من قبل صاحب المعالى رئيس الوفد ملفين كبيرين ثم سردا على الطلبة حوادث مصر فدهشوا واغتبطوا وشجعهم ذلك على مضاعفة جهودهم

ولكن ضعف مالية الجمعية لم يمكنها من نشر الاوراق النشر الكافي فاضطرت الى طبع مائة نسخة منها على الآلة الكاتبة ووزعتها على الصحف وبعض الزعماء السياسيين وهكذا رفعت الصوت بقدر ما سمحت لها به حالتها

وأخذت الجمعية تسعى لطبع ثلاث كراسات وصلت اليها من الوفد مع الملفين وهي :

١) مطالب المصريين

٢) سياسة انكلترا القطنية فى مصر

٣) بيان عن المسالة المصرية

وكانت الجمعية فقيرة كما ذكرت فاخذوا في جمع اكتتابات من بينهم وبذا تيسر لهم العمل فطبعوا الكراسة الاولى ولتحاشى عرضها على الرقابة التى كانت لا تسمح مطلقا بنشرها طبعوها وكتبوا فى صدرها أنها خاصة ولا يجوز عرضها للبيع أو التوزيع علنا وأرسلوها لمؤتمر الصلح ووصل صدى ذلك الى الصحف فنشرت « الطان » الخبر فى الصحيفة الاولى ونشرته التيمس أيضا

وكان أعضاء الجمعية يترددون على المجتمعات المختلفة والمحافل الماسونية لبسط الدعوة الى استقلال مصر . وبين المحافل محافل العلم والضمير ومحفل أورشليم الايقوسي ومحفل الجمهورية وبعض أعضائه أعضاء في مجلس الشيوخ ومجلس النواب والمحفل المختلط للحق البشرى . وكذلك فيالاجتماعات الاشتراكية المختلفة

ولما أخذت أخبار حوادث مصر تصل الى باريس صارت الجمعية تنشر الاحتجاجات تلو بعضها . وكانت بعض شركات النقل مثل شركتي « راديو » و « بارى تلجرام » تنشر بلاغاتها



اسماعيل صدقي باشا

ولما اعتقل رئيس الوفد ومن اعتقلوا معه من الاعضاء نشرت الجمعية احتجاجاً أرسلته بالبرق الى جميع رؤساء الاحزاب والجمعيات السياسية ورؤساء الوزارات السابقة ومؤتمر الصلح وللساسة فى البلاد الاخرى المتحالفة

وفى مساء اليوم نفسه كان النائب مارسل كاشان زعيم الحزب الاشتراكي ورئيس تحرير جريدة «الاومانتيه» يلقي محاضرة في صالة قصر الجمعيات العلمية على الطلبة الاشتراكيين . وفي نهاية محاضرته ذكر مصر ثم انتقل بعد ذلك الى مقر الجمعية المصرية الواقع في البناء نفسه فاعرب لاعضائها الحاضرين عن عطفه على القضية المصرية واستعداده لمساعدتها بكل مافي وسعه . ثم طلب منهم ان ينتدبوا أحدهم ليبسط للطلبة الاشتراكيين أصل المسألة المصرية ويفهمهم مايغيب عنهم من تفاصيلها

وفعلا ندبت الجمعية في الحال ثلاثة من أعضائها شرح أحدهم للطلبة المشار اليهم تاريخ المسألة المصرية وتطوراتها والمركز الذي وضع الانكليز فيه البلاد منذ الحرب ثم أظهر حق مصر في الاستقلال وقد تأثر السامعون بما ألقي عليهم فصاحوا «لتحي مصر» وانصرفوا وهم ينشدون نشيد العمال الدولى (الانترناسيونال)

وطلب المسيو كاشان فى الوقت نفسه من الجمعية ان ترسل له عضوين أو ثلاثة أعضاء يقدمهم لبعض رجال وفد الصلح الامريكى

المقربين من الرئيس ولسن والكولونل هاوس. فعهدت الجمعية بتلك المهمة للدكتور شافعي أفندي وعبده جوده أفندي وعباس وهبي أفندى وخليفه بوبلى أفندى . وكان هذا بدأ الجهود المصرية في الدوائر السياسية الامريكيه وهي الجهود التي تزايدت أهميتها فيما بعد

وسعى أعضاء الجمعية المصرية في توثيق صلتهم بالامريكيين وكان يفد عليهم كل يوم ضابطان أو ثلاثة من الضباط الامريكيين الملحقين بوفد الصلح لالتقاط المعلومات والاخبار وأخذ بيانات عن القضية المصرية

وفي ذلك الوقت كان فريق اليسار في حزب حقوق الانسان يفكر في تأليف حزب مستقل يسمى حزب حقوق الانسانية ويعمل على حماية مبدأ حق الشعوب وتأييد مطالب الامم المستعبدة ومساعدتها

وكان أكبر عامل في الحزب الجديد ومؤلف له الاستاذ باركيسو الذى أشرت اليه قبلا فرضى ان يكون أول اجتماع للحزب الجديد خص القضية المصرية . وقبلت الجمعية المصرية ذلك وتقرر عقد اجتماع عام برئاسة النائب كاشان ولكن حدث فى هذه الاثناء ان جاءت الاخبار باطلاق سراح سعد باشا ومن معه والسماح للوفد بالسفر ففضلت الجمعية تأجيل الاجتماع حتى يكون عقده أثناء وجود الوفد بباريس

جهود الجمعيات المصرية

يصح قبل ان انتقل الى سرد اعمال الوفد في فرنسا وانكلترا وغيرهما ان اوجز جهود الجمعيات المصريه باوروبا لاسيما جمعية باريس

لما شعر الطلبة المصريون فى مختلف البلدان بضرورة العمل لبلادهم إذ حان الوقت المناسب القوا جمعيات مختلفه فى كل بلاد وجدوا فيه لنشر الدعوة المصريه على قدر ماتسمح لهم به ظروفهم

وكانت جمعية باريس مركز الحركة فانها فى مركز السياسة الدولية الى جانب مؤتمر الصلح فصوتها اكثر ارتفاعا من غيرها وقد شعرت الجمعيات المختلفة بذلك فجعلتها مرجعها وكانت ترسل اليها مايتيسر من المال القليل الذى يفيض عن حاجات الطلبة الضرورية وأوفدت جمعية انكلترا احد اعضائها الى باريس ليكون صلة اتصال بينها وبين جمعية باريس

وكان اعضاء جمعية باريس عند وصولنا ١٨ عضواً قرروا ضمى اليهم وكتبوا الي بذلك فصارت ١٩ عضوا . وهم الافنديه الدكتور محمد والى الطبيب وشقيق جعفر باشا والى والدكتور شافعى ومحمد سعيد دكتور في الحقوق وعباس وهبي المهندس ونجل عبدالله باشا وهبى ومحمد صبرى ليسانس فى الآداب والتاريخ وصبرى الخولى وميشيل توما من الحقوق ومختار النقاش المعروف واحمد السيد ليسانس في

الحقوق وخليفه بولى مهندس وحقوقى وطراف مهندس وانطون فرح مهندس زراعي وعبده جوده ايسانس حقوق وكفرونى مثله ولطفى بالسنترال وصادق نجار دنى وعنحورى ومسعوده طالباذفي الزراعة ومحمود ابو الفتح كاتب هذه السطور

وقد ذكرت قبلا نشأة الجمعية فلااجد حاجةللعودة الى ذلك ولـكنى اكتفي بان اذكر انها قسمت اعمالها بين اعضائها ووكلت ادارة جلساتها الى الدكتور والى لانه اكبر الاعضاء سنا

ويمثل علم الجمعيه اتحاد عناصر الامة الثلاثة فتضم رقعته الحمراء الهلال والصليب والشعار الاسرائيلى .

ولقلة المال لدى الجمعيه استأجرت غرفة فى مركزالجمعيات العلمية بالدار رقم ٨ بشارع « دانتون » يومين فى الاسبوع تعقد جلساتها فيها ولـكنها لما تيسر لها المـال انتقلت فى العام الماضى الى مكان مخصص بها فى الدار رقم ٦٠ بشارع المدارس

وكان أول مافعلته الجمعية عند وصول الوفد ان دعت رئيسه واعضاءه ودعت كاتب هذه السطور الى حفلة شاى اقامتها فى قاعة السلاح بالبناء الذى يحوى مقر الجمعية فى ١٩ ابريل سنة ١٩١٩ اى يوم وصول الوفد!

وقد زين المـكان ببعض أعلام مصرية وفرنسوية ومدت فيه مائدة طويلة زينت بالزهور وعنـد الساعة الرابعة جاء المدعوون

فجلس معالى رئيس الوفد فى صدر المائدة والى يمينه الدكتور والى بصفته اكبر اعضاء الجمعية سناً وجلس الباقون فى الاماكن المخصصة بهم ثم وقف الدكتور وألقى كلمة وجيزة رحب فيها بالوفد ورئيسه وهنأه بالسلامة وخطب عضو آخر فى مهمة الوفد وما تنتظره الامة منه واشار الى الآمال المعقودة عليه والمعلقة به

وتكلم رئيس الوفد نيابة عن زملائه فالقى عبارات مؤثره فيها عهود قاطعة بان الوفد سيعمل للوصول الى الاستقلال التام الذى لا يرضى به بديلا

وبسط أحد الاعضاء تاريخ الجمعية وما فعلته وبعد ذلك قدم الشاي والحلوى بين سمر شبه عائلى ودار الحديث حول ما يرى أعضاء الجمعية عمله وما يستطيعون تقديمه من المساعدة

ومما أذكره عرضا أن أحد الخطباء من أعضاء الجمعية تكلم فى خطابه عن حركة الامة ونهضتها وأشار الى فضل المرحوم مصطفى كامل باشا فى ذلك فظهر الامتعاض على البعض من هذه العبارة

وحمل خطيب آخر من الجمعية على عمل انكلترا وندد بها تنديداً شديداً فاعترض عليه أحدهم قائلا انه ليس من الموافق الطعن على انكلترا فى أرض فرنسوية لانها حليفة فرنسا

***

ورأت الجمعية أن تخلد ذكرى قدوم الوفد الى باريس للمطالبة

بحقوق مصر فعهدت الى مختار أفندى النقاش أن يصنع مدالية تقدم لرئيس الوفد فوضعها تمثل باريس بحسناء فرنسوية يدها فى يد حسناء تمثل مصر بملابس شرقية وتشير (أى باريس) باليد الاخرى علامة الترحيب وهى باسمة . وفى المدالية عدا ذلك بعض مميزات العاصمة الفرنسوية مثل برج « ايفل » المشهور . وعلى يمين الصورة « باريس ترحب بالوفد المصري » ثم العبارة نفسها بالفرنسوية وفى القسم الاسفل . باللغتين العربية والفرنسوية « مقدمة من جمعية باريس المصرية الى الوفد المصري »

وقد صنع مختار أفندى تمثال « نهضة مصر » المشهور وقد أشرت اليه فى كتاب مع الوفد المصري وأوردت صورته وكتبت عنه الصحف ما فيه الكفاية

***

وضعت الجمعية المصرية نفسها تحت تصرف الوفد ولكنها فى الوقت نفسه رأت أن تتابع مهمتها وهي « البروباجندا » . ومما فعلته انها احتجت على اعتراف ولسن بالحماية فى ٢٤ ابريل سنة ١٩١٩ . وفى ٩ مايو أرسلت الى مؤتمر الصلح احتجاجا على قراره الخاص بمصر ذكرت فيه مجهود مصر فى الحرب ثم ختمته بقولها « . . . . نحتج أمام الانسانية جمعاء على الاعتراف بالحماية الانكليزية على مصر »

وأرسلت الجمعية فى ٢٧ يونيو تلغرافا الى مؤتمر العمال الانكليزى الذى كان مجتمعا فى « ساوثبورت » وحضره مندوبون من أحزاب العمال فى الممالك الاخرى . وقد انتهزت الجمعية فرصة وجودهم فأرسلت صورته اليهم جميعا

وأرسلت احتجاجات الى الحزب الاشتراكي الايطالى وغيره من الانظمة الاشتراكية .

وقد طلبت الجمعية من الوفد أن يمدها بالمال فأمدها بخمسة آلاف فرنك ثم أمدها ببعض مبالغ أخرى مساعدة لها على إصدار المجلة التى شرعت تصدرها باسم « مصر »

***

أشرت فى صدر هذا الكتاب الى الاجتماع الذى أرادت الجمعية عقده بالاشتراك مع حزب حقوق الانسانية والى تأجيله لحين وصول الوفد وأذكر هنا إتماما للفائدة انه عقد فى مساء ٢٠ مايو بالقاعة الكبرى فى دار الجمعيات العلمية . وكانت الرئاسة للنائب كاشان الذى ورد ذكره قبلا — وهو زعيم الاشتراكيين — وكان يساعده المسيو پول برولا وكيل جمعية الادباء المعروفة — وهو كاتب كبير — والمحامى باركيسو

وقد غصت قاعة الاجتماع بالحاضرين من طبقات مختلفة وبينهم بعض أعضاء البرلمان الفرنسوى وبعض الصحافيين لا سيما

الذين ينتمون الى اليسار منهم . وحضر بعض الضباط الامريكيين وكثيرون من وفود الجمهوريات الاسلامية الروسية وكنت قد دعوتهم شخصياً

وكانت على المرسح منضدة جلس اليها الرئيس ومساعداه والخطباء

وجلس فى الصف الاول من القاعة رئيس الوفد المصرى وأعضاؤه . وعند الساعة التاسعة افتتح كاشان الاجتماع فاستنكر المصير الذى أعده مؤتمر الصلح لمصر ووعد المصريين بعضد الحزب الاشتراكي وقال انه سيجعلها فى طليعة أعماله

وتلاه المحامي باركيسو فتكلم عن تأليف حزب حقوق الانسانية وبسط الاسباب التي حدت به الى جعل مسألة مصر فاتحة أعماله . وبسط قضية مصر باسهاب

وتكلم المسيو پول برولا عن « كراهية الاجنبي » التي تجلت فى السياسة الاستعمارية التي ترمى الى اخضاع العالم لفريق من الاستعماريين فى الدول القوية وأشار الى أحوال مصر السياسية

وتكلم خليفه افندى بوبلي منتدبا عن الجمعية المصرية وتلاه الاستاذ ويصا أفندي واصف المحامي فشرح حوادث شهرى مارس وابريل سنة ١٩١٩

وختم كاشان الاجتماع بكلمة قال فى نهايتها « اذا كنتم قد طرقتم

ابواب الاستعماريين فاقفلوها فى وجوهكم فان الشعب الفرنسوى يفتح لكم ابوابه فاطرقوها »

وعرضت بعض أمور ثابتة بالفانوس السحري ووزعت على الحاضرين كراسات مطبوعه ببيان القضية المصرية ثم خرج المجتمعون وهم يصيحون لمصر بالحرية

***

وقبل الاجتماع المتقدم مباشرة أدبت الجمعية المصرية لبعض الصحافيين الذين حضروا مأدبة عشاء فى البناء نفسه فى مكان منفرد وقد حضرها الكاتب وخطب فيها الاشتراكي المتطرف رابوبور

***

وكان البعض قد لاحظ على الوفد انه دعا الصحافيين الامريكيين والانكليز الى مأدبة عند وصوله ولم يدع الصحافيين الفرنسويين والايطاليين مع ان الواجب يقضي بذلك اما عدم دعوة الفرنسويين فانه لم يهمل امرها ولكنه لقى امتناعا من اكثر الصحافيين الذين اراد دعوتهم فقد كان الصحافيون الفرنسويون يقولون ان بلادهم حليفة انكلترا فلا يستطيعون حضور دعوة هي فى الواقع بمثابة مظاهرة ضدها

ورأى الوفد ان يشير على الجمعية المصرية بتوجيه الدعوة الى الصحافيين الايطاليين باسمها وقد اقيمت لهم مأدبة حضرتها ودعى اليها مراسلو صحف «الكوريري دلا سيرا» و«سيرا» و«السولى»

و « المزوجورنو » و « الجورنالي ديتاليا » و « ستامبا » و « تمبو »
و « ايبوكا » و « ايديا ناتسيونالى » و « سيكولو » و « اتياليا »

وكانت المأدبة فى مطعم دار الجمعية العلمية فى ظهر ٤ يونيه سنة ١٩١٩ وحضرها رئيس الوفد ومعه عبدالعزيز بك فهمى ومصطفى بك النحاس والدكتور حافظ بك عفيفي ومحمود بك أبو النصر وويصا أفندي واصف ومدكور باشا وبدر بك سكرتير الوفد

وبعد تناول الطعام القى الدكتور والى كلمة شكر ثم خطب الاستاذ ويصا ثم تكلم السنيور فتوريو فتورى مدير سياسة الجورنالي ديتاليا عن زملائه

وقام معالى سعد باشا فشكر للصحفيين الايطاليين عطفهم واهتمامهم بقضية أمة مظلومة وختم الاحتفال بين الهتاف لمصر وايطاليا

***

وكانت جمعيات المصريين في البلاد الاخرى تنسج على منوال جمعية باريس أو تساعدها في أعمالها سواء ماديا بارسال اعانات لها أو أدبيا بنشر الكراسات التي تطبعها

ومن أهم تلك الجمعيات الجمعية المصرية ببريطانيا وقد كانت فاتحة أعمالها الاحتجاج في أوائل الحرب على اعلان الحماية على مصر احتجاجاً أرسلوه الى رئيس الحكومة البريطانية ومجلس العموم



الجالسون من اليمين — عدلى باشا . سعد باشا . محمد على بك

الواقفون من اليمين — حمد باشا . المكباتي بك . سينوت بك . علي ماهر بك

والهيئات السياسية ولكن الحرب والاجراءات الاستثنائية التى اتخذت معهم قضت عليهم بالصمت زمناً طويلا . حتى اذا انتهت تكاتب الاعضاء من مختلف البلدان ببريطانيا واجتمعوا فقرروا استئناف جهادهم وجمعوا أقصى ما يمكنهم الخروج عنه من مالهم فكانت مئات قليلة أرسلوا قسما منها الى جمعية باريس لتزيد حركتها حول مؤتمر الصلح واشتغلوا بالباقى . وكانوا يمدون جمعية باريس بمبالغ أخرى بين وقت وآخر

واستخدموا كثيرين ممن يعطفون على أمانى المصريين مثل المستر ولفرد سكاون بلنت وغيره . وتطوع المصريون الذين أتموا دراستهم للقيام بالاعمال الضرورية وولوا زعامتهم لأحدهم الدكتور عمر . واتخذوا لجمعيتهم مركزاً بفندق « امبريال » بميدان «رسل» وبلغ من أهمية حركتهم أن أقبلت الصحف على تسقط أخبارهم فكتبت اليهم جريدة الدايلى هرالد تقول انها تفتح أعمدتها لكتاباتهم.وهكذا جعلوا في مركز الجمعية قسما مخصصاً بالاستعلامات والنشر ويرجع اليهم وحدهم الفضل فى اثارة المناقشة التى فتح بابها « الكابتن ودجوودين » في مجلس العموم فى ١٥ مايو والتى حملت السلطات على تفتيش مركز الجمعية وصادرت ما فيه من الاوراق

وقيل في ذلك الوقت ان الحكومة تزمع اتخاذ اجراءات ضدهم فاتفقوا مع محام ارلندى قدير على أن يتول القضية وأرادوا

أن ينتهزوا هذه الفرصة لبسط الحالة في مصر ولكن الامر وقف عند حد الاجراءات الاولية

ورأى الوفد بعد جلسة مجلس العموم نتيجة جهود الطلبة في انكلترا ورأى الاجراءات التي كان في النية اتخاذها ضدهم فأرسل اليهم مبلغا ما مع مندوب لهم كان بباريس حمل لهم معه أيضا بعض بيانات تفيد في حركة النشر

وقد ساعدهم الوفد بعد ذلك ببعض مبالغ أيضا ليستعينوا بها في جهودهم

ومن مظاهر الوطنية الجديرة بالذكر أن هؤلاء الشبان كانوا قبل وصول اعانات اليهم يحرمون أنفسهم من الضروريات فضلا عن الكماليات للانفاق على حركتهم بل كانوا يبيعون كتبهم وأدواتهم بل ملابسهم أيضا لتحصيل النفقات اللازمة لأعمالهم



الدكتور حافظ عفيفي بك

موءتمر الجمعيات المصرية

فكرت الجمعية المصرية بباريس فى أواخر سنة ١٩١٩ فى عقد مؤتمر من بقية الجمعيات المصرية باوروبا للبحث فى تنسيق خطة للعمل ولتوحيد جهودها فارسلت الدعوات الى الجمعيات المصرية في مختلف البلدان بفرنسا وانكلترا وسويسرا لتحضر مؤتمراً عاما تقرر ان يعقد بباريس في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ لدراسة أفيد الوسائل التي تتبع فى سبيل نشر الدعوة وخيرها

وانتخبت جمعية باريس لجنة لعمل مايلزم للقيام بالمشروع وهذه نظمت ثلاث لجان فرعية. الاولى مهمتها السعى لتهيئة الاماكن اللازمة لنزول المندوبين الذين سيصلون وتسهيل اقامتهم بباريس

والثانية لاعداد المؤتمر وتنظيمه مثل تعيين جدول الاعمال ومثل حركة النشر عن المؤتمر في الصحف وابلاغ قرارات المؤتمر الى الوفد المصرى

وعهد للثالثة بالمسائل التى تكون لها صلة بمصر

***

وقد دعي المندوبون الى شاى اعدته لهم جمعية باريس في الصالة الكبرى بدار الجمعيات العلمية بعد ظهر ٢٧ ديسمبر . ثم عقد الاجتماع الاول بعد الشاى فافتتحه الدكتور والى رئيس جمعية باريس

بكلمة استهلها بالترحيب بالمندوبين ثم أظهر ان الغاية من المؤتمر هي توحيد خطة العمل لنشر الدعوة بانجع الوسائل وأقومها . ثم اشار الى نشأة جمعية باريس فذكر انها تألفت قبل الحركة التي قامت في مصر وقبل وصول الوفد . وعدد أعمالها وخدماتها

وانتقل الى شرح المساعدات الادبية التى قدمتها الجمعية للوفد المصرى لتسهيل بعض أعماله ومساعيه فى باريس . وذكر أن الجمعية موطدة العزم على أن تتابع جهادها فى سبيل استقلال مصر حتى النهاية

وبعد ذلك تلا السكرتير بيانا بالمسائل التى ستعرض على بساط البحث وكان عددها ٣٢ مسألة

وخطب بعد ذلك رئيس الجمعية المصرية بلوندره شاكراً وتكلم عن مجهودات اخوانه وعن آمالهم جميعا وأمانيهم

وعقد الاجتماع التالى عند الساعة الثالثة من بعد ظهر ٢٨ ديسمبر وطرحت المسائل على بساط البحث وعند الساعة الثامنة كان المؤتمر قد انتهى من النظر فيها

ومن الاقتراحات التى عرضت اثنان أحدهما عن مقاطعة البضائع الانكليزية وقد جرت مناقشة قصيرة فى ذلك ولم يتيسر اصدار قرار فاصل فى الامر وكل ما حدث هو أن المؤتمر أبدى رغبته فى أن يرى البضائع المصرية تحل محل البضائع الانكليزية

والاقتراح الثانى عن مسألة السودان فقد طلب فيه من المؤتمر القيام بحركة نشر حولها ولكن يظهر أن المسألة لم تكن قد بحثت قبل الاجتماع من حيث دراسة مركز السودان وصلته بمصر وغير ذلك مما يختص بالنيل فاقترح حمد الباسل باشا تأليف لجنة لدرس الموضوع وقد ألفت ولكن لم يعمل شيء بعد ذلك بفكرة أن الوفد سيقوم بما يلزم في هذا الشأن

وخول المؤتمر جمعية باريس السلطة التامة لتنفيذ قراراته وكان فى الرئاسة حمد باشا الباسل والدكتور والى من جمعية باريس والدكتور محمود من جمعية لوندره . وقد حضر الباسل باشا المؤتمر بصفته عضواً فى الجمعية المصرية

وفى ٢٩ ديسمبر أدبت وليمة للمندوبين حضرها محمد على بك عضو الوفد نائبا عن سعد باشا وحضرها عبد اللطيف بك المكباتى

وألقى محمد على بك خطابة امتدح فيها جهود الشبان وهمتهم وغيرتهم ثم خطب حمد باشا

وأخذت صورة الحاضرين.

وتتضمن القرارات التى أصدرها المؤتمر أشياء كثيرة مثل احتجاجات وأعمال بروباجندا فى مختلف البلدان وتسهيل سبيل التعاون بين الجمعيات المصرية المختلفة فى الخارج . ومن أعمال البروباجندا ترجمة النشرات والمذكرات المصرية الي اللغات

الاوربية المختلفة . وانشاء مجلة مصرية بلوندره . والاتفاق مع جريدة انكليزية لنشر ردود المصريين على ما يظهر في الصحف الانكليزية عن مصر . وانشاء مركز بباريس لتوزيع أخبار مصر وارسالها الى بقية العواصم الاوروبية وكثير غير ذلك مما لا يسعه المجال



احمد لطفي السيد بك

كيف تألف الوفد المصرى

لما انتهت الحرب واخذت الدول تنظر فى أمر عقد هدنة تمهيداً لبحث الصلح ووضع شروطه رأى كثيرون من المصريين انه قد حان الوقت الذى يرتفع فيه صوت مصر المطالبة بحقوقها القديمة الثابتة مادامت كفة الحلفاء قد رجحت فانهم مافتئوا يقولون طول مدة الحرب انهم يقاتلون فى سبيل تأييد الحرية ونصرة الامم الضعيفة المستعبده

وكان بين من فكروا من ذلك صاحب المعالى سعد زغلول باشا وبعض من يثق بهم ويجتمعون به فرأوا ان يتقدموا للعمل

وكانت الاحكام العرفيه لاتزال تثقل كاهل البلاد. وكان اثر الحرب لايزال باقيا بقيوده ونواهيه وقوانينه الاستثنائيه المختلفة ولذا كانت بداية عملهم مقرونة بالتكتم والحيطة

واذا صح ان يذكر فضل لصاحبه فيتحتم علي ان اذكر فضل حسين رشدى باشا رئيس الوزارة لذلك العهد فقد كان فى الحقيقة من اكبر الساعين لتأليف الوفد وتأييده فى نشأته . وكان لا ينقطع عن الاجتماع بسعد باشا ومن معه ليضعوا خطة العمل بالاتحاد

وكانت الفكرة متجهة فى ذلك الوقت نحو السفر الى لوندره لمفاوضة الحكومة البريطانية فى أمر استقلال البلاد

وكان الرأى الذى اتفق عليه أن يسافر وفدان احدهما رسمى يمثل الحكومة المصرية ويتألف من رشدي باشا وعدلي باشاووفد اهلى هو الذى يرأسه سعد باشا

ولم يكن من المتيسر بطبيعة الحال تأليف وفد بانتخاب عام أو شبه عام نظراً لحالة الحرب المبسوطة على البلاد ولكن القائمين بالامر مع هذا رأوا ان يعرضوا امرهم على الامة حتى تكون يدهم فى المفاوضات والمجهودات قوية فوضعوا توكيلات ارسلوها الى كل مكان للتوقيع عليها

وكان قد روعى فى وضع صيغة التوكيل الظروف الاستثنائية فلم ينص فيه صراحة على ان الاستقلال الذى تراد المطالبة به «تام» وكتبت عبارة تفيد الثقة — أو نحوها — بعدالة بريطانياوميلهاللحرية فقام معارضون من رجال الحزب الوطني وغيره يطالبون بتغيير صورة التوكيل وجعله صريحا فى النص على « الاستقلال التام» ومجرداً من العبارات اللينة التى لاطائل تحتها

وقد رأى الوفد فى شدة حركة الاعتراض على نص التوكيل دليل حياة قوية فى البلاد . حياة يمكن الاعتماد عليها فى عمله فازداد شجاعة وقوة وغير صيغة التوكيل بصيغة أخرى صريحة لايدخلها الشك فتلقفها الناس من كل ركن من اركان البلاد واقبلوا على توقيعها لكن السلطات اخذت تصادرها فكتب سعدباشا الى وزير الداخليه

يحتج على ذلك بخطاب تاريخه ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ قال فيه:

« حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية ورئيس مجلس الوزراء

اتشرف بان ارفع الى دولتكم مايلى :

« لا يخفى على دولتكم أنه على أثر فوز مبادىء الحرية والعدل التي جاهدت بريطانيا العظمى وشركاؤها لتحقيقها . ألفت مع جماعة من ثقاة الامة ونوابها وأصحاب الرأى فيها وفداً لينوب عنها فى التعبير عن رأيها فى مستقبلها تطبيقا لتلك المبادىء السامية . لذلك شرعنا فى جمع هذا الرأى بصيغة توكيل خاص فوق ما لكثير منا من النيابة العامة فأقبل الناس على إمضاء هذا التوكيل اقبالا عظيما مع السكينة والهدوء وهذا أقل مظهر نعرفه من مظاهر الاعراب عن رأى الامة فى مصيرها

« لكنه قد اتصل بنا أن وزارة الداخلية قد أمرت بالكف عن إمضاء هذه التوكيلات ونظراً الى أن هذا التصرف يمنع من ظهور الرأى العام فى مصر على حقيقته فيتعطل بذلك أجل مقصد من مقاصد بريطانيا العظمى وشركائها . ويحرم الامة المصرية من الانتفاع بهذا المقصد الجليل

« ألتمس من دولتكم باسم الحرية والعدل أن تأمروا بترك الناس وحريتهم يتمون عملهم المشروع واذا كانت هناك ضرورة قصوى ألجأت الحكومة الى هذا المنع فانى أكون سعيداً لو كتبتم لى بذلك

حتى نكون على بصيرة من أمرنا ونساعد الحكومة بما فى وسعنا على الكف عن امضاء تلك التوكيلات

«وفى انتظار الرد . تفضلوا يادولة الرئيس بقبول شكرى سلفا على تأييد مبادىء الحرية الشخصية وعظيم احترامي لشخصكم الكريم»

الامضاء : « الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية »

« ورئيس الوفد المصري »

« سعد زغلول »

وكتب سعد باشا فى اليوم التالى خطابا آخر الى رشدي باشا ملحقا بالخطاب الاول قال فيه :

« حضرة صاحب الدولة » الخ

« إلحاقا لما حررت لكم أمس أتشرف باخبار دولتكم أن رجال الحكومة لم يقتصروا على منع التوقيع على التوكيلات بل تجاوزوه الى مصادرة ماتم التوقيع عليه منها كما يتبين لدولتكم من صورة الخطاب طيه . فألفت نظر دولتكم الى هذه المعاملة التي يأباها عدلكم ومباديء العصر الحاضر »

وقد ظهر من التحريات التي عملت أن الاوامر التي صدرت بمنع توقيع التوكيلات ومصادرتها صادرة من مستشار الداخلية وقد أرسل رشدي باشا رداً فى ٢٥ نوفمبر على خطابى سعد باشا المتقدمين قال فيه :

« رئاسة مجلس الوزراء »

« حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

« إجابة على كتابيكم المؤرخين ٢٣ و ٢٤ الجارى أتشرف باحاطتكم علما أنه اذا كانت قد صدرت أوامر من جناب مستشار الداخلية لمنع امضاء التوكيلات المشار اليها في كتابيكم المذكورين ومصادرتها عند الاقتضاء فانما كان ذلك لأن القطر لا يزال تحت سلطة الاحكام العرفية ولان مثل هذه التوكيلات قد اعتبرت مما يدعو الى الاخلال بالنظام العام»

«وتفضلوا . . . . » الامضاء

(رئيس مجلس الوزراء)

« حسين رشدي»

***

وكانت أول حركة قام بها الوفد للسفر الى انكلترا على أثر توقيع المهدنة مع المانيا فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ إذ لم يكد يصل خبر توقيعها الى مصر حتى كتب سعد باشا الى السير ونجت نائب الملك خطاباً يطلب فيه مقابلته مع اثنين من زملائه أعضاء الجمعية التشريعية فجاء الرد بتحديد موعد المقابلة فى ١٣ نوفمبر

وقد قابلوه فعلا في ١٣ نوفمبر وأبلغوه مطالب أبناء وطنهم وأخبروه بانهم يزمعون السفر الى لوندره مع بعض زملائهم للمطالبة

باستقلال مصر . . . .

وكان الوفد فى ذلك الوقت يتألف من سبعة أعضاء غير انهم أخذوا يضمون اليهم من كانوا يرون فى انضمامه اليهم فائدة للقضية التى تولوا أمرها

وقامت حركة أخرى من رجال الحزب الوطنى وغيرهم ترمي الى تأليف وفد آخر ولكن بعض العقلاء رأى فى ذلك انقساما يضر بمصلحة القضية التى يخدمها الجميع فسعي للتوفيق وكاد يتم له ذلك على أن ينتخب الحزب مندوبين يمثلونه فى الوفد فاختار ولكن سعد باشا اعترض على اختيار أحمد بك لطفى ومصطفى أفندى الشوربجى فانقطعت المفاوضات وظل الحزب الوطنى بعيدا عن حركة الوفد بعيداً عن الاعتراف به

على أن الوفد تمكن من ضم بعض أعضاء كانوا قديما ينتسبون للحزب الوطنى وانتهى الامر بتأليف الوفد من سعد باشا ومن على باشا شعراوى أمينا للصندوق وعبد العزيز بك فهمى واسماعيل صدقى باشا ومحمد بك على ومحمود بك أبو النصر وأحمد بك لطفي السيد والدكتور حافظ بك عفيفى وسينوت بك حنا ومحمد محمود باشا وعبد اللطيف بك المكباتى وحسين واصف باشا ومحمد باشا الباسل وجورج خياط بك ومصطفى النحاس بك وميشيل بك لطف الله وعبد الخالق مدكور باشا

وقد انفصل عن الوفد بعد ذلك حسين واصف باشا وصدقى باشا وأبو النصر بك لاسباب سنذكرها فى حينها. اما ميشيل بك لطف الله فقد انقطع ذكره فى الاعمال التالية ولا أدرى هل يرجع ذلك الى انفصاله عن الوفد أو لانه يشتغل بمسائل سياسية أخرى غير مسألة مصر . اما مدكور باشا فقلت صلته بالوفد بعد زيارة قصيرة قام بها له فى باريس

نرجع الى المساعى التى كان الوفد يبذلها للتمكن من السفر فنذكر انه كتب فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ الى رئاسة الجيش البريطانى بمصر يطلب جوازات السفر لاعضائه فجاء الرد فى اليوم التالى بان الطلب سينظر فيه باقرب وقت ممكن

وانقضت عدة أيام دون أن يتلقى الوفد نبأ عن ذلك فكتب رئيسه خطاباً آخر الى رئاسة الجيش بتاريخ ٢٨ نوفمبر يكرر الطلب فجاءه الرد فى ٢٩ منه بانه «حدثت بعض صعوبات لم يتيسر معها اجابة طلب الوفد الى ذلك اليوم وبمجرد تذليلها تسارع رئاسة الجيش الى اجابته الى موضوع طلبه »

ولكن الوفد خشى التسويف لاسيما ان حركة الصلح كانت قد أخذت تدخل في دور جدى فارسل فى ٢٩ نوفمبر خطابا الى السير ونجت أطلعه فيه على نتيجة مسعاه لدى السلطات العسكرية وطلب منه استعمال نفوذه ليحصل للوفد على الجوازات التى يريدها

وذكر الوفد ان من الضرورى ان يكون بلوندره قبل الاسبوع الاخير من شهر نوفمبر

وجاء الرد من دار الحماية بتاريخ أول ديسمبر وفيه يذكر الكولونيل سايمز ان السير ونجت نائب الملك كلفه بان يبلغ الوفد انه بعد مراجعة الحكومة البريطانية فى الامر وجد أنه لايستطيع التداخل لدى السلطة العسكرية فى ذلك . وذكر الكولونيل سايمز ان «نائب جلالة الملك» يعرض على سعد باشا وزملائه تقديم مالديهم من الملاحظات عن نظام الحكم فى مصر اليه كتابة على شرط ان لاتنافى الملاحظات السياسة التى تتبعها الحكومة البريطانية. ولفت نظر الوفد الى الخطاب الذى أرسله السير ملنر تشيتهام الى المرحوم السلطان حسين عند تعيينه للسلطنة المصرية

ولكن هذا الرد لم يكن ليرضى سعد باشا وزملاءه فكتب الرئيس الى السير ونجت فى ٣ ديسمبر يشير الى ماعرضه السير على الوفد من تقديم اقتراحاته ويقول : «انه لايسوغ لى ولا لاحد من أعضاء الوفد ان يطلب طلبات غير مطابقة لمشيئة الامة التى عبرت عنها بالتوكيلات المعطاة لنا » . وألح سعد باشا فى طلب الجوازات

ولم يكتف الوفد بذلك بل أرسل الى المستر لويد جورج فى اليوم التالى (٤ ديسمبر) تلغراف شكوى هذا نصه :

« صاحب السعادة المستر لويد جوج

« الوزير الاول لبريطانيا العظمى

«داونيج ستريت . لندن

« تحدث فى مصر أمور مخالفة لتقاليد الحرية والعدل التى هى شعار دولة بريطانيا العظمى وللسياسة الحرة التى لازلتم اماماً لها الى حد ان المصريين أصبحوا يتساءلون عما اذا كانت التصريحات التى مافتىء ساسة المملكة يعلنونها كل يوم لايعنى بها الا فريق من بنى الانسان دون فريق آخر أقل استحقاقا للرعاية

« هل تقبلون سعادتكم ان صوت أمة باسرها يخفت بينما ارجاء العالم تدوى باصوات الامم المطالبة بمالها من الحقوق ومن حرية التصرف بمستقبلها؟

«وهل أمتكم العظيمة وهي خارجة تحمل أكاليل النصر من حرب لم تخض غمارها الادفاعا عن الحرية تقبل ان يفوّق باسمها أنفذ سهم فى قلب هذه الحرية ؟

« ان مصر وهي عارفة بحقوقها وواجباتها رأت ان توقف بنفسها الرأى العام الانكليزى على حقيقة حالها وان تطلعه على مطالبها القومية مؤملة فى عدله تمام تحقيقها

«. . . . .

. . . .

. . . .

«وهذا أمر يشبه ان يكون الغرض منه اقامة سد منيع بيننا وبين الرأي العام الانكليزى فيصبح عسيراً أن يقف على الحقائق من مصادرها الطبيعية

« فبالنيابة عن الوفد المصرى ارفع هذه التصرفات لنظركم السامى »

الامضا: (وكيل الجمعية التشريعية المنتخب)
(ورئيس الوفد المصرى)
« سعد زغلول»

***

وكان رشدى باشا كما ذكرت قبلا يعمل مع الوفد يداً واحدة فبينا كان سعد باشا وزميلاه يقابلون السير ونجت في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ليبلغوه مطالب البلاد وعزمهم على السفر الى لوندره كان هو (أى رشدى) يرفع الى عظمة السلطان فؤاد تقريراً نثبته هنا للتاريخ — قال :

« ان الحوادث تتولى سراعا وستبدأ مفاوضات الصلح ويشرع فى تسوية جميع المسائل التى اثارتها الحرب ومن أهم الامور ان تبسط آراء عظمتكم وآراء حكومتكم فى مصير مصر السياسى لحكومة صاحب الجلالة البريطانية مباشرة ولذا اقترح على عظمتكم ان تعهدوا

اليّ والى زميلى عدلى باشا بهذه المهمة

«وسينوب عنى سرى باشا فى رئاسة مجلس الوزراء أثناء غيابي وينوب عني ثروت باشا فى وزارة الداخلية وينوب زيور باشا عن عدلى باشا في وزارة المعارف »

وقد أبدى السلطان موافقة على ذلك فأبلغ رشدى باشا الطلب الى السير ونجت ليرفعه الى حكومته ولكن ردها لم يكن مرضيا فقدم رشدى باشا استقالة الى السلطان قال فيها انه عندما احتمل امام ضميره وامام بلاده وامام التاريخ مسئولية عمله في ظل نظام الحكم الجديد احتفظ لنفسه بان يطالب لمصر من الحكومة البريطانية باكبر حرية ممكنة متى بدئت مفاوضات الصلح ثم قال: «أما وقد اوشكت اليوم ان تفتتح فقد طلبت بمصادقة عظمتكم السامية من الحكومة البريطانية ان تسمعني وتلقيت رداً يكاد يكون «فيما بعد — بعد الصلح» ولكني أرى على العكس من ذلك ان الوقت الحالى هو وقت عرض امانى مصر الاهلية والدفاع عنها . وفي هذه الحالات اتشرف بتقديم استقالتى لعظمتكم من رئاسة مجلس الوزراء ووزارة الداخلية »

وذكر رشدى باشا فى استقالته ان عدلى باشا متضامن معه فى ذلك وانه هو ايضا يقدم استقالته من وزارة المعارف

وقد كان لهاتين الاستقالتين تأثير فى نفس السير ونجت الذى يقال انه كان يميل الى حسم المسألة بالسماح للوزيرين والوفد بالسفر

فطلب من عظمة السلطان ان يرجىء قبول الاستقالة واخذ يفاوض حكومة لوندره فى الامر ولكنها لم تعدل عن ردها الاول الذى لم يرض رشدى باشا

وكان رشدى باشا قد طلب من السلطات البريطانية أن تسمح لنواب الامة بالسفر ايضا ولكن الحكومة البريطانية رفضت ذلك فقدم استقالة ثانية لعظمة السلطان بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٨ بسط فيها ماحدث ثم قال «وفى ذلك الوقت طلبت وفود مؤلفة من بعض أعضاء أنظمتنا النيابية السفر الى لندره للدفاع عن قضية مصر وقد أشرت بأن يؤذن لها بالسفر فلم تهمل مشورتى فقط بل ورفض سماع آرائى فيما يحتمل أن يكون عليه نظام الحماية وهكذا ستكون مصر البلد الوحيد الذي لم يسمع صوته فى الوقت الذى يسوى فيه مصيره نهائيا »

وألح فى قبول استقالته ولكن عظمته لم يقبلها وظل السير ونجت يفاوض الحكومة البريطانيه لاقناعها باجابة طلب رشدى باشا ولكنها أصرت على ذلك وتمسك رشدي باشا باستقالته وقدمها للسلطان مرة ثالثة فى ٣٠ ديسمبر سنة ٩١٨ ذاكراً انه لا يتحول عنها وانه يرجو قبولها خشية أن يؤدى التأخر فى ذلك الى تحميله مسئولية عدم الاهتمام بمصير مصر بصفته رئيس وزارتها فى الوقت الذى يفصل فيه فى مصيرها نهائياً

وفى النهاية رضيت الحكومة البريطانية بأن يسافر رشدى باشا وعدلى باشا الى لوندره ولكنها أبت أن تسمح بسفر الوفد فعلق رشدى باشا سحب استقالته على الرضاء بسفر الوفد ولكن شرطه رفض وقبلت استقالته

ولا يتناول هذا الكتاب ايراد تفاصيل الازمة الوزارية التى وقعت بعد ذلك . . . . ولا الحوادث التى حدثت ويكفى أن أذكر أن الوفد ظل يرسل الاحتجاجات الى المستر لويد جورج ورؤساء حكومات الحلفاء والى مؤتمر الصلح

ولا يتناول الكتاب أيضا تفاصيل الحوادث التي انتهت باعتقال سعد باشا وصدقى باشا وحمد باشا ومحمد محمود باشا ولا الاضطرابات التى تلت ذلك . ولا التغييرات التى طرأت على السياسة الانكليزية وانتهت بأن أصدر الجنرال اللنبي أمراً بالافراج عن المعتقلين واباحة السفر وانما يتناول جهود الوفد في الخارج وهو ما سأورده في الفصول التالية

بين مصر وباريس

لا أريد أن أصف سفر الوفد من القاهرة ولا مظاهرات التوديع والتشييع التي اقيمت له في صباح ١١ ابريل من جميع سكان المدينة ولا ما قوبل به في المحطات التي مر بها القطار فان ذلك يقتضي صفحات عديدة وقد وصفته موجزا «في كتابي مع الوفد المصري» ويكفي أن أذكر أن عشرات الألوف هرعوا في كل مكان ليودعوا نواب الامة

وكانت قد خصصت عربة لاعضاء الوفد والسكرتيرية وسافرت معهم مندوبا من قبل جريدة وادي النيل ولم يحدث في الطريق ما يستحق الذكر عدا المظاهرات الا ان الاستاذ عزيز منسي بك الذي رافق الوفد مع الاستاذ علي بك حافظ رمضان والاستاذ ويصا بك واصف كسكرتيرين لهيئة الوفد طلب أن يضموا الى الوفد كاعضاء

وقد جرت المناقشة في هذا الامر بين اعضاء الوفد على حدة في القطار وكانت الاغلبية معارضة لهذا الطلب بدعوى أن تأليف الوفد قد انتهى وانه لا سبيل الى ضم أحد اليه بعد ذلك . ولكن هذا الرد لم يرض الاستاذ منسي فقر الرأي أخيراً على أن يسمى الثلاثة مستشارين . وظل الامر كذلك الى أن استقال عزيز منسي



محمد باشا محمود

بك وعلي حافظ رمضان بك من الوفد لاسباب سنشير اليها في حينها . وبقى الاستاذ ويصا وأعيد النظر فى أمر جعله عضواً في هيئة الوفد وفعلا تقرر ذلك

ولا أجد مجالا لوصف احتفال أهالى بور سعيد بالوفد سواء فى ذلك الاجانب والوطنيون فان الكلمات لاتكفى لذلك

وقد ابحرت الباخرة « كالدونيا » الى مالطه في صباح ١٢ ابريل فوصلنا فى صباح الثلاثاء ١٥ منه وهناك جاء سعد باشا وزملاؤه المعتقلون معه بصحبة ضابطين رافقاهم حتى ظهر السفينة

وتابعت الباخرة السير الى مارسيليا فوصلت قبل ظهر ١٨ ابريل بعد سفر شاق متعب نظراً لهياج البحر

وفى مارسيليا قابلنا صدفة المسيو جورج فيسيه الذى كان رئيسا لتحرير جريدة « الجورنال دوكير » بالقاهرة وجاء وكيلا شركتي « رأديو » و « هافاس » ومندوبو بعض الصحف يتسقطون اخبار الوفد وقد حادث بعضهم رئيس الوفد فاعرب لهم عن مطالب الامة المصرية وامانيها وافهمهم مهمة الوفد

وفي منتصف الساعة السابعة مساء استقللنا جميعا قطار الرابيد الى باريس فوصلناها حوالي الساعة العاشرة صباحا . وكان هناك بعض الطلبة جاءوا يحيون رئيس الوفد واعضاءه . وكان البعض يوجه الاسئلة بغية الاطمئنان . وقد كان الطلبة يخشون ان يكون الاذن لم يصدر

بسفر الوفد الا بعد ان تم الاتفاق على مسألة مصر وكان البعض يخشى ان يلقى الوفد ابواب مؤتمر الصلح موصدة فى وجهه فذكروا ذلك للرئيس فأجابهم بان الوفد حسب حساب كل شيء فسروا ودعوا اعضاء الوفد الى شاى اقاموه بمدظهر اليوم نفسه وقد ذكرت ذلك فى عرض كلامى عن الجمعية المصرية

وقد نزل رئيس الوفد بالجراند اوتيل وجعل مقر الوفد واخذت الصحف الفرنسوية تشير الى قدومه ونشر اعمال الوفد فاشتدت رقابة المطبوعات على الصحف فيما يختص بمصر ونشرت الطان تلغرافا مختلقا بلا شك جاء فيه ان حركة المصريين موجهة ضد الاجانب وانها ذات صبغة دينية ولكن الوفد حارب هذه الفرية ببيان اصدرته شركة «راديو» ونشرته الجورنال والاكسلسيور وجاء فيه ذكر ماقام به المصريون من الاحتياطات لحماية مصالح الاجانب في البلاد ،

وكان أول ماقام به الوفد ان زار رئيسه رؤساء وفود الصلح من الدول العظمى فلم يرد الزيارة سوى السنيور أورلندو رئيس وزارة ايطاليا لذلك العهد والواقع ان الايطاليين كانوا اكثر الناس عطفا على القضية المصرية وكان ذلك يرجع الى .... ان الروح الايطالية تميل بطبيعة نشأتها وتاريخها وظروفها الى الحرية وتعطف على الامم التى تسمى ورآءها..............................



حمد باشا الباسل

وكان من الصحف التي كتبت عن الوفد عدا «الا كسلسيور» « والبتي باريزيان » و «الايكودوبارى » و « الاومانيته » (لسان حال الحزب الاشتراكي) وقد نشرتا حديثين للرئيس سعد باشا وأرسل السنيور روسى مراسل شركة التلغرافات الايطالية الشرقية بباريس ومراسل عدة صحف إيطالية حديثا الى جرائده وبينها جريدة «الكوريري ديتاليا »

. . . .

. . . .

. . . .

وكان الفضل فى حركة النشر عن الوفد فى بداية وصوله للمصريين الذين كانوا بباريس من قبل

وكان الوفد كغيره من وفود الامم المهضومة الحقوق يعتقد أن المستر ولسن هو رأس المؤتمر ودعامته فكان أول عمل قام به ارسال خطاب اليه بتاريخ ٢٢ ابريل يطلب مقابلته أما المؤتمر فلم يرسل الوفد طلبا اليه الا فى ٢٨ ابريل أى بعد انقضاء عشرة أيام على وصوله الى باريس. والظاهر أنه كان ينتظر رد ولسن بغية مقابلته قبل التقدم للمؤتمر رجاء أن يستميله الى تأييد مطالب المصريين ولكن الرئيس ولسن لم يرد على هذا الطلب غير أنه في الوقت نفسه كان يعترف بحماية بريطانيا على مصر

وكان أول ما نشر خبر اعتراف أمريكا بالحماية البريطانية في الصحف المحلية بمصر . فما كاد الخبر يظهر حتى أرسل ابراهيم سعيد باشا تلغرافا الى الوفد (في ٢٣ ابريل) ضمنه نص خطاب معتمد الولايات المتحدة للجنرال اللنبي عن الاعتراف فبادر الوفد الى ارسال احتجاج الى المستر ولسن على ذلك وقد أجاب سكرتيره بأنه تلقى الاحتجاج وسيعرضه على الرئيس

ولما كانت أول صيحة ارتفعت من الوفد في أوروبا في وجه مؤتمر الصلح الذي أقام نفسه للتصرف في مصير الامم هو الطلب الذي قدمه للمؤتمر في ٢٨ ابريل فقد رأيت أن أثبته هنا للتاريخ وهو :

« الوفد المصرى »

« الجراند أوتيل بباريس

« في ٢٨ ابريل سنة ١٩١٩

« من المحقق أن المسألة المصرية التي كانت منذ سنة ١٨٤٠ من أصعب معضلات القانون الدولي لا يمكن أن تجد فرصة ملائمة لحلها أكثر من مؤتمر الصلح

« ومن المحقق أيضا انه لا يمكن أن يكون أى حل للمسألة المصرية نهائيا الا اذا جاء مطابقا لأماني مصر ورغباتها

« واستنادا على هذا الرأى واقتناعا بأن مبادىء الحق والعدالة التى جعلت قاعدة مفاوضات المؤتمر ليست خاصة بجنس دون آخر

بل هى مشتركة بين الانسانية جمعاء جاء الوفد المصرى بتوكيل من الامة يعرض على المؤتمر الامانى القومية حتى يكون الحل الذى يقرر نهائيا ويكون بحيث يساعد على تثبيت دعائم السلام الدائم

«وقد أثبتت التصريحات التى كررت من قبل افتتاح المؤتمر أن الغاية العامة هي الوصول الي صلح دائم بتصفية جميع المعضلات السياسية على قاعدة حق الشعوب الصغيرة فى تقرير مصير نفسها بنفسها

«ومن السهل ادراك علة قلق المصريين فقد رأوا جميع الشعوب - بل مجرد قبائل أيضا - التى غيرت الحرب مركزها السياسى تدعى الى بسط أقوالها أمام المؤتمر ولكنهم حرموا وحدهم هذا الحق ومن المتعذر التذرع لتبرير مثل هذا الاجحاف في المعاملة بأي سبب مقبول يمكن أن ينطبق على المبادىء التي أيدتها الحرب والتى يجب على المؤتمر تحقيقها

« اننا وان لم ندع للحضور أمام المؤتمر لايجب أن يدفعنا هذا الاغضاء الى اليأس من عدالة المؤتمر الذى هو الهيئة الوحيدة المختصة بحل المسألة المصرية بعد سماع وفدنا

«(١) - إذا كان الاشتراك فى الحرب من الشروط الجوهرية التى تبيح للامم رفع صوتها في المؤتمر فان هذا الشرط ينطبق على مصر انطباقا تاما إذ أنها في الواقع أعلنت فى ٥ أغسطس سنة ١٩١٤

أنها في حالة حرب مع ألمانيا . ولما دخلت تركيا الحرب بعد مضى بضعة شهور صار مركز مصر دقيقا الى حد لا مثيل له إذ أنها كانت خاضعة لها . وحينئذ اقترح بعض نواب الامة الذين يحق لهم الكلام باسمها على السلطات البريطانية اعلان استقلال مصر حتى اذا ما سوى مركز البلادالسياسى على هذاالنحو تيسر لمصرأن تحارب الى جانب الحلفاء مشهرة السلاح في أى ميدان من الميادين

«ولكن هذا الاقتراح أهمل واستقرت انكلترا على حل آخر إذ أعلنت من تلقاء نفسها في أول الحرب وبسبب الحرب حمايتها على مصر رغم أمانى مصر الوطنية . على أن البلاد مع هذا قدمت أثقل التضحيات في سبيل قضية الحلفاء إلى حد اعترف معه الجنرال «اللنبي» بأن العامل المصرى كان من أعظم العوامل الحاسمة في الفوز على الأتراك . فهل من الممكن بعد هذا أن يقال ان المعضلة المصرية ليست من اختصاصات المؤتمر ؟

«(٢) ـ ان الغاء السيادة التركية الامر الناشيء عن الحرب يقتضى قسراً تغييراً في حاله مصر السياسية تلك الحاله التى عينتها معاهدة سنة ١٨٤٠ ولكن هذا التغيير لا يمكن ادخاله إلا بقرار من مؤتمر الصلح يحدد مصير مصر السياسى

«أما فحص الموضوع من جديد دون سماع آراء المصريين فيكون ثلمة ظاهرة لحقوقهم التي لم تكن للمعاهدة غاية سوى اثباتها

ولا مناص من أن يجر بحث هذه المعاهدة إلى بحث الاتفاقات التى عقدتها مصر مع غيرها من الدول وهي . اتفاقيـة أول يناير سنة ١٨٧٦ الخاصة بأنشاء المحاكم المختلطة . واتفاقية سنة ١٨٨٠ الخاصة بقانون التصفية . واتفاقية ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ الخاصة بحيدة قناه السويس حيث كان لمصر صوت استشاري. أفلا يكون من المدهش بعد هذا أن الدول الاوربية التى لم تهمل استطلاع آراء مصر في القرن التاسـع عشر فى مسائل ثانوية تأبى عليها هذا الحق في القرن العشرين وفي مؤتمر جعلت قاعدته أن حقوق الامم الصغيرة مقدسة كحقوق الامم القوية سواء بسواء !

« وفوق هذا فأن مصر لم تعمل شيئا تستحق معه هذه المعاملة المجحفة وكل ما هنالك أنها تتبعت تطورات الشعوب في طريق الرقي واشتركت أثناء الحرب فى أعباء القتال الثقيلة مع الدول التى كانت تمثل المدنية والتقدم

« (٣) ـ لقد سمع مؤتمر الصلح المقاطعات التى فصلت عن تركيا بسبب الحرب وبسبب تطبيق مبـادىء الجنسية عليها فهـل لايكون أحرى به أن يسمع الشعب المصري ذا المدنية العتيقة القديمـة الذى لو لم ترغمه الدول الاوربية على قبول السيادة العثمانية لـكان الآن مستقلا منذ قرن

« ولهذه الاسباب :

«يطالب الوفد المصرى باسم الشعب المصري من مؤتمر الصلح أن يسمح له بتقديم مطالب البلاد طبقا لقواعد الحق والعدالة التي هى قاعدة مفاوضات المؤتمر

الامضاء : سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

***

ولكن هذا الصوت لم يكن له الصدى المنشود في مؤتمر الصلح بل أهمل أمر مصر كما أهمل شأن غيرها من البلاد التي رأى المتحكمون فى مصير العالم أن يبتوا فى مستقبلها ويقرروه حسبما يريدون بصرف النظر عن رغبات تلك البلاد وأمانيها وحقوقها

ولا شك أن مهمة الوفد التي كانت شاقة لعدة ظروف أولها المركز الذى لبريطانيا العظمى في مؤتمر الصلح فقد كان المستر لويد جورج فى الواقع مسيطرا على المؤتمر يسيره كيف شاء ومتى كتب تاريخ حركة الصلح على حقيقته فسيعرف العالم مبلغ مهارة هذا السياسى الانكليزى حتى أن بعض الساسة يعدونه أقدر رجل موجود الآن

. . . .

. . . .

ومهما يكن من الامر فقد كان نفوذ انكلترا فى مؤتمر الصلح أول عقبة ولكنه في الواقع لم يكن أهم العقبات . ومع هذا فان الوفد

ظل متمسكا بشيء من الامل في الرئيس ولسن فارسل اليه فى ٢٩ ابريل صورة الطلب الذى قدمه الى مؤتمر الصلح مرفقا بخطاب أشار فيه الى الامل الذى وضعته مصر فيه (أى فى واسن) والى تأثير النداء الذى رفع به الصوت لاقامة العدالة بين الامم وقال: «أن الحق الذى نلتمسه لم يحرم منه أعداء قضية الحرية فهل يمنع منه الذين ساعدوا مثلنا على فوزها؟»

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

ومهما تكن الحقيقة فان الدور الذى لعبته السياسة الانكليزية لحمل الرئيس ولسن على الموافقة على الحماية يدل على منتهى المهارة والحذق فقد سعت لايقاع الخلاف بين فرنسا وأمريكا في المؤتمر بسبب الحدود الفرنسوية الالمانية الجديدة فقد كان المندوبون الفرنسويون يطلبون مطالب لم يقرهم عليها ولسن وكانت النتيجة ان وضعت فرنسا ضد ولسن ثم صرح المستر لويد جورج تصريحه المشهور

وفصلت اليابانيين عن الامريكيين فى المؤتمر إذ وقف الاولون

يطالبون بكياوتشاو وغيرها فى الشرق الاقصى وينادون بمبدأ المساواة بين الاجناس فلا يكون هناك فرق بين الابيض والاصفر والاسود والاحمر مثلا

واوقعت الخلاف بين الايطاليين والمؤتمر والمستر ولسن حول مسألة الادرياتيك وهكذا جاء وقت وجد فيه رئيس الولايات المتحدة نفسه وحيداً فى المؤتمر انفض من حوله مندوبو الدول العظمى ولم تبق الا انكلترا تخشى أن يغضبها فتتحول عنه وتنهدم احلامه وهى انشاء حزب الامم الذى كان يملل نفسه بان يصبح رئيسه وكانت انكلترا تمنيه بمساعدته فى ذلك

وهكذا انتهزت السياسة البريطانية فرصة انفضاض الجميع من حول ولسن واتساع الفراغ فارسل المستر لويد جورج أحد سكرتيريه ذات صباح الى ولسن بالدار التى كان يقطنها فى ميدان الولايات المتحدة قرب « التروكاديرو » وفي ظرف ربع ساعة حصل على موافقة رئيس جمهورية الولايات المتحدة على الحماية



سينوت حنا بك

الاعمال الرسمية

أرى إتماما للفائدة أن أوجز الجهود التى قام بها الوفد فى الدوائر الرسمية قبل أن انتقل الى الاعمـال الاخرى المتعلقة بحركة النشر وغير ذلك من المسائل الاخرى

وصلت فى الفصل السابق الى الطلب الذي قدمه الوفد للمؤتمر بتاريخ ٢٨ ابريل والى الخطاب الذي أرسله الى الرئيس ولسن مشفوعا بصورة الطلب المشار اليه

وقد أهمل المؤتمر أمر الوفد كما أهمله المستر ولسن فقد كانت معاهدة فرساي تجهز لتسليمها للمندوبين الالمـان وفيها المواد التى تحتم على ألمانيا الاعتراف بالحماية البريطانية

وكانت الصحف الانكليزية فى أول شهر مايو قـد نشرت موجز ماسيرد فى معاهدة الصلح عن مصر وكان يجب ان نصدق ماروته لصلة اصحابها — مثل لورد نورثكليف ولورد بيفر بروك — وصلة مراسليها بدوائر مؤتمر الصلح . ولـكن البعض كان يتغالى الى حد ما فى التمشى مع الامل ويرجوان تكون تلك الاخبار كاذبة ولـكن ٦ مايو جاء فقطعت جهيزة قول كل خطيب

فى ٦ مايو عقدت الجلسة التاريخية الـكبرى فى قصر «تريانون» بفرساى حيث سلمت شروط الصلح للالمان وقد اتيح لي ان اشهد

الحفلة بفضل وفد الصلح الامريكي الذى كان يساعدنى بعض أعضائه كثيرا

وكان المؤتمر قد قرر عدم نشر نصوص المعاهدة الاولية قبل الاتفاق عليها مع الالمان نهائيا واكتفى بنشر موجزلها تيسر لى ان احصل على صورته من الوفد الامريكي فرأيت أن اول واجب هو ان احمله الى الوفد المصرى ليعمل مايلزم من الاحتجاج للاجحاف الكبير الذى تريد الدول ان تنزله بمصر

وقد وجدت بمقر الوفد بالجراند اوتيل الرئيس سعد باشا وشعراوى باشا وحمد باشا ومحمد محمود باشا ولطفى بك السيد فاطلعتهم على القسم الخاص بمصر وترجمته شفويا الى العربية فاغتموا واكتأبوا

وقد اطلعت عليه حسين واصف باشا وصدقي باشا وتيسر لى ايضا ان احصل على صورة معاهدة الصلح قبل اعلانها باسابيع فاستخرجت المواد الخاصة بمصر منها وسلمت صورة منها لبدر بك سكرتير الوفد

وقد سبق لى ان اوردت هذه المواد حرفيا فى كتابي مع الوفد المصرى على أن الاهمية القصوى التى لها في تاريخ مصر تقضى علىّ بأن أوردها هنا ايضا لتكون الفائدة من هذا الكتاب تامة



جورج بك خياط

وهذه ترجمة الشروط الواردة في معاهدة الصلح مع المانيا :

« القسم السادس »

مصر

المادة ١٤٧ — تصرح المانيا بانها تعترف بالحماية التى اعلنتها بريطانيا العظمى على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وتتنازل عن نظام الامتيازات الاجنبية فى القطر المصرى ويكون هذا التنازل اعتباراً من ٤ اغسطس سنة ١٩١٤

المادة ١٤٨ — جميع المعاهدات أو الاتفاقات أو الترتيبات أو العقود التى عقدتها المانيا مع مصر تعد ملغاة اعتباراً من ٤ أغسطس سنة ١٩١٤

ولا يمكن لالمانيا بأيه حالة ان تتذرع بهذه العقود . وتتعهد بان لاتتداخل باى شكل فى المفاوضات التى يمكن ان تجرى بين بريطانيا العظمى والدول الاخرى عن مصر

المادة ١٤٩ — يكون اجراء القضاء فى الرعايا الالمان واملاكهم من اختصاص المحاكم القنصليه البريطانيه بقرارات يصدرها عظمة السلطان وذلك حتى ينفذ تشريع مصرى للنظام القضائى يتضمن تأليف محاكم ذات اختصاص تام

المادة ١٥٠ - للحكومة المصرية الحرية التامة في العمل لتسوية

مركز الرعايا الالمان فى القطر المصري وشروط اقامتهم فيه

المادة ١٥١ ـ توافق المانيا على الغاء الدكريتو الذى أصدره سمو الخديوي فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٤ خاصا بقومسيون الدين المصرى العلم أو ادخال التعديلات التى تعدها الحكومة المصرية مناسبة

المادة ١٥٢ ـ توافق المانيا فيما يختص بها على نقل السلطات المخولة لصاحب الجلالة الامبراطورية السلطان بموجب الاتفاقيه الموقعة فى الاستانة في ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ عن حرية المرور بقناة السويس الى حكومة صاحب الجلالة البريطانية

وتتنازل عن كل اشتراك فى مجلس الصحة البحرية . والقورنتينات في مصر وتوافق فيما يختص بها على نقل السلطات التى لهذا المجلس الى السلطات المصرية

المادة ١٥٣ ـ جميع الاعيان والاملاك التي للامبراطورية الالمانية والدول الالمانية فى القطر المصرى تنتقل بكل ما فيها من حقوق الى الحكومة المصرية دون أى تعويض

وستعد أعيان الامبراطورية والدول الالمانية وأملاكها فى هذا الشأن شاملة لجميع أملاك التاج والامبراطورية والدول الالمانية وكذلك الاعيان الخاصة التى لامبراطور المانيا السابق وغيره من أصحاب المراتب الملكية

ستعامل جميع الاملاك المنقولة والعقارات المملوكة لرعايا

ألمـان في القطر المصرى طبقا للقسمين الثالث والرابع من الجـزء العاشر (الشروط الاقتصادية من هذه المعاهدة)

المادة ١٥٤ ـ تتمتع البضائع المصرية فى دخول المـانيا بالنظام الذى يطبق على البضائع الانكليزية

***

سلمت المعاهدة كما قلت فى ٦ مايو سنة ١٩١٩ ونشرتها الصحف في مساء اليوم نفسه فأرسل الوفد احتجاجا الى مؤتمر الصلح بعد ذلك بأسبوع — أى فى ١٢ مايو — على البت فى أمر البلاد المصرية بالصفة المتقدمة هذه ترجمته :

« المسيو جورج كليمانصو »

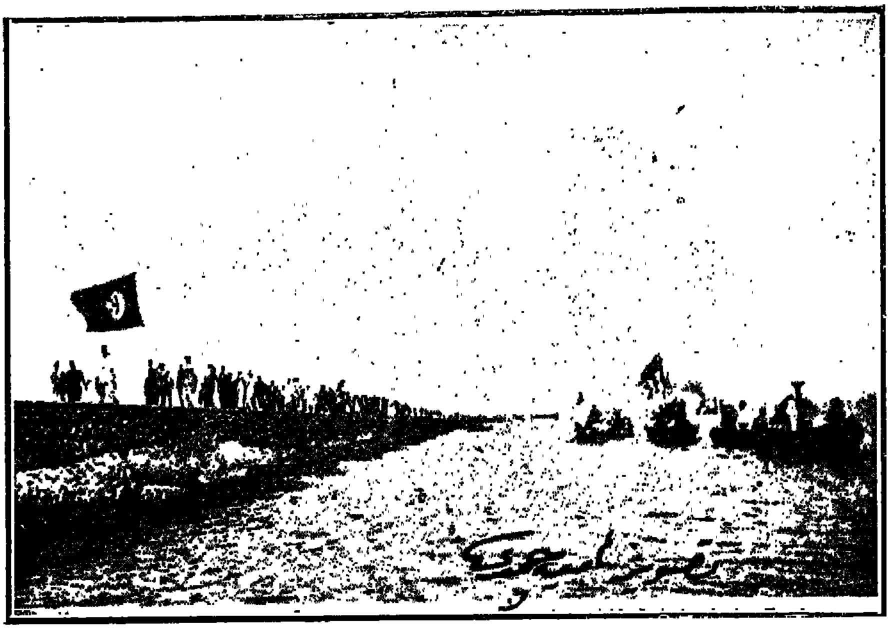
« رئيس مؤتمر الصلح ـ بباريس »

« لم يشأ مؤتمر الدول المتحالفة والمشتركة أن يطبق على مصر مبادىء الحق والعدل مع أنهـا جديرة بأن تعامل بمقتضى هـذه المبادىء نظرا لمـا قامت به من المساعدة التى أدت الى النصر . لم يشأ أن يسمع صوت مصر مع أنها كانت فى مقدمة الدول التى أعلنت أنها فى حالة حرب مع أعـداء دول الاتفاق وعانت أعظم الضحايا فى سبيل قضية الحلفاء . لم يشأ أن يسمعها مع أنهـا بلاد غيرت الحرب مركزها السياسي وقد اعترف المؤتمر بالحماية البريطانية بدون أقل مراعاة لرأى الامة المصرية وبغير أن يعير أدنى التفات

لقيام هذه الامة بأجمها فى وجه هذه الحماية وإظهارها معارضتها لها بأجلى المعانى وأوفاها

« إن العقل ليأبى إسناد مثل هـذا القرار إلى المبادىء التي من أجلها خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب والتى قررها الرئيس ولسن بعد ذلك لتكون أساسا للهدنة ثم للصلح . ولا إلى المبادىء التى أعلنت بريطانيا العظمى نفسها انها تحارب انتصارا لها . ولذلك لا يجد العقل ما يرتاح اليـه إذا صرف النظر عن هـذه المبادىء واعتمد على تحكيم العوائد السياسية التى كان معمولا بها قبل الحرب لأنه كيف يستطيع العقل البشرى أن يفسر نيل الحجاز استقلالها وهى ولاية صغيرة لا مدنية لهـا عدد سكانهـا ـ وكلهم من القوم الرحل ـ لا يذكر. ومواردها ضيقة لم تتحمل شيئا من أعباء الحرب ومصر التى قامت بنصيب وافر منهـا وعانت ما عانته فى سـبيل الفوز النهائى يكون نصيبها الرفض البات اذا طلبت أن يسمع صوتها ثم يعقب هـذا الرفض ضـياع حقوقها المقدسة في الحرية التى كسبتها بدماء أبنائها فى ميادين القتال

« لا يمكن التسليم بأن مصر التى اشتركت من أوائل القرن الماضى فى اقامة صروح المدنية وساعدت تركيا فى انتصارها الذي أدى الى استتاب النظام فى الحجاز بل فى بلاد اليونان أيضا. والتي قهرت تركيا نفسها فى ميدان الحرب يكون حظها أن تعامل بأقل



الاهالى يشيعون الوفد فى بورسعيد بالزوارق وعلى البر الى آخر الميناء

مما عوملت به شعوب أفريقيا الوسطى وقد أصبحوا اليوم محلا لرعاية ما كانوا ليحلموا بها . ليس في العالم قاض نزيه يستطيع الاهتداء إلى سبب واحد مقبول للموقف الذى اتخذه المؤتمر ازاء القضية المصرية واتخذته بريطانيا العظمى نفسها وهي التى أشهدت العالم أكثر من ستين مرة على انها لا تفكر مطلقا فى ضم مصر أو فى اعلان الحماية عليها كرها وانما هى ترمى فى سياستها الى استقلال هذه البلاد

« ونهاية القول أن العقل لا يمكن أن يرتاح لقرار المؤتمر كيفما قلبه ومهما كانت العلة التى تتخذ أساسا لتبريره حتى اذا سلم بأنه بنى على حق القوى على الضعيف لان حق القوة معناه الحرب والفتح ولاشك فى أن مصر لم تكن فى حالة حرب مع انجلترا بل كانت تحارب فى صفوفها وبجانبها ولم تفتح انجلترا مصر بل أن الامر على العكس من ذلك فان مصر هى التى ساعدت انجلترا على فتح مافتحته من بلاد العدو

« نعم إن بعض الصحف أيدت تلك النظرية القائلة بأن الشعوب الشرقية لا يمكن معاملتها بما تعامل به الشعوب الغربية وأن المبادىء التى أعلنت فى هذا الشأن قد نشأت عنها وعود لم تحسب عواقبها فهل يريدون التمسك بمثل هذه النظرية ليهدموا فى زمن السلم تلك المبادىء السامية التى أقامت الحرب بناءها وليسحبوا بعد نوال النصر تلك الوعود التى وعدوا بها من اشترك

معهم في تشييد صرحها . إذا كان الامر كذلك فكيف يمكن أن يفسروا كيفية عدم تطبيق هذه النظرية في جميع الأحوال بلا استثناء فاننا نرى بعض الامم الشرقية التي آمنت بما صدر لها من الوعود قد تحققت آمالها فعلا .

« لم يبق الافرض واحد لامفر من التسليم به وهو أن الشعب المصرى اعتبر سلعة من السلع التي يتجر فيها وهذا التصرف هو الذى كان ينقده الدكتور ولسن بشدة في خطاباته التي كان يتكلم فيها عن حق القوة وعن وجوب انتهاء عصره لانه تصرف جائر لايتفق مع روح العصر الحاضر . إنه ليشق علينا أن نفكر في أن المؤتمر قد عاملنا هذه المعاملة غير اننا لسوء الحظ مضطرون لتقرير الواقع . ومهما يكن من بواعث الاحترام الواجب لهذه المحكمة العليا فانه لايسعنا الا اثبات الواقع كما هو لأن من الاوقات والظروف مايكون فيه خطر على الانسان اذا هو لم يضح كل شيء في سبيل تقرير الحقيقة

« ولقد كان للشعوب المهضومة الحق أن تجد ما يساعدها على التذرع بالصبر فيما مضى في ذلك المثل الحكيم الذي وضعه الفيلسوف « روسو » وهو : « ان القوى مهما بلغت قوته لايضمن أن تكون له الغلبة على الدوام » أما الآن وقد أثبت الرئيس ولسن بأجلى بيان أن من الامور الممقوتة التي تنفر منها الطباع أن تسود أمة على أمة

فقد بلغ كره السيادة من نفوس الامم المظلومة انها أضحت تفضل الفناء على البقاء فى قيود الذل . ولاشك انه ما كان لتلك المبادىء الجديدة الآن تصادف فى مصر وسطا مستعداً لقبولها لان مصر بلد من سلالة كريمة المحتد نشيطة المزاج إذا تولد فيها الامل أثار غضبها على الذين يناوئونها فى استقلالها

« ان الامة المصرية لاتقبل أبداً ان تكون تلك السلعة المدعة القيمة التى تتداولها أيدى الاقوياء ولاشك انها اليوم بعد التصريحات التي قام بها ذلك الرسول الجديد فى عالم السياسة الذى تشف كلماته عن اسمى معانى الادب وأرقاها أبعد منها فى أى زمن مضى عن الرضا بمثل هذا المصير فان مجرد خوفها من عدم تطبيق مبادىء الدكتور ولسن على قضيتها قد دفعها الى تعريض صدور أبنائها وهم عزل من السلاح لنيران الرصاص القتالة ومن غريب الاتفاق أن تكون تلك الساعة هى التي تجتمع فيها عشرون دولة لتقرر موافقتها على الحماية البريطانية.

« إن مثل هذا الحل المحزن لايكون من ورائه الا القاء بذور اليأس وعوامل الغضب فى قلب الشعب المصرى.وقد قال الرئيس ولسن :ـ « ان الصلح لايمكن ان يكون صلحا وطيد الاركان الا اذا اندثر به كل أثر من آثار الحقد فى قلوب الشعوب سيان كانوا أقوياء أو ضعفاء ٠ وكان العدل موزعا عليهم جميعا بدرجة واحدة

بغير أقل تمييز بين قويهم وضعيفهم »

« فهل وقع الاختيار على الشعب المصرى ليكون ضحية تقدم فدية لحسن اتفاق الدول العظمى ؟ اذا صح ذلك فكيف يمكن التسليم بأن نكون نحن تلك الضحية ونحن أمة ذات تاريخ وماض مجيدين وما الذى كان يقدر لنا لو كنا قد انضممنا لأعداء الحلفاء عوضا عن أن نشاطرهم متاعب القتال

« ان الواجب المفروض علينا بصفتنا نواب عن الشعب المصرى يقضى علينا بأن نسمع المؤتمر صوت ذلك الشعب السيء الحظ الذى حرم دون غيره من التمتع بالعدل الذى عمت ظلاله جميع أقطار المسكونة وقد بات يرى نفسه انه انما كان يعمل للاضرار بمصالحه باشتراكه فى العمل مع الحلفاء . نعم ان صوته يرتفع عاليا للاحتجاج لأنه هو وحده الذى حرم من نعم الصلح ومزاياه مع أنه كان عاملا أمينا فى الحرب . ولكن الامة التى لها أمنية خاصة تضعها فوق كل احترام والتى تشعر بشخصيتها وتحس بحقوقها لا يمكن للغير أن يتصرف فى أمرها وهى دون غيرها صاحبة الحق فى تقرير مصير نفسها »

الامضاء « عن الوفد المصرى »

« الرئيس — سعد زغلول »

وأرسل الوفد عدا هذا تلغرافا الى مجلس الشيوخ الامريكى بتاريخ ١٦ مايو سنة ١٩١٩ بالمعنى المتقدم فلا حاجة الى إيراده هنا



محمد بك علي

بعد المعاهدة

هل انتهت مهمة الوفد ؟

هكذا انهدم كل أمل فى مؤتمر الصلح وخاب كل رجاء فى عدالة القائمين بأمره . وهكذا فتحنا أعيننا لنرى مبادىء ولسن حديث خرافة ونرى رسول حرية الامم الضعيفة ألعوبة فى يد الساسة يحركونها كيف شاءوا

ولم يقتصر الوفد فى جهاده على طرق أبواب المؤتمر ورجاله بل كان يسعى في جهات أخرى بقدر ما كانت توصله اليه وسائطه ولكنه لم يلق النجاح الذي يريده بل كان كل شيء مثبطا للعزائم داعيا الى اليأس

وقد جاءت المعاهدة التى سلم مشروعها للالمان في ٦ مايو ضربة قاسية رغم انها كانت منتظرة أو كان يصح توقعها على الاقل

وأمام الفشل في الدوائر الرسمية وغير الرسمية أخذ بعض أعضاء الوفد يتساءل هل لم تنته مهمة الوفد عند هذا الحد ؟

وقد كان رأى الاستاذ عزيز منسي أن الوفد قدم للسعى لدى مؤتمر الصلح وحمله على سماع دعواه أما وقد بت المؤتمر فى الامر فقد انتهت المهمة التى جاء لأجلها الوفد ووجب على هذا أن يعود الى مصر ليبلغ الامة نتيجة مسعاه ولكن بقية أعضاء الوفد رأوا

انه لايزال هناك بصيص امل وما دام هذا البصيص لم ينطفيء فلا يحق للوفد ان يهمله بل لابد من الدأب والسعي

وقد اصر الاستاذ على رأيه واستقال من الوفد . وطلب الاستاذ ويصا واصف اذنا بالعودة من قنصلية انكلترا

ولا انكر ان رجاء الذين اثروا متابعة الجهاد كان ضعيفا ولكن الايمان بالحق كان يشجع على الثبات

ورغم هذا كله جاء وقت تزعزعت فيه الثقة في النفوس واضمحل الامل الى حد أن قيل صراحة فى جلسة ٢٦ مايو سنة ١٩١٩ ان مهمة الوفد قدانتهت وان الامل فى الحصول على الاستقلال لم يبق وان كل قول عدا ذلك يعد مغالطة وان عملهم الآن ماهو الا تنظيم الهزيمة . وقد روى لى هذا القول بعض من سمعوه من اعضاء الوفد وورد فى الخطاب الذى قدمه على بك حافظ رمضان للوفد بتاريخ ٢٣ يونيه سنة ١٩١٩ وسيرد ذكره وذكر اسبابه فى مكان آخر

وقد ذكر لى احد العاملين ذوى النفوذ فى لجنة الوفد المركزية ان التلغرافات كانت ترد بأن جميع الابواب مقفلة وان باب الامل مغلق ولكنهم كانوا بحكمتهم لاينشرونها خشية ان يؤثر ذلك فى الروح العامة . بل كانوا اكثر من هذا ينشرون بدلا منها اخبارا مطمئنة . ولا شك ان عملهم هذا كان فى منتهى الحكمة والسداد

فقد ساعد على بقاء الروح حية

وكانت هناك ظروف لايصح اهمالها والا حوسب عليها الوفد مثل عدم انتهاء المفاوضات فى شأن تركيا وممتلكاتها ومثل المشاكل الدولية المختلفة — وغيرذلك

ورأى البعض بعد الوصول الى هذا الحد ان مجال العمل أصبح محصورا فسافروا الى « فيشي » وغيرها وبقى البعض الآخر لمتابعة العمل .

واقصد بالعمل هنا « البروباجندا » فانها الباب الوحيد الذى بقى مفتوحا

***

لم نحن بعد الوقت الذى يصح فيه للكتاب ان يتناولوا اعمال الوفد بالانتقاد أو الفحص أو أن يصدروا حكما في شأنها إذ لا تزال هناك ظروف تحول دون ذلك

. . . .

. . . .

. . . .

ولكن هذا لا يمنعنى من أن أقول كمصرى ان الخدمات التى اداها الوفد للقضية المصرية كبيرة فقد كان جهاده صراعا بين الحق والقوة التى تعتمد على ساسة دهاة قادرين لاند لهم ولا قرين

وصل الوفد المصرى الى باريس فوجد جواً جديداً ووسطا جديداً وحالات جديدة فكان اول مافعله تأليف ثلاث لجان الاولى للمالية انتخب لها رئيس الوفد وشمراوى باشا وعبد اللطيف بك المكباتى . والثانية للنشر واعضاؤها اسماعيل صدقي باشا وعبد العزيز بك فهمي والدكتور حافظ بك عفيفى والاستاذ ويصا واصف . والثالثة للحفلات واعضاؤها صدقي باشا وحسين واصف باشا وجورج بك خياط.

ونيطت اعمال السكرتارية بمصطفى بك النحاس ولا حاجة لان افصل نظام الوفد الداخلى فقد اتيت على ذلك قبلا في كتابى «مع الوفدالمصرى»

***

قلت أن الوفد عندما ما وصل الى باريس وجد جواً جديداً ووسطا جديدا وقد أدرك المصريون الذين كانوا بباريس ذلك فعرضوا عليه خدماتهم . واقترحوا عليه ان يجيئوه بعون أحزاب اليسار وهى الاحزاب الاشتراكية

وكانت لجنة الحزب الاشتراكي الفرنسوى على استعداد لاستقبال اعضاء الوفد رسميا وسماع أقوالهم

ولكن الوفد كان يرى أن اتصاله باحزاب اليسار ينفر منه أنصار اليمين واحزابه لاسيما أن احزاب اليمين كانت صاحبة الاغلبية



ويصا واصف بك

وقد رأى أن الاشتراكيين ليسوا من القوة بحيث يمكن الاستفادة منهم فأهمل أمرهم وأخذ يدق أبواب زعماء اليمين وأشباههم

وكانت التجربة قد علمت أعضاء الجمعية المصرية بباريس أنه لا رجاء في احزاب اليمين لانها قبل كل شيء استعمارية المبدأ ولانها لا تجد من مصلحتها استقلال مصر لعدة أسباب أولها الخوف مما يمكن أن يحدثه استقلالنا من التأثير بين جيراننا فى تونس والجزائر ومراكش خصوصا أن بعض هذه البلاد كانت مسرح اضطرابات وطنية فى السنوات الاخيرة . وثانيها أن للفرنسويين رءوس أموال فى مصر فاذا استقلت واخذت تسعى لرفع قيود الامتيازات خشى أن تفرض ضرائب على الثروات أو على حركة البيع والشراء أوالخ (على نحو ما هو حاصل فى فرنسا) . وثالثا لان أحزاب اليمين لا يهمها ارضاء مصر بقدر ما يهمها ارضاء انكلترا وعدم التحرش بها لسبب لا فائدة لها منه

وعلمت التجربة أعضاء الجمعية المصرية أيضا أن العون الوحيد الذى ينتظر فى فرنسا انما هو من أحزاب اليسار لانها تتبع فى دفاعها عن مصر مبادئها القائلة بحق الامم فى أن تعيش حرة متعاضدة متعاونة . ولذا اقترح أعضاء الجمعية أن يترك الوفد فى سبيله وتستمر الجمعية في صلتها باحزاب اليسار

* * *

وكان أول ماقام به الوفد من الاعمال العامة لحركة «البرباجندا» المأدبة التي أدبهـا للصحافيين الامريكيين والانكليز فى فندق « الكو تنتنتال » بباريس في ٣ مايو سنة ١٩١٩

وقد أرسلت الدعوة الى كثيرين من الفريقين فلم يحضر من الانكليز سوى مراسل واحد (مراسل الدايلى سكوتش) ويؤخذ من اسم جريدته مع هذا انها ايقوسية لا انكليزية. وحضر كثيرون من الامريكيين وبعض ضباط ملحقين بوفد الصلح الامريكى وبعض السوريين الذين بباريس مثل شكرى غانم الكاتب المعروف والمسيو الفريد عيد وصباغ بك وطلب الوفد من الجمعية المصرية انتداب خمسة من أعضائها فانتدبتهم وحضر الوليمة كاتب هذه السطور

وكنت مع من يعرفون الانكليزية من رجال الوفد نفهم المدعوين ماهية الحالة المصرية ونشرح لهم حوادثها

وبعد الطعام تكلم سعد باشا بالفرنسوية كلمات شكر موجزة ثم دعا محمد محمود باشا الى الكلام فألقى خطابة مطولة باللغة الانكليزية عن مصر وآمالها وحقوقها وما تنتظره من الدول الحرة وقد جئت عليها في كتاب « مع الوفد المصرى »

وقد كان المراسلون يتوقعون أن توزع عليهم في النهاية خطابة محمد باشا محمود مطبوعة أو كراسات أو وريقات بعنى ما تضمنته خاصا بقضية مصر على نحو ماجرت به العادة في مثل هذه الاجتماعات

والاحتفالات المخصصة بنشر الدعوة ليكون ما يوزع عليهم قاعدة يرجعون اليه في الكتابة خشية أن يكونوا قد أساءوا السمع اثناء القاء الخطابات ولكن طبع الخطابة لم يكن قد انجز بعد لبطء المطابع أو نحو ذلك فنشأ عن ذلك أن أخطأ مندوب جريدة «نيويورك هرالد» إذ قال في الغداة في جريدته أن محمد محمود باشا ذكر أن المصريين يريدون الاستقلال الذاتى (اتونومى)

وقد خطب أيضاً شكري غانم فقدم تحية الشام الى مصر وخطب مراسل أمريكى معربا عن شعور اخوانه المراسلين

وقد أظهر المراسلون الامريكيون جهلا كبيراً بالمسألة المصرية وبحالة المصريين وقد ذكر ذلك صراحة المستر رجينالد كوفمان في خطابة في آخر الاحتفال إذ قال ان الامريكيين كانوا يجهلون مسألة مصر ولا يعرفون عن المصريين شيئا بل كانوا يظنون بهم الظنون المنافية للواقع

ودلت هذه المأدبة على قيمة البروباجندا وأهميتها فانها أظهرت مبلغ السحب التي تحوط مصر — ولست في حاجة لاعادة ماذكرته في كتابى السابق عن آراء المراسلين الامريكيين في المصريين — وضرورة تبديدها . وفعلا فكر الوفد في ارسال مندوبين الى إيطاليا وانكلترا وأمريكا يقومون بحركة نشر ويفهمون الرأى العام في هذه البلاد حقيقة الحالة في مصر ومطالب المصريين

وكان الرأى فى بداية الامر أن يرسل وفد الى إيطاليا وآخر الى أمريكا ولكن البعض طلب ارسال وفد الى انكلترا أيضا وطرأت بعد ذلك ظروف اغفل معها أمر ارسال المندوبين المشار اليهم

وكان قد بذل مجهودان للحصول على اذن بالسفر لانكلترا ولأمريكا وكان الوفد قد فكر في ارسال الدكتور حافظ عفيفى بك ومحمد بدر بك الى انكلترا بصفة غير رسمية فذهب كل منهما يطلب اذنا من قلم المراقبة البريطانى . وكانت السلطات الانكليزية فعلا تشدد فى الاجراآت مع من يريدون دخول انكلترا وتطلب ايضاحات وافية . وكان كل شخص يكلف باثبات السبب الذى لأجله يريد السفر الى انكلترا وقد سئل الدكتور حافظ فقال ان الاسباب شخصية فطلب منه اثبات ذلك فقابل مستشار السفارة البريطانية وأفهمه انه عضو فى الوفد المصرى فسأله المستشار هل هو مسافر نيابة عن الوفد أو بصفته الشخصية فأجاب بأنه مسافر بصفته الشخصية ولكن للتكلم فى أمر مصر فوعده المستشار بعرض الامر على السفير ثم رفض طلبه مالم يثبت الاسباب الشخصية التي يريد السفر لاجلها أو يذكر صراحة انه مسافر بصفته من أعضاء الوفد المصرى

وسئل بدر بك فقال انه يريد السفر لزيارة أخيه في لوندره فطلب منه اثبات ذلك ولم يسمح له بالسفر الا بعد أن أجري



عبد اللطيف المكباتى بك

بحث في انكلترا دل على وجود الاخ هناك

وكنت قد طلبت ايضا اذنا بالسفر فرفض طلبي قطعيا

وكان بين المقرر ارسالهم الى امريكا عبد اللطيف بك المكباتى فذهب الى قنصلية امريكا يطلب اذنا فقيل له انه لابد ان يؤشر على جواز سفره من قنصلية انكلترا اولا فذهب الى قنصلية انجلترا فقيل له ان التعليمات المتبعة هى ان لايسمح لمصري بالعودة الى مصر او السفر الى اية جهة اخرى مالم يبلغ الامر الى الحكومة المصرية ويصل اذن منها بذلك . وقد عد عبد اللطيف بك ذلك مراوغة فلم يتمم هذه الاجراءات

وكنت فى شهر مايو عند ماوجدنا جميع الابواب مغلقة فكرت فى العودة الى مصر او السفر الى امريكا لعمل أى مجهود بقدر استطاعتى فطلبت من القنصلية اذنا بالسفر فاجبت بمثل ماأجيب به عبد اللطيف بك وقيل لى ان اذن الحكومة المصرية قد يقتضي ستة اسابيع أو اكثر اذا كان الطلب سيرسل اليها بطريق البريد ونصف المدة اذا كان بالبرق ففضلت الثاني ودفعت خمسين فرنكا رسوم التلغرافات وطلبت اذنا بالسفر الى امريكا أو العودة الى مصر وفى اليوم نفسه طلب ويصا واصف بك اذنا بالعودة ودفع خمسين فرنكا مثلي وفى ٤ يونيه اخبرنى ويصا بك انه كان بالقنصليه وان الاذن وصل له ولي ولكنى وجدت ان جل نقودي قد نفدت وان الباقى منها لايكفى لنفقات

***

وكان الوفد الى هذا الحين لم يعمد الى البرو باجندا بواسطة الطبع والنشر في كل مكان الا الى حد محدود خشية ان يكون فى ذلك ما يعرقل المساعى التى يبذلها في الدوائر الرسمية فترك مسألة النشر للجمعية المصرية التى اخذت فى العمل لاصدار مجلة باسم « مصر » وعضدها بشيء من المال

وعمد الوفد الى طرق أبواب الاشتراكيين إذ انقطع كل أمل له فى غيرهم ورأى أن يساعد جريدتهم ماليا فدفع لها بواسطة لطفى بك السيد سبعة آلاف فرنك ولكن بعض أعضاء الجمعية المصرية لاحظ أن المبلغ ضئيل جداً فزيد الى خمسة عشر ألف فرنك غير أن مجلس ادارة الجريدة قرر رفض المبلغ فرأى سعد باشا ارساله الى اكتتاب كان مفتوحا لتخليد ذكرى جوريس زعيم الاشتراكيين الذى قتل قبيل الحرب

ورأى الوفد حملة بعض الصحف مثل الطان فسعى الى اجتذابها مع غيرها والحصول على عضدها اذا أمكن وكانت هناك ثلاث جرائد اراد استخدامها طلبت احداها ثمانمائة الف فرنك والثانية أربعمائة الف والثالثة مائتي الف

حركة أمريكا

لا أريد أن أعيد شيئا مما يعرفه القراء عن حركة المستر فولك في أميركا مما سبق لى نشره في كتابي مع الوفد وإنما اكتفي بأن أترك الكلمة للمستر فولك نفسه فقد كتب تقريراً وافيا بذلك في ٢٥ مارس سنة ١٩٢٠ ضمنه معلومات لم يسبق نشرها ويهم القراء من الوجهة التاريخية الاطلاع عليها

ويصح أن أذكر قبل ذلك كيف اتصل المستر فولك بالوفد فان هذا لم يسبق نشره من قبل

يرجع الفضل فى اتصال المستر فولك بالوفد الى الدكتور حافظ بك عفيفي وذلك أنه كان بايرلندا مدة تمرنه بعد اتمام دراسته فعرف بعض الايرلنديين من رجال الحركة الايرلندية الآن وحدث أن التقى بهم في باريس حيث جاءوا يطالبون مؤتمر الصلح بتقرير استقلال بلادهم مثلنا

وكان الدكتور حافظ بك يزور أولئك الايرلنديين ويتردد عليهم ومما أذكره عرضا أنه عرفني ببعضهم كما عرفني بالجنرال هرتزوج رئيس وفد جنوب أفريقا

وكانت الفكرة متجهة فى بداية الامر الى تكليف المستر فرانك والش بالدفاع عن قضية مصر فى أمريكا عند عرض معاهدة

الصلح على مجلس الشيوخ

وكان المستر والش في ذلك الحين رأس الوفد الامريكي الذى ذهب الى باريس وبريطانيا يطالب باستقلال ايرلندا وقد دارت المخابرات بينه وبين الوفد المصرى بواسطة الدكتور حافظ عفيفي ولكن المستر والش رأى بعد ذلك لاعتبارات كثيرة أن يكلف غيره بالمهمة فاقترح المستر جوزيف فولك

والمستر فولك عمدة فى المسائل الدولية كان فى وقت ما مستشاراً قضائيا لوزارة خارجية الولايات المتحدة وله شأن يذكر في قضايا دولية هامة

وتبادل المستر والش المكاتبة مع المستر فولك وانتهى الامر بقبول الثانى تولى القضية المصرية . وانى كما قلت أترك له الكلمة فى بسط الجهود التى قام بها والنتائج التى حصل عليها

وهذا تقريره عنها:

قد لا يكون من العبث وضع تقرير عام عن القضية المصرية على سبيل الاخبار

كان الشعب الامريكى ومجلس الشيوخ الامريكى يجهلان المسألة المصرية جهلا تاما عندما تقدمت فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩١٩ والقيت الخطابة التى نشرت وأظهرت عدالة القضية المصرية تفصيلا . ومنذ ذلك الحين خصصت ليلى ونهارى بالمسألة وكلمت كل عضو



المستر والش

من اعضاء مجلس الشيوخ في صددها وكنت اكرر الكلام مع بعضهم عدة مرات

وكان المستر لودج رئيس مجلس الشيوخ يظن فى بداية الامر انه ليس من المتيسر عمل شيء ولكني اجتمعت به عدة مرات كانت نتيجتها اقناعه بضرورة تأييد القضية المصرية اقتناعا تاما وقد دافع عنها بهمة زائدة منذ ذلك الحين وصارت أكثرية لجنة الشئون الخارجية ترى مثل رأيه أيضا

ولما عرضت معاهدة الصلح على مجلس الشيوخ لاول مرة فى نوفمبر الماضى قدم المستر أون عضو المجلس التحفظ الآتى :

« المفهوم أن حماية بريطانيا على مصر . الحماية التى تعترف بها المانيا ليست سوى وسيلة بواسطتها تنقل سيادة تركيا الاسمية على مصر الى الشعب المصرى . . . . . .

. . . .

ولا تعد حرمانا للشعب المصرى من أى حق من حقوقه في الحكم الذاتى

وقد وافق ٣٧ عضوا على هذا التحفظ ورفضه ٤٦ عضوا وهذه أسماء من وافقوا عليه

بول	فرانس	مكرمك	بويندكستر
بوراه	فريلنجهويزن	مكاين	ريد
براندجي	جور	موزز	شيلوش
كالدر	جرونا	نيو	سموت
كابر	جونسون	نيوبرى	سذرلاند
تشامبرلن	جونز	نوريس	والش
كومنز	كينون	اون	واطسن
كرتس	لافولت	بنروز	
الرجان	لنروت	فيلان	
إلكنز	لودج	فيس	

وبدىء العمل مع وزارة الخارجية وبعد اجتماعات واستشارات لا حصر لها تيسر الحصول على خطاب من الوزير لانسنج الى المستر أون بتاريخ ١٦ ديسمبر سنة ١٩١٩ يقول فيه ان الولايات المتحدة لم تعترف برقابة على الشئون المصرية الا على النحو الذى ورد في الاعلان الذى أبلغته الحكومة البريطانية للولايات المتحدة فى ١٨ ديسمبرسنة ١٩١٤ وأن الولايات المتحدة توقعت ان بريطانيا العظمى ستنفذ التأكيدات التى أعطاها ملك انكلترا جورج الخامس لسلطان مصر السابق في خطابه الذى نشرته جريدة التيمس (التى تصدر بلوندره) فى ٢١ ديسمبرسنة ١٩١٤

ويدل التصريح الذى أبلغته الحكومة البريطانية لوزارة الخارجية الامريكية فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ دلالة واضحة على أن الحماية كانت ضرورة حرب فقط اذ السبب الذى ذكر فى اعلانها ان تركيا اعتدت على مصر فتحتم على بريطانيا العظمى أن تتولى حماية الشعب المصرى

وقد كنت أول من وجد الخطاب المرسل من الملك جورج الخامس الى سلطان مصر وكان عثورى عليه أثناء اعدادى الموجز الذى أعددته للجنة الشئون الخارجية بعنوان « فى قضية مصر »

وهذا الخطاب. . . . . يؤكد للشعب المصرى ان الحماية ماهي الاضرورة للاحتفاظ بكيان مصر واستقلالها اثناء الحرب . وقد نقض الخطاب الذى كتبه الوزير لانسنج الاعتراف الذى صدر بالحماية وأقل مافيه أنه قصره على الرقابة اثناء الحرب وهي تختلف عن الرقابة التى اعترفت بها الولايات المتحدة

وقد كان خطاب وزارة الخارجية نتيجة مفاوضات جرت مدة اسابيع مع كثيرين من موظفى هذه الوزارة وقد أبلغ لاعضاء مجلس الشيوخ الامريكى وأعضاء البرلمان البريطانى

وعرضت المعاهدة ثانية على مجلس الشيوخ فى شهر فبراير فقدم المستر أون التحفظ التالى :

« تفهم الولايات المتحدة أن الحماية المشار اليها فى القسم السادس

من المعاهـدة . . . . ضرورة قضت بها الحرب لحفظ كيان مصر واستقلالها أثناء الحرب »

وقـد قابلت جميع أعضاء مجلس الشيوخ ثانية وترددت على بعضهم مرات كثيرة وتيسر تحويل عدد من الاعضاء الديموقراطيين الذين كانوا ضد التحفظ الاول واكتساب عضدهم للتحفظ الثانى وكان هنالك ٥٣ عضوا اتفقوا على اعطاء أصواتهم بالموافقة عليه وهم :

من الجمهوريين :

بول	فرناند	لنروت	فيس
بوراه	فرانس	لودج	پويندكستر
براندجى	فريلنجهوزن	مكورمك	شرمان
كالدر	جردنا	مكاين	سموت
كابر	هاردنج	موزز	سبنسر
كومنز	جونسون	نيو	سذرلاند
كرتس	جونز	نيوبرى	واطسن
دلنجهام	كنيون	نوريس	وارن
إلكنز	نوكس	پايج	
فول	لافولت	بنروز	

ومن الديموقراطيين :

اشرست	اوفرمان	روبنس	والش

تشامبرلن	أون	شيلدز	فلتشر
جور	فيلان	سمث	نوجنت
ميرز	ريد	ترامل	

وقد وصلت لجنة الشئون الخارجية الى التحفظ الخاص بمصر في يوم الاثنين ١٥ مارس سنة ١٩٢٠ فألقى المستر أون خطبة في تعضيده وألقى المستر لودج رئيس اللجنة خطبة عظيمة يؤيد بها التحفظ وكذلك خطب المستر مكورمك عضو مجلس الشيوخ عن ولاية « اللينوا » والمستر نورس عضو ولاية « نبراسكا» والمستر روبنسن عضو ولاية « اركانساس » والمستر ريد عضو ولاية « ميسورى »

وقد عارض المستر سترلنج عضو ولاية دا كوتا الجنوبية بدعوى انه أعلن (وقد نشرت ذلك جريدة « واشنطن بوست » في ١٤ مارس) أن لجنة ملنر ستشير بالغاء الحماية . وارتأى المستر سترلنج انه لا يصح فى هذه الحالة الموافقة على التحفظ

واعترض المستر كيلوج عضو ولاية « منيسوتا » بدعوى ان الحماية المذكورة فى المادة ١٤٧ وصفت بأنها الحماية التى أعلنت في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وان تصريح الحكومة البريطانية وقت إعلانها وتصريح ملك بريطانيا يدلان على انها لم تكن سوى ضرورة حربية فهو (أى عضو منيسوتا) يرى أن التحفظ غير لازم

لانه يحوى شيئا ظاهراً من نفسه

وكان جليا ان المجلس سيوافق على التحفظ بأغلبية تفوق الاغلبية المنتظرة غير انه عند ما أوشك المجلس أن يقترع عليه عرض المستر شيلدز تعديلا ينص على الاعتراف فوراً باستقلال ارلندا . وعرض المستر توماس تعديلا ينص على الاعتراف باستقلال كوريا وعرض المستر كنج تعديلا ينص على الاعتراف باستقلال بلد آخر ولو اقترح المستر أون تأجيل هذه الاقتراحات للنظر فيها بالترتيب لانتهى الامر على ما يرام ولكنه — كما قال لى — لم يشأ اغضاب الاعضاء المناصرين للتعديلات الاخرى

وكان عرض التحفظ الخاص بمصر يوم الاثنين وقد دامت المناقشة فى شأنه عدة ساعات بعد ظهر الاثنين ثم أرجئت الى يوم الثلاثاء وقد استمرت الخطابات طول بعد ظهر الثلاثاء وقدمت التعديلات المتقدمة فى ساعة متأخرة وقد قابلت المستر لودج بعد التأجيل فذكر انه مع أنصاره يؤيدون التحفظ المصري ولكن بعض أنصاره لا يظنون ان فى قرار المصادقة محلا للتعديل الايرلندى ولما كانوا لا يريدون ـ لأسباب سياسية ـ الاقتراع ضده فقد يرون ضرورة ترتيب المسألة كلها ترتيبا دوريا وتبويبها

وقد عرض المستر كيلوج فى جلسة الاربعاء ١٧ مارس سنة ١٩٢٠ الاقتراع على ترتيب المسألة كلها فوافق على ذلك المستر



المستر فولك

لودج وأنصاره جميعا وعارضه نحو عشرين من الديموقراطيين . ولم يهزم التحفظ المصري بل كان من المتيسر عرضه ثانية ولكن المستر أون اعترض على ذلك مفضلا تقديم اقتراح على حدة

وقدم المستر نوريس تحفظا عكس تحفظ المستر أون على خط مستقيم فقد كان ينص على رفض الاعتراف بالحماية كلية في حين ان تحفظ أون ينص على الاعتراف بالحماية كضرورة حربية فقط يجب أن تنتهي بانتهاء الحرب

وقد قدم تحفظ المستر نوريس بغير استشارة أحد من أصدقاء القضية المصرية ولم يلق اعتباراً كبيراً

وحدث ان عرض المستر جرى عضو جزيرة رود تحفظا ينص على ان الولايات المتحدة تصرح بأنها تتمسك بمبدأ حق الامم في تقرير مصير نفسها بنفسها . وقد وافق المجلس على هذا التحفظ في النهاية بأغلبية ٣٨ صوتا ضد ٣٦ صوتا إذ صوت جميع الديموقراطيين له وصوت الجمهوريون ضده . فلو أن التحفظ المصري عرض في ذلك الوقت لما حصل على موافقة الديموقراطيين فقط بل على موافقة المستر لودج وانصاره (نحو ٣٨) أيضا ولنال مصادقة المجلس بسهولة ولكن المستر أون كان يخشى أن يحدث شيء مايعرقل سير التحفظ ولذا لم يقدمه

***

. . . .

هذا تقرير المستر فولك الذى كتبه فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٠ وقد ختمه بقوله :

اذا عرضت معاهدة الصلح على مجلس الشيوخ مرة أخرى فستحول على لجنة الشئون الخارجية حيث تسهل اضافة التحفظ واذا لم تعرض على المجلس فسيقدم المستر أون اقتراحا منفصلا أثق بأن لجنة الشئون الخارجية ستصادق عليه دون ابطاء وكذلك مجلس الشيوخ

ان المستر لودج متغيب عن المدينة الآن وسيعود بعد نحو عشرة أيام وسأقابله بمجرد عودته واقرر خطة العمل

. . . .

واذا نظرنا الى أن الولايات المتحدة لم تكن تعرف شيئا ما عن المسألة المصرية والى انه لا يوجد فى البلاد الا عدد قليل من المنتخبين المصريين (يعنى متوطني أمريكا من المصريين الذين لهم حق الانتخاب) لرأينا أن تقدما عظيما تم فى ستة شهور وهى مدة قصيرة

ان مسألة استقلال بلد ليست مسألة يوم أو أسبوع أو شهر وانما هي نتيجة جهود متوالية مدة سنوات. على أن قضية مصر واضحة جلية جداً من الوجهة الدولية فلا يستغرق زمن طويل

لاقامة استقلالها طبقا لمبادىء القانون الدولى

الامضاء — جوزيف فولك

***

ولا أجد حاجة بعد ما ورد في تقرير المستر فولك لذكر شيء عما حدث فى أمريكا فقد نشرت الصحف التفصيلات العامة

وقد كلفت حركة أمريكا الوفد نفقات جسيمة

تكريم المرأة المصرية

مما يجدر بالذكر من أعمال الجمعية المصرية بباريس الاحتفال الذى أقامته تكريما للمرأة المصرية . وقد خطبت فيها السيدة جيهان ديفراى وهى ذات خبرة بمصر فقد كانت زوجة مصرى . وقد تكلمت عن النساء فى العهد الماضى لا سيما عهد كليوباطره وعن الدور الذى قمن به أخيراً وكانت السيدة شديدة التأثر الى حد أنها لم تستطع اتمام خطابتها فاختصرتها

وتكلم بعدها المسيو أبانسور وهو ليسانسيه في الآداب ويشتغل بالتدريس

وأدبت بعد ذلك مأدبة فى صالة دار الجمعيات العلمية تكلم فيها عبد العزيز بك فهمى عن مسألة تعدد الزوجات وحضرها حمد باشا الباسل وعبد اللطيف بك المكباتى ومحمد بك على

وكان عدد من حضروا المحاضرة نحو ٣٥٠ شخصا

مصر بين الماسونيين

وأقامت الجمعية احتفالا فى المحفل الفرنسوى الاكبر بشارع « بوتو » بالدار رقم ٨ فى منتصف الساعة التاسعة من مساء ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٠ وقد وزعت لذلك رقاع الدعوة وذكر فيها أن الاحتفال تحت رئاسة الاخ الكلي الاحترام فيلهوف الرئيس الاعظم والاخ جينودو مساعد رئيس أعظم سابق

أما الخطباء فكانوا الاخوان جينودو وبلوندل والنائب جود

وحضر الاحتفال صاحب الدولة البرنس محمد على شقيق سمو الخديوي السابق وحضره من رجال الوفد حمد باشا الباسل ومحمد محمود باشا وعلى بك ماهر

ولم يكن عدد الحاضرين كبيراً إذ فات منظمى الحفلة أن يذكروا فى تذكرة الدعوة أن الليلة بيضاء للماسون وغير الماسون

وقد خطب المسيو جينودو فبسط المسألة المصرية بأسهاب وشرح الحوادث التى وقعت فى شهري مارس وابريل شرح شاهد عيان إذ كان مديراً لليسيه الفرنسوية بالاسكندرية

وقد أنصف المسيو جينودو المصريين فى خطابه وكان خير شاهد عدل

وتلاه النائب جود صاحب الخطابة المشهورة فى مجلس النواب

الفرنسوى فى العام الماضى وهى الخطابة التى ذكر فيها كلما نصو بتصريحاته سنة ١٨٨٢ عن مصر وعن كفاءة الشعب المصرى ومقدرته

وكانت خطابته فى المحفل الماسونى قصيرة حوت موجز ما قاله فى مجلس النواب وقد قال فى ختامها : « على أصدقائى المصريين الذين يعرفون مبلغ شعورى نحوهم ونحو الفلاحين من مواطنيهم على وجه خاص أن لا يغرروا بأنفسهم . . . . فليتابعوا الجهادفان الاستقلال دائما فى نهاية الطريق »

وخطب النائب فيدال الذى كان رئيسا لتحرير جريدة «اليى» وكان قدطاف ايرلندا فتكلم عن جهاد الامم فى سبيل حقوقها ووجوب المثابرة والثبات

وتكلم عن الوعود التى يتلقاها الايرلنديون ورفض هؤلاء لكل تسوية دون أمانيهم

وتكلم بعد ذلك الاخ بلوندل عن التطورات المختلفة التى مرت بالفنون فى القطر المصرى غير أن خطابته كانت مملة

وبعد ذلك عرض على الحاضرين قرار يعرب عن عطفهم على القضية المصرية فوافقوا عليه بالاجماع

وبعد ذلك خطب دولة البرنس محمد على فشكر الحاضرين وشكر الماسونية الفرنسوية التى أيدت المصريين وابدت عطفها عليهم فى مواقف عديدة . ومما يذكر أن الامير من كبار رجال

الماسونية المصرية وقد كان على ما أظن رئيسا أعظم لشرق مصر
ويقدر عدد الحاضرين وبينهم المصريون بنحو مائتي شخص

في صالة جافو

واقامت الجمعية المصرية بباريس حفلة موسيقية فى مساء الجمعة ١١ يونيو بصالة «جافو» بشارع «بويسى» تحت رئاسة المسيو كلود فادير الكاتب المشهور . وكانت رئاسة الشرف للكاتب الكبير أناتول فرانس وقد اشترك فيها نفر من أكبر الممثلين والممثلات فى «الكوميدى فرانسيز» و«الاوبرا كوميك» وغيرهما من التياترات الكبرى وبينهم مدام سلفان . ومدام سيجون. ومدام فيبر. ومدام برت بوف. ومدام جان فابر الخ الخ

وقد غصت القاعة بمن حضروا والقى المسيو كلود فادير خطابة جليلة عن مجهود مصر فى الحرب وحقوقها وقد ذكر هذا فى قالب الكلام عن مجد مصر

وحضر هذه الحفلة أيضا البرنس محمد على وفي نهاية خطابة المسيو فارير ذهب الامير اليه وشكره عليها

فى داخلية الوفد

حركة النشر ــ مسألة صدقى باشا وابو النصر بك ــ استقالة علي بك حافظ رمضان ــ استقالة حسين واصف باشا ــ مسألة حمد باشا الباسل والمكباتى بك ــ بين الجمعية المصرية وسعد باشا

***

كانت حركة الطبع في الوفد فى بداية الامر بطيئة وأكبر سبب لذلك انه كان يهتم بالجانب الرسمى من العمل وكان البعض يرى ان النشر قد يعرقل مساعيهم فانهم انما جاءوا لدخول مؤتمر الصلح والوصول الى حل مسألة مصر على يده

ولكن هذا الرأى لم يحل دون طبع مذكرات قصيرة عن القضية المصرية وارسالها الى رجال السياسة

ولم تبدأ فكرة النشر بصفة جدية متتابعة الا فى شهر أغسطس سنة ١٩١٩ وقد أخبرنى بعض من كانوا على اتصال بالوفد فى ذلك الحين ان الاهتمام بالنشر جاء علي أثر مقالة كنت قد أرسلتها الى جريدة « وادي النيل » أثناء وجودي بباريس بعنوان « مصر والمصريون فى نظر بعضهم » تكلمت فيها على أهمية «البروباجندا» وضربت الامثال بما فعلته الامم المهضومة الحقوق فى هذا الشأن وما أنفقته فى سبيل حركة النشر وماجنته من وراء ذلك من الفوائد

وحدث فى شهر يونيو أن أوراقا وردت للوفد من مصر تحوي تفاصيل مسائل تجري البحث فى أمر نشرها بواسطة الطبع . وكان رأي سعد باشا — على ما قال لى بعض أعضاء الوفد — فى بداية الامر عدم النشر ثم عاد فرأى ضرورة النشر

وقد تقرر ذلك فعلا بعد مناقشات عنيفة جداً فى أواخر الاسبوع الثانى من شهر يونيو سنة ١٩١٩ ولكن عضوين من أعضاء الوفد انسحبا من الجلسة التى صدر فيها القرار احتجاجا عليه

وكانت وفود جنوب أفريقيا تزمع الاتفاق مع بعض الصحف لتؤيدها فاتجهت فكرة بعض رجال الوفد الى دفع مبلغ من المال لقاء أن تكتب تلك الصحف عن القضية المصرية أيضاً

وقد أثارت مسألة الطبع فى الوفد اختلافا شديداً بين بعض الاعضاء وبقية الوفد وأثارت عواصف المناقشات الحادة

***

وفى الاسبوع الثالث من شهر يونيه وضع تقرير بالحوادث وطلب من أعضاء الوفد توقيعه فاحتج ستة أعضاء بينهم صدقى باشا وابو النصر بك . وقد سميتهما دون غيرهما لاظهر منشأ الحادثة التى انتهت بانفصالهما عن الوفد ولاكتها الالسن فى وقت ما وأشاعت حولها اشاعات غريبة لا صحة لها . أما الاربعة الباقون

ممن ذوي المكانة في الحركة الوطنية . وكان لبعضهم فيما بعد شأن كبير سواء بالكتابة في الصحف أو غير ذلك

وكان صدقي باشا يرى أن يكتفي في النشر بطبع البيانات وارسالها الى أعضاء مجلسي العموم واللوردات بانكلترا

وثار مثار المناقشة في جلسة ٢٣ يونيه سنة ١٩١٩ واشتد الاخذ والرد الى حد أن وجه أحمد لطفي السيد بك الى اسماعيل صدقي باشا كلمات جارحة شخصية لا صلة لها بموضوع المناقشة .

وكانت نتيجة هذه الجلسة أن استقال علي بك حافظ رمضان بخطاب قال في صدره انه عرض خدمته على الوفد رجاء أن يخدم بلاده فقبلت وعين مستشاراً فجاء وكله أمل في خدمة مصر ولكنه لاحظ منذ أول جلسة تطاول بعض الاعضاء على البعض الآخر ..... الخ الخ الخ . ثم انتقل علي بك الى ذكر الكلمات التي وجهها لطفي بك السيد الى صدقي باشا وأشار الى حوادث أخرى من هذا القبيل وقعت قبلا

وقال علي بك في خطابه انه يرى أن مهمة الوفد قد انتهت فعلا وانه يجب عليه أن يعود الى مصر ليطلع المصريين على ذلك حتى يتدبروا أمرهم . وقال ان رأيه هذا يطابق ما قاله سعد باشا في جلسة ٢٦ مايو سنة ١٩١٩ وهو : ان مهمة الوفد انتهت . وانه لم يبق أمل في الحصول على الاستقلال التام . وان كل قول عدا

ذلك يعد مغالطة . وان عملهم الآن ما هو الا تنظيم للهزيمة

ومبلغ علمى أن لطفى بك السيد اعتذر لصدقى باشا عما حدث

وان على بك حافظ رمضان سحب خطابه هذا بعد أسابيع

وبلغنى أيضا أن ابو النصر بك قدم خطابا أيضا ثم سحبه

***

وسافر صدقى باشا الى « فيشي » متألما من أمور كثيرة عدها ماسة بكرامته مرقلة لجهوده كعضو نافع فى هيئة الوفد وكذلك سافر أبو النصر بك كما سافر غيرهما وأثناء غيابهما قرر الوفد فصلهما وقد قيلت فى طريقة تقرير ذلك أقوال لا أرى إثباتها هنا لأنى لم أتمكن من التحقق من ذلك بصفة قاطعة

ولامر ما لم يبلغ الوفد القرار الى صدقي باشا ومحمود بك أبو النصر وحدث أن الثانى ذهب الى مقر الوفد بعد عودته من «فيشى» وهو لا يعرف أنه فصل ومع ذلك لم يخبره أحد بقرار الفصل الى أن سمعه من على بك حافظ رمضان نقلا عن عبد اللطيف المكباتى بك فان على بك كان لا يزال مستقيلا من الوفد

ولم يعلم صدقى باشا بالخبر الا في مارسيليا من أبى النصر بك عند سفرهما الى مصر

هذا موجز الظروف التى أحاطت بانفصال صدقى باشا وأبى النصر بك ويقال ان الثاني أخذ عليه ارسال خطابات لاصدقاء له بمصر

وردت فيها عبارات عدها سعد باشا ماسة به ومهما يكن من الامر فبلغ بحثي وعلمي أنه لاصحة مطلقا للاشاعات الغريبة التي نشرت عند عودتهما عن اتصالهما بالسفارة البريطانية أو نحو ذلك من تهم الخيانة الشنيعة . ولا جدال في انهما كانا مخلصين في جهودهما كبقية رجال الوفد وكانا يخدمان القضية بكل اخلاص ونشاط الاول بخبرته السياسية ومقدرته العظيمة ومعرفته بأساليب الاوساط السياسية والرسمية والثاني بصلاته الكثيرة في الدوائر المختلفة مذ كان استاذاً للغة العربية بكلية اللغات الشرقية بباريس

*
* *

وبمناسبة الكلام على حادثة صدقي باشا وابي النصر بك يصح اتماما للفائدة أن أشير الى استقالة حسين واصف باشا

استقال واصف باشا في شهر مايو على اثر مناقشة حادة بينه وبين شعراوى باشا وسعد باشا حول الاكتتاب وقد رأى واصف باشا أن الكلمات التي وجهت اليه مهينة لا تتفق مع كرامته فاستقال

ولم ينفصل أحد عن الوفد بعد ذلك الى ان وقع الاختلاف الذى ادى الى انقطاع المكباتي بك ومحمد باشا الباسل عن الوفد مدة من الزمن على اثر خلاف بين كل منهما وبين سعد باشا

اما شعراوى باشا فعاد على أثر شيء من الفتور خاص بتقدير مهمة الوفد وطريقة التصرف في الاموال التي عهدت اليه بصفته

أمين صندوق الوفد

وقد تولى أمانة الصندوق بعده المكباتى بك ووقع خلاف بينه وبين الرئيس حول مهامه فانقطع المكباتى بك وترك أمانة الصندوق لحمد بك على وأخذ يعضد الجمعية المصرية ودفع لها خمسمائة فرنك اعانة

***

اما ابتعاد حمد باشا زمنا ما فيرجع الى صلته بالجمعية المصرية ومسالكها فى وقت ما تلقاه سعد باشا

وكان هذا المسلك فى الوقت الذى كتب فيه بعض الصحف يقول انه ينتظر أن يتم الاتفاق بين الانكليز وزغلول باشا نظير ترضيات شخصيه تسدى لمعاليه

وكان جل أعضاء الجمعية يذهبون أكثر الليالى للسهر والسمر عند حمد باشا وكان يحضر أحيانا المكباتى بك

وفى ليلة ذهب البعض مع أحد الطلبة المعروفين وفى الغداة أخبر الدكتور والي الجمعية بان حمد باشا يريد الالتحاق بالجمعية فسر أعضاؤها بذلك وتقرر قبوله

وقد القى حمد باشا عند دخوله الجمعية خطابة قال فيها انه على استعداد لدفع عشرة أضعاف رسم الدخول والاشتراك الشهرى . وقد ساعد الجمعية فعلا وشجعها كثيراً . والظاهر ان حمد باشا كان فى

ذلك الوقت على شيء من الفتور مع سعد باشا ولكنه لم يكن قد ابتعد عن الوفد بعد

كانت الجمعية تتناقش في الاشاعات التى حامت حول سعد باشا خاصة.. ورأى البعض انه لم يكذب الخبر (كذبه فيما بعد) . ثم رأى انه لم يبادر الى الاحتجاج على بعض المسائل . في الحال بل تأخر فى ذلك أياما فعمد البعض الى ارسال خطابات اليه منهم شخصيا فيها عبارات شديدة وارسلوا اليه خطابات كانت ترد عليهم من بعض المصريين في سويسرا وفرنسا وانكلترا ومصر

ومما يذكر ان البعض ارسل الى لطفي بك السيد عقب مؤتمر الجمعيات المصرية كارت بوستال عليها صورة حمامة اشارة الى مسألة دنشواى

وطرحت مسألة الاشاعات على بساط البحث فى الجمعية فتقرر فى النهاية باجماع الآراء — ماعدا اثنين — ارسال خطاب لسعد باشا . وقد أرسل بالعربية وقيل فيه : انا قرأنا في الصحف اشاعات مخجلة فيها ان سعادة زغلول باشا رئيس الوفد المصرى سيقبل بعض منح ولما كان لم يظهر أى تكذيب فى الصحف رغم انتشار الخبر فنرجو اما أن تكذبه أو تسمح لنا بتكذيبه وسيذهب عضو بعد ٤٨ ساعة لاخذ الرد

وارسل الخطاب مسجلا فاستاء سعد باشا ولم ترسل الجمعية أحداً لاخذ الرد بل بعثت بخطاب آخر تطلب الرد كتابة .ولفتت نظر سعد باشا الى تكرار ظهور تلك الاشاعات فى الصحف وما ينشأ عن ذلك ولم تتلق الجمعية رداً ما

وظل الامر عند هذا الحد الى ان وصل على بك ماهر فرأى ان يتلافى الخلاف

وساعد على اعادة المياه الى مجاريها ان التيمس نشرت وقتئذ خبراً قالت فيه ان فى الوفد المصرى خلافا فرأى الرئيس وزملاؤه انه لا بد تلقاء ذلك من لم صفوفهم وجمع كلمتهم . ووعد حمد باشا سعد باشا بان يحمل الجمعية على ارسال خطاب اعتذار اليه

وقد عرض حمد باشا الامر على الجمعية فملا فرفضته واكتفت بارسال لجنة منها لتبلغ سعد باشا انها لم تقصد اهانته أو الاساءة اليه

وذهبت اللجنة يوم أحد فلم يقابلها سعد باشا بل قابلها على بك ماهر ورأى ان تكتب الجمعيه خطابا لسعد باشا فرفضت الجمعية مدة من الزمن ثم كتبت أخيراً خطابا رؤي انه غير واف وطلب منها تعديله فرفضت وبقيت كذلك الى ان عاد محمد محمود باشا من أمريكا فتوسط في الامر وازال الخلاف بقبول الخطاب المكتوب



محمد بدر بك

مطبو

ليس الغرض م
نشرها الوفد في جهاد
الالمام بما فعله في هذا
شاملا من الوجهة التا

ويجب في هذه
الوفد الى المؤتمر وبين

ولما كان هذا الـ
أجد مجالا لذكر المذ ك
سفره من مصر

كان أول عمل ر
من وصوله الى باريس
١٩١٩) وقد اثبته في ف

وفى ١٥مايو اوسا
التي سلمت للالمان في ٦ م
على الاعتراف بالحما
مذكرة أخرى من هذا الق
التي سلمت للنمسويين ف

مطبوعات الوفد والنشر

ليس الغرض من هذا ترجمة المذكرات أو الاوراق التى نشرها الوفد فى جهاده أو ارسلها الى الدوائر السياسية المختلفة وانما الالمام بما فعله فى هذا الشأن على وجه عام يكون في الوقت نفسه شاملا من الوجهة التاريخية

ويجب فى هذه الحالة ان نفرق بين المذكرات التى كان يرسلها الوفد الى المؤتمر وبين الاعمال الاخرى

ولما كان هذا الكتاب مقصوراً على مجهود الوفد فى الخارج فلا أجد مجالا لذكر المذكرات والتلغرافات التى بعث بها الى المؤتمر قبل سفره من مصر

كان أول عمل رسمى للوفد الطلب الذى ارسله فى اليوم العاشر من وصوله الى باريس الى مؤتمر الصلح (بتاريخ ٢٨ أبريل سنة ١٩١٩) وقد اثبته فى فصل سابق

وفى ١٥ مايو ارسل الوفد مذكرة يحتج على الشروط الاولية التى سلمت للالمان فى ٦ مايو - للصلح فيما يختص بمصر وباجبار المانيا على الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر وفى ٦ يونيه أرسل مذكرة أخرى من هذا القبيل للاحتجاج على ماورد فى الشروط الاولية التى سلمت للنمسويين فى ٢ يونيه سنة ١٩١٩

وفى ٢٨ يونيه قدم الوفد تقريرا للمؤتمر عن حوادث وقعت فى البلاد فى شهرى مارس وابريل ذات صلة بالحركة الوطنية

وفى ٢٦ يوليه قدم مذكرة جديدة طلب فيها من المؤتمر اعادة النظر فى امر مصر وضمن المذكرة تصريحات لدولة سعيد باشا إذ كان فى رئاسة الوزارة

وبعد ذلك انقطع الوفد عن الاستنجاد بالمؤتمر وجاءت فترة نشط فيها الى حركة امريكا واعمال النشر في الصحف وغيرها وظل كذلك الى ٣ نوفمبر إذ أرسل تلغرافا لرئيس المؤتمر يحتج فيه على سياسة الانكليز في البلاد

وقد اعقب الوفد هذا التلغراف بمذكرة تاريخها ٦ نوفمبر طلب فيها من المؤتمر التداخل وارسال لجنة دوليه للتحقيق الى مصر تتبين الحالة بنفسها مباشرة

وفى ٢١ نوفمبر أرسل الوفد تلغرافا آخر للمؤتمر يلفت نظره فيه الى حوادث العنف ويحث المؤتمر على التداخل فى الامر : وتلاه تلغراف آخر بالمعنى نفسه فى ٢٣ نوفمبر

وفى ٩ ديسمبر أرسل الوفد تلغراف احتجاج على المواد الخاصة بمصر فى معاهدة فرساى وكان ذلك بمناسبة استقبال مجلس النواب الفرنسوى لنواب الالزاس واللورين

وفى ٦ يناير سنة ١٩٢٠ أرسل الوفد مذكرة الى المجلس الاعلى

يطلب منه فيه اعادة النظر فى مسألة مصر بمناسبة الاشتغال بوضع معاهدة الصلح مع تركيا. ولكن رجاء الوفد فى المجلس خاب ووضعت المعاهدة التركية على غير ما يرجو المصريون فأرسل الوفد احتجاجا الي المجلس فى ١٨ مايو سنة ١٩٢٠ استهله بذكر المعاملة التى لقيتها مصر من المجلس الاعلى إذ لم ينصت لها وأبى أن يطبق عليها مبدأ حق الامم فى تقرير مصير نفسها . وتكلم عن الحيف الذي أصاب مصر وكيف عوملت . . . . . رغم جهودها وتضحياتها التى كانت اكبر عامل للفوز فى الشرق

وكان الوفد فى مذكرة ٦ يناير السالفة قد تكلم باسهاب عن حق مصر فى الاستقلال وفصل مسألة صلتها بتركيا فتناول مركز مصر قبل الحرب ثم مركزها اثناءها. ثم تساءل «هل لا تزال لتركيا حقوق على مصر وهل تستطيع التنازل عنها ؟ » فقال ان اشتراك مصر فى الحرب ودخول تركيا فيها قطع بطبيعة الحال كل صلة للسيادة العثمانية على مصر وأعاد لمصر سيادتها التامة من تلقاء نفسه. وأن توقيع تركيا الهدنة على قاعدة حق كل أمة فى تقرير مصير نفسها بحرية وقاعدة تحرير الشعوب غير التركية هو بمثابة اعتراف من تركيا باستقلالنا.

وأخذت المذكرة على هذا النحو تنقض وجود حقوق لتركيا على مصر يمكنها أن تتنازل عنها لانكلترا

ثم تساءلت المذكرة : « ماذا يكون إذن كنه الحقوق التي يمكن لتركيا ان تتنازل عنها لانكلترا ؟ ». وقالت : أما سيادتها التي كانت لها بحق الاقوى أو بعبارة أصح بارادة الدول الاوربية التي ضمنت صيانة كيان الامبراطورية العثمانية. تلك السيادة انتهت وانعدمت. ومن المبادىء المقررة الدائمة ان سقوط ذلك لا يمكن ان يكون الا لمصلحة الدولة المسودة »

وأخذت المذكرة تظهر ان اعتراف تركيا نفسه بالحماية اذا وقع لا يكون له قيمة أكثر من اعتراف أية دولة أخرى ولا يمكن ان يجعل الحماية شرعية ولا أن يقيم لها وزنا فهي عمل باطل واجراء مؤقت من اجراءات الحرب

وقالت المذكرة انه مما لا يصدق ان تتخطى انكلترا الشرف وتعد حقوق السيادة سلمة تتناولها الايدى فى سوق المداولات الدولية . فليس فى مقدور انكلترا الا ان تطلب من تركيا قطع آخر صلة لسيادتها وهذا معناه الحصول نهائيا على الاعتراف باستقلالنا التام

وانتقلت المذكرة الى عدم استشارة الشعب المصرى في المصير الذي يعد له ومخالفة ذلك للقانون الدولي والعرف المتبع بين الدول كما حدث سنة ١٨٦٠ إذ نصت معاهدة « تورينو » على استشارة أهل مدينة « نيس » ومقاطعة « السافوا » قبل ضمهما الى فرنسا وكما نصت معاهدة سنة ١٨٦٣ على استشارة أهل الجزر « الايونيه »

تقبل ضمها الى اليونان

وتكلمت المذكرة عن عزيمة الامة المصرية وتوطدها على نوال الاستقلال التام وكيف تجلت تلك العزيمة في مظاهر عديدة ثم قالت :

« اما اذا لم تكن المبادىء التي أعلنها الحلفاء سوى كلمات لامعنى لها . ولم تكن اتفاقية سنة ١٨٤٠ ووعود بريطانيا العظمى العديدة سوى قصاصات ورق . واذا كان الفوز متى أحرز يحمل نسيان الوعود التي أعطيت أثناء الحرب حتى وعد صاحب الجلالة البريطانية . واذا كانت المدنية الاوروبية قد تقهقرت الى ماوراء سنتي ١٨٦٣ و١٨٦٠ حتى أصبحت تقبل انتقال حقوق الاستقلال أو السيادة بين الحكومات على نحو ما كان يحدث فى العصور الوسطى اذا صح كل هذا فهل انعدم التعقل الانسانى حتى صار من المتيسر معاملة شعب حليف للشعوب المنتصرة شرا من المعاملة التي تعامل بها الشعوب المهزومة »

وختمت المذكرة بطلب سماع أقوال ممثلى مصر كما سمع المجلس الاعلى أقوال مندوبى الكرج واذربيجان

هذا ما اعرف ان الوفد قدمه من المذكرات لمؤتمر الصلح . وقد نشر غير هذا نداءات لمجالس النواب فى بلدان الحلفاء وأرسل تلغرافات ومذكرات لبعض المؤتمرات الاشتراكية وغيرها

فمن نوع الكراسات طبع الوفد المذكرات الثلاث التي طبعتها الجمعية المصرية قبل وصوله وهي « مطالب المصريين الوطنية» و«سياسة انكلترا القطنية» . ومذكرة عن «المسألة المصرية ومطالب المصريين الوطنية »

أما الكراسة الاولى فتقع في ٤٣ صحيفة من القطع المتوسط. وتتضمن المذكرة التي أرسلها الوفد الى مؤتمر الصلح من مصر مرفقة بخطاب من سعد باشا بصفته رئيس الوفد وتاريخه ٢٠ يناير سنة ١٩١٩ أى قبل اعتقال سعد باشا وزملائه بنحو شهرين ونصف شهر. ويقال ان واضع المذكرة هو معالى اسماعيل صدقى باشا . وتنقسم الى خمسة فصول يحتوى الاول على تمهيد ثم بحث في الحالة الاقتصادية وآخر فى الحالة الادبية وآخر فى النظام الاداري والاجتماعى.

ويتناول الفصل الثانى بحث الاعتراضات التي يمكن أن يتذرع بها المعارضون فى نوال مصر الاستقلال وهي قسمان : الاول : الحقوق التي تزعم انكلترا انها لها على مصر . والثانى : المصلحة التي تجنيها مصر من بقاء الوصاية الاجنبية

وقد تناول القسم الاول الكلام عن مركز مصر السياسى قبل سنة ١٨٨٢ ثم عن ثورة عرابى ثم عن صبغة الاحتلال ثم عن الحماية . وتناول القسم الثانى أصل تقدم مصر ثم ما فعلته بريطانيا في مصر ثم تأثير السيادة الاجنبية

وتناول الفصل الثالث بحث المساعدة التى قدمتها مصر للحلفاء اثناء الحرب

وتكلم الفصل الرابع عن مطالب المصريين فيما يختص بحريتهم وبالسودان . وفيه بحث مواضيع الاستقلال وحقوق الاجانب والدين العام وضمانة حقوق الاجانب. ومساعدات الاجانب والاصلاحات الداخلية. وقناة السويس. ومصر وجمعية الامم. ورد السودان وتاريخ صلة مصر بالسودان

وتناول الفصل الخامس والاخير الكلام عن الحركة الوطنية والمذكرة مذيلة بتوقيعات جميع أعضاء الوفد

والكراسة الثانية تتناول تفصيل الخطة التي جرت عليها السياسة البريطانية في شأن القطن وقد قدمت المذكرة الى مؤتمر الصلح أيضا وتاريخها ٢٩ يناير سنة ١٩١٩ وتقع فى ٢٢ صحيفة من القطع المتوسط

وتقع الكراسة الثالثة فى ٥٢ صحيفة من الحجم نفسه وواضعها أمين بك الرافعي ولم يكتب عليها أن الوفد قدمها لمؤتمر الصلح والظاهر انه اكتفى بنشرها على سبيل البروباجندا : والظاهر أن واضعها كتبها مستقلا عن الوفد ثم عرضها عليه فاقرها وعدها جزءاً من أعماله

وتتناول الكراسة الكلام عن مبادىء الرئيس ولسن . ثم عن مسألة مصر من الوجهة التاريخية وكيف احتل الانكليز مصر. وعن

عدم شرعية هذا الاحتلال . وعن اتفاقية سنة ١٩٠٤ وعن السودان وملحقاته . وعن اتفاقية سنة ١٨٩٩ الخاصة بالسودان . وعما جنته مصر من الشركة الانكليزية المصرية فى السودان . وعن قناة السويس وحرية البحار ثم خاتمة وملحق أوردت فيه تصريحات الساسة الانكليز عن مصر ونيات بريطانيا نحوها

وطبع الوفد الكتاب الذى كتبه المسيو فيكتور مرغريت بعنوان «صوت مصر». ويقع في ٦٨ صحيفة من القطع الصغير يتضمن خمسة فصول . الاول عن الحماية الانكليزية والثانى عن مصر الاثرية. والثالث عن مصر الحديثة والرابع عن تداخل انكلترا . والخامس عنوانه مصادرة شعب كبير . وللكتاب مقدمة بقلم أناتول فرانس وقد ترجمته الصحف عند ظهوره

وطبع الوفد الخطابات التى القيت في المأدبة التى أقامها بفندق « كلاردج » في ٢ أغسطس ١٩١٩ فضمنها كراسة من ٢٤ صحيفة من القطع الكبير . وهى الخطابات التى القاها سعد باشا والاستاذ ويصا واصف والمسيو اوجانير والمسيو فكتور مرغريت ومحمد باشا محمود والمستر هربرت جيبونز ادامز والسنيور عمانويل الصحافي الايطالي والمسيو أناتول فرانس. وختمت الكراسة بخطابات اعتذار من المسيو اولار والمسيو رينيه دوميك والمسيو ألمان

وطبع الوفد المذكرة التى أرسلها فى ٩ يونيه سنة ١٩١٩ الى

المؤتمر الاشتراكي الدولى فوقعت فى كراسة من ١٨ صحيفة من القطع الكبير وتناول فيها الوفد الكلام عن مطلب مصر وماتنتظره من الاشتراكيين من العون والمساعدة .وأخذ يبرهن على أن الاسلام يتفق مع روح الاشتراكية. ثم أشار الى روح التضامن التى بين المزارع وصاحب الارض والى مسألة الاوقاف الخيرية وقال أن الرابطة الزوجية عندنا تعادل الرابطة الحرة التى يقول بها الاشتراكيون فانها عندنا لا تنقص شيئا من حرية الرجل والمرأة وقال فى هذا الشأن « والواقع ان فى استطاعة الرجل أن يطلق المرأة ويبطل العقد الذى يربطه بها متى رأى انه أساء الاختيار وللمرأة السلطة نفسها على أن تكون قد ذكرت ذلك فى عقد الزواج. وفوق هذا فان المرأة تظل مطلقة اليد فى التصرف فى أملاكها دون احتياج لاجازة زوجها»

ومع المذكرة أربعة ملحقات الاول عن التعليم . والثانى عن الانظمة السياسية . والثالث عن المالية العامة . والرابع عن المسألة الاقتصادية . وتكلم فيه عن الزراعة والصناعة والتجارة . وتناول القسم الاخير مسائل التشريع التجارى .وتنمية الانتاج. ووسائل النقل . والتعليم التجارى . والجمعيات التجارية والنقابات الاقتصادية ثم تجارة الصادرات والواردات والتجارة الداخلية

وطبع الوفد التقرير الذى رفعه لمؤتمر الصلح بتاريخ ٢٨ يونيه

سنة ١٩١٩ ومعه ١٢ ملحقا تحوى . . . . . . أقوال كثيرين من أهالي قرى فى مصر وقد وقع ذلك كله في ١٠٢ صحيفة

وطبع الوفد كراسة صغيرة بعنوان « مذكرة عن ضرورة سماع صوت مصر في مؤتمر الصلح » ذيلها بتصريحات الساسة الانكليز من سنة ١٨٧٣ أي من قبل الاحتلال البريطانى الى سنة ١٨٩٩

وطبع الوفد كراسة كبيرة الحجم بعنوان « مصادرة اثني عشر مليون نفس » ضمنه المراسلات التى دارت بينه وبين السلطات البريطانية والمصرية قبل سفره بطلب التصريح له بمغادرة البلاد وكذلك المذكرات التى رفعها وهو بمصر لمؤتمر الصلح ورؤساء حكومات الحلفاء والمستر لويد جورج بالاسم

وطبع الوفد باللغة الانكليزية كتابا أسماه الكتاب الابيض نشره فى أمريكا تعضيداً للحركة التى كان يقوم بها المستر فولك . كما طبع المذكرة التى قدمها المستر فولك في ١٨ أغسطس سنة ١٩١٩ الى لجنة الشئون الخارجية بمجلس شيوخ الولايات المتحدة عن القضية المصرية وفي ذيلها المذكرة التى قدمها الاستاذ وليم مكرم عبيد الى المستشار القضائي إذ كان سكرتيراً له وتاريخها ٢٥ ابريل سنة ١٩١٩

وبين المطبوعات عن القضية المصرية المقالة التى نشرها



هربرت ادامز جيبونز الصحفي الامريكي الذى ناصر القضية المصرية كثيراً . وهى مقالة نشرتها مجلة « سنشرى » في عدد شهر مايو بعنوان « بريطانيا في مصر » ثم طبعت على حدة. وقد كتب المستر جيبونز قبلها مقالات أخرى تأييداً للقضية المصرية وخدم الوفد أثناء وجوده بباريس

وقد كانت لمقالاته صدى واستشهد بكثير مما ورد فيها المستر نوريس عضو مجلس الشيوخ عن ولاية « نبراسكا » فى خطبة عظيمة ألقاها في مجلس الشيوخ الامريكي فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٠ دفاعا عن القضية المصرية والخطابة - كخطابة المستر بوراه في مسألة مصر - مطبوعة على حدة بالمطبعة الاميرية الامريكية بعنوانات «معاهدة الصلح مع ألمانيا» . « المسألة المصرية » . «خطابة المحترم جورج و . نوريس في مجلس شيوخ الولايات المتحدة في ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٠ »

وطبع الوفد بعض مذكراته ووزعها على الساسة على سبيل « البروباجندا » مثل الطلب الذى قدمه لمؤتمر الصلح في ٢٨ ابريل سنة ١٩١٩ . والخطاب الذى أرسله للمستر ولسن بتاريخ ٢٩ ابريل - ومذكرة أخرى لكليمنصو رئيس المؤتمر فى ١٢ مايو عن معاهدة الصلح الالمانية . وبيانين عن الحركة المصرية مؤرخين « شهر مايو سنة ١٩١٩ » عن الحركة المصرية وتاريخها وانتشارها وصبغتها .

ومذكرة للمؤتمر تاريخها ٦ يونيه عن معاهدة الصلح النمسوية . وخطاب المسيو موريس لونج مقرر لجنة النسخ بمجلس النواب الفرنسوى تاريخه ٦ يوليه . وآخر للمسيو فريسينيه عضو مجلس الشيوخ تاريخه ٢١ يوليه . وللمسيو فريسينيه كتاب مشهور فى المسألة المصرية ودور معروف لعبه فيها

وطبع الوفد المذكرة التى قدمها للمؤتمر فى ٢٦ يونيه سنة ١٩١٩ والنداء الذي وجهه للبرلمان الفرنسوى بتاريخ ٣١ يوليه سنة ١٩١٩ والنداء الذي وجهه للبرلمان الايطالى بتاريخ ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩. والخطابة التى القاها النائب جود فى مجلس النواب الفرنسوى فى ٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ . ومذكرة ارسلت للمستر لويد جورج بتاريخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ عن حوادث وقعت فى الاسكندرية فى اكتوبر. ومذكرة اخرى رفعت لمؤتمر الصلح بتاريخ ٦ نوفمبر سنة ١٩١٩

وقد فاتني ان اذكر ان الوفد المصرى طبع فى شهر اكتوبر سنة ١٩١٩ كراسة بواشنطن بامريكا عنوانها « المسألة المصرية » صدرها بكلمة قالها نابليون بونابرت لحاكم جزيرة القديسة هيلانه التى اعتقل ومات فيها « ان مصر أهم مملكة في العالم » (راجع تاريخ روز ص ٦٥٣ جزء أول)

والكراسة فى نحو ٥٦ صحيفة وهذه عنوانات فصولها . هل يفوز الحق أو القوة ؟ . عهود بريطانيا . معاملة الوفد المصرى . آراء



صورة المدالية التي قدمتها الجمعية المصرية بباريس للوفد

البريطانيين في المسألة المصرية . آراء الفرنسويين. آراء الامريكيين

وختمت الكراسة بتلخيص مقالات لبعض الكتاب الامريكيين المشهورين عن المسألة المصرية وجزء من قصيدة المستر ولفرد بلنت نشرها سنة ١٨٨٣ أي بعد الاحتلال البريطاني

* * *

أرى قبل ان اختم هـذا الفصل أن أذكر كلمة عن مؤلفات أخرى عن القضية المصرية صدرت دفاعا عن حقوق المصريين تنويها بفضل أصحابها فقد اصدر الكاتب عمـا نويل بالدي كتابا بعنوان « لاجل استقلال مصر » في ١٣٦ صحيفة صدره بصورة أعضاء الوفد المصري . وضمنه بعض صور أخرى

***

وهناك شاب يجب ان أنوه بفضله في خدمة القضية المصرية. ذلك الشاب هو محمد أفندي صبري

سافر محمـد أفنـدي صـبري الى باريس لدراسـة التاريخ وآداب اللغة الفرنسوية وقد نال الشهادة النهائية فيهما . وانقطعت به الحرب فظل بباريس يعمل مع اخوانه في الجمعية المصرية حتى جاء الوفد

وأدرك صبري افنـدي أن أول عقبة تقوم في سبيل القضية المصرية هي جهل الفرنسويين وغيرهم بالمسألة المصرية وكيف نشأت

فوضع لها تاريخا موجزاً طبعه في كراسة بعنوان « لمحة تاريخية في المسألة المصرية » فرظتها أكثر الصحف والمجلات وأثنت على كاتبها وكتب لها الاستاذ أولار مقدمة طيبة

وقد رأى صبرى الفائدة التى جاءت من وراء كراسته هذه فكتب كتيبا آخر عن المسألة المصرية توسع فيه الى حد ما وقد نال اعجاب من قرأوه وامتدحته الصحف أيضا وجاءت لكاتبه خطابات ثناء من كبار الكتاب والمؤرخين

وكتب صبرى افندى كتابا آخر عن الحركة المصرية بعنوان « الثورة المصرية » مزينا بصور عديدة عن الحركة المصرية . وقد توخى الدقة في ايراد حوادثه مستشهداً بأقوال كثيرين من الامريكيين ل والانكليز الذين كانوا بمصر

والكتاب عمدة كثيرين من الكتاب الذين يكتبون عن المسألة المصرية وقد تلقى واضعه أيضا عدة خطابات ثناء من كبار الكتاب

وقد كان صبرى افندي أخيراً يضع جزءاً ثانياً لكتابه الاخير.

ولا جدال في أن الخدمة التي أداها الشاب صبرى بكتبه للقضية المصرية جليلة جداً من حيث البروباجندا . وهي خدمة جديرة بتقدير كل مصرى

وقد رأى الوفد مقدرة صبري في اللغة الفرنسية ونشاطه

وذكاءه واخلاصه فضمه الى سكرتيرته حيث يقع عليه جزء كبير من العمل

ولا أشك في أن مستقبلا مجيداً ينتظر هذا الشاب

مصر في حزب حقوق الانسان

نشرت الصحف فى حينه موجزاً عن الاجتماع الذى أقامه حزب حقوق الانسان للدفاع عن القضية المصرية ولكنها لم تنشر شيئا كثيراً عن الجهود التى بذلت للوصول الى ذلك ولم تذكر عدة أمور عن الاجتماع

يرجع أكثر الفضل فى اهتمام حزب حقوق الانسان بمسألة مصر فى الواقع الى الشبان المصريين فقد اهتموا بذلك منذ الهدنة ففى مؤتمر شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ عرف أحدهم الاستاذ كوركوس المحامي وسكرتير شعبة حزب حقوق الانسان فى منطقة « السين » وكان التعارف فى اجتماع لشعبة الحزب الاشتراكى الخامسة . فأشار الاستاذ كوركوس على الشاب المصرى بأن يلقى محاضرة عن المسألة المصرية على مندوبى اتحاد السين فى حزب حقوق الانسان . وقد ألقى الشاب المحاضرة فعلا فى صباح يوم أحد وجرت مباحثات ومناقشات تقرر بعدها باجماع الآراء أن يعقد اتحاد « السين » اجتماعا لتنوير الباريزيين واطلاعهم على مطالب المصريين

وأبلغت الشعبة القرار الى لجنة الحزب الرئيسية ثم وقف الامر عند هذا الحد حتى جاء الوفد الى باريس

وفى مساء الجمعة ٢٣ مايو سنة ١٩١٩ نظرت الجمعية المصرية

بباريس فى الامر من جديد وقررت بذل مساعى لدى حزب حقوق الانسان لسماع القضية المصرية حتى يضعها فى برنامجه. وقد اقترح عليهم مؤلف هذا الكتاب أن يعرضوا الامر على الوفد ويضعوه بين يديه حتى يكون للعمل قيمة فى نظر حزب حقوق الانسان ونظر الجمهور الفرنسوى. ولكن الوفد غض النظر عن ذلك والظاهر أن انسداد الابواب واستحكام حلقات اليأس أو على الاقل تكاثر العوامل المثبطة للعزائم القاتلة للآمال جعل البعض يرى عمل حزب حقوق الانسان عديم الجدوى لا يستحق اهتماما

وبقى الامر عند هذا الحد الى شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ وبعد مساعى ومفاوضات بين أعضاء الجمعية المصرية والوفد ولجنة الحزب تقرر أن تسمع اللجنة المركزية للحزب أقوال الوفد رسميا بصفته ممثلا للشعب المصرى وتحدد لذلك يوم ٥ ديسمبر

وفى منتصف الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم المتقدم ذهب احمد بك لطفى السيد ومحمد بك على ومصطفى النحاس بك ومعهم خليفه افندى بوطى من أعضاء الجمعية المصرية الى مركز الحزب بالدار رقم ١٠ بشارع الجامعة . وكان هناك من أعضاء اللجنة المركزية النائب فرديناند بويسون رئيسا والمسيو فكتور باش الاستاذ بجامعة باريس وكيلا وكل من الاساتذة بوجلي وجابريل سياى وهنرى جرنو (السكرتير العام) وأولار وبوردون وشارل

جيد وجلاى واميل كاهن ومرتينيه ومدام سفرينى

وتكلم لطفي السيد بك فبسط شكاوى المصريين ومطالبهم .

وتلاه المسيو بويسون الرئيس ثم أعرب المسيو باش للوفد عن عطف اللجنة المركزية وطرح عدة أسئلة وهي :

١ — يؤكد المندوبون المصريون ان انكلترا صرحت بأنها لا تبسط حمايتها على مصر الا مؤقتا مدة الحرب فأى دليل على ذلك يستطيع الوفد تقديمه ؟

٢ — يشكو الوفد من أنه عطل خمسة شهور قبل الحصول على إذن بالسفر للتقدم لمؤتمر الصلح ومن أنه لم ينل الاذن في الحقيقة الا بعد انتهاء الوقت فأية سلطات لدى الوفد ؟ ومتى كان آخر اجتماع لمجلس النواب المصرى ؟

٣ — كان الصك الشرعى لاستقلال مصر الذاتى فيما مضى معاهدة لوندره . وقد تغير مركز مصر الآن فأصبح أسوأ مما كان عليه قبل الحرب من وجهة القانون الدولى . على أن عمل القوة الذى يأخذ به المصريون الانكليز مدعم فى الواقع على اعتراف من أمريكا وفرنسا فكيف الخروج من هذا المركز ؟ وأية وسائل قانونية يعارض بها الوفد الحق الذى لانكلترا الآن فى مصر وهو حق غير مشروع ومشروع فى آن واحد؟ . . . .

وهل الفلاح المصرى متعلم الى الحد الذى يجعله يدرك الواجب

عليه فى ذلك ؟

وسأل المسيو إميل كاهن . . . . وقال ان التعليل الذى تعلله انكلترا بسيط للغاية وذلك انها كانت فيما مضى حليفة لتركيا بموجب معاهدة ولكن تركيا نقضت المعاهدات بدخول الحرب ضد الحلفاء فلم تعد انكلترا مقيدة بشيء

وقد رد بوبلى على السؤال الاول فذكر ان اعلان الحماية كان عملا فرديا بحتا لم تقبله مصر وان القانون الدولى يحتم ان تكون الحماية باتفاق الطرفين كما أنه لم يكن فى وسع انكلترا ان تبطل وحدها معاهدة لوندره

وليس من شأن اعتراف أمريكا وفرنسا بعمل غير شرعى ان يجعله شرعيا وكل عمل يشذ عن روح التطور الدولى يجب ان يعد غير شرعى

وهناك خطاب رسمى يثبت ان الحماية أعلنت مؤقتا ولمدة الحرب فقط ثم . . . . . رشدى باشا قائم المقام أوضح فى تصريح رسمى أنه لم يعد الحماية لا اجراء من اجراءات الحرب

وهنا قاطع المسيو جرنو بوبلى قائلا أن عبارات الخطاب الرسمى المشهور غامضة . وقال ان جريدة « التيمس » فى الواقع نشرت مقالا ذكرت فيه ان الحماية لم تكن الا اجراء اداريا عمليا مؤقتا . وقد ردت المانشستر جارديان على ذلك قائلة يجب ان لانخدع أنفسنا فى

ذلك فما هو الاضم نهائي

ورد لطفي السيد بك على سؤال المسيو باش الثاني فقال: «ولقد كان من المستحيل علينا الحصول على توكيل رسمي من الجمعية الوطنية إذ كانت معطلة بالامر ولكننا ننتمي الى هيئات نيابية ولدينا خطاب رسمي من رشدي باشا رئيس مجلس الوزراء.»

«تسألون في النهاية هل الفلاحون معنا؟ نعم انهم معنا وقد أبدوا ذلك بالوسائل التي يدركونها . . .

وتكلم المسيو جابريل سياى فامتدح تاريخ الشعب المصرى وقال: نعم لايمكن ان يعامل هـذا الشعب معاملة شعب متوحش ولكن أي تداخل يمكننا أن نتداخله لمصلحته وأية نتيجة نستطيع أن نعده بها؟ لنقف فى دائرة الممكنات فان كل شيء تحت تصرفنا عدا القوة

ولقد رد المسيو جرنو على هذا بقوله: يمكننا أن نكسب قوة الرأى العام وهذا شيء يذكر. ان انكلترا محتاجة للرأي العام الانكليزي والفرنسوي ويقضي الواجب على حزب حقوق الانسان بتنوير الرأى العام فى فرنسا. وفى استطاعته ذلك بارسال تصريح بحيثيات الى الصحف وبعقد اجتماع لالقاء محاضرات وبنشر مقالات مؤيدة بمستندات عن المسألة المصرية في المجلة الجديدة التي ستصدر في الشهر القادم

وأعربت مدام سفرينى عن موافقتها على اقتراح المسيو جرنو. ولكن المسيو أميل كاهن انضم الى السؤال الذى عرضه المسيو جاربل سيلى وقال : يهم الحزب ان يضم اليه الرأى العام الفرنسوى والانكليزى ولكن من المتعذر ان يتبعنا الرأى العام الفرنسوى بسهولة فى حملة يراد بها المطالبة باستقلال مصر . ومركزنا تلقاء انكلترا بل وتلقاء العالم كله غامض جداً فلا أدري هل يحق لنا ان نجر معنا الجزء الذى نستطيع اكتسابه من الرأى العام فى انكلترا الى حملة مشكوك في نجاحها . ولئن كان الرأى الديموقراطي حسن النزعة الا ان هناك فكرة سائدة عليه وهى فكرة عامة بين الامة فكرة الامبراطورية العظيمة . ومع ذلك فنحن نعرف امثلة تبعث الامل فى نفس الشعب المصرى فهناك جنوب افريقيا حيث انتهى البويريون بأن أصبحت لهم السيادة فى بلادهم . واعتقادى انه يجب ان تقتنع بطلب الحكم الذاتى وبعد ذلك تستخلصون انتم استقلالكم منه بأنفسكم

وقد رد النحاس بك على اقوال المسيو كاهن فقال : ليس لانكلترا حق ارغامنا على قبولها رغم انوفنا فنحن نزمع البقاء احرارا ولا نقبل اعطاء انكلترا حقا علينا . اننا لسنا مشاكسين معاندين . فنحن نسلم بضرورة حماية جميع المصالح الاجنبية فى مصر لاسيما المصالح الانكليزية . هناك قناة السويس وهى طريق الهند ويمكن

جعلها دولية وتعطى جمعية الامم الوكالة عليها لانكلترا اما فيما يختص بالحقوق الخاصةفتحميها الانظمة الموجودةوهى الامتيازات والمحاكم المختلطةوصندوق الدين فماذ يمكن ان يطلب اكثر من ذلك

وفى النهاية وافقت اللجنة على اقتراح السكرتير . عهدت اليه ان ينظم اجتماعا لالقاء محاضرات عن المسألة المصرية وان يرسل للصحف تصريحا ويعد مقالات مفصلة وافية للنشر فى المجلة

ورفعت الجلسة فى منتصف الساعة الثامنة مساء

* * *

أرى قبل ان اتكلم عن المحاضرات التى القيت بعد ذلك فى اجتماع ١١ ديسمبر ان أذكر شيئا عن حزب حقوق الانسان

أنشىء الحزب في ٤ يونيه سنة ١٨٩٨ وجعل شعاره تأييد المباديء التى جاءت بها الثورة الفرنسوية . والدفاع عن كل شخص مظلوم أو أمة مهضومة الحق . وكان يستخدم في ذلك الصحف والمجلات والكتابة والخطابة وله أثر مشهور في قضايا دريفوس ودوران وروسيه وبيان وكايو ومالفي والجنرال برسان

ويجمع الحزب كثيرين من ذوى الفضل بين وزراء وعلماء وأساتذة ونواب الخ الخ على اختلاف نزعاتهم السياسية وكانت قيمة الاشتراك فيه خمسة فرنكات

وبين القضايا الدولية التي اهتم بها فارس وكوريا ورومانيا

واذربيجان

***

صدر قرار لجنة الحزب المركزية فى ٥ ديسمبر وفى الحال أخذ أعضاء الجمعية المصرية بتعضيد الوفد يهتمون بالاجتماع المقبل الذى حدد له ١١ ديسمبر

وقد عقد فعلا فى منتصف الساعة التاسعة مساء بصالة الجمعية الجغرافية حيث امتلأت الصالة بالحاضرين ولم يجد كثيرون سبيلا للدخول

وعند افتتاح الاجتماع تلا المسيو جرنو السكرتير خطابا من المسيو جابريل سياى الذى لم يستطع الحضور وقد قال فى صدره:

« أسف لعدم تمكنى من حضور اجتماعنا ولكنى أقول لكم انى معكم قلبا وروحا . لقد اجتمعنا لرفع صوت مصر بالشكوى وقد قطع حزب حقوق الانسان على نفسه عهداً أن يدافع عن حقوق الشعب اينما كانت مهددة . والعدالة لا تعرف المحاباة »

وخطب الاستاذ اولار فاستهل خطابته بقوله :

« اذا كان حزب الدفاع عن حقوق الانسان والمواطن قد عقد هذا الاجتماع فلانه كالثورة الفرنسوية نفسها يرى أن حقوق الرجل والمواطن تتضمن ضمنا حقوق الشعوب . وتصريحات سنتى ١٧٨٩ و ١٧٩٣ الفرنسوية تنطبق فى معناها اذا لم تكن في مبناها

على الامم كما تنطبق على الافراد

«وقد جاء شعب يقول لنا أن حقوقه انتهكت

« واى شعب ؟ شعب ليس فى العالم أنبل منه فهو سليل المصريين الذين أعدوا المدنية اليونانية التي أخذت عنها المدنية الغربية مدنية العالم بأسره وقد نهض هذا الشعب المجيد بعد قرون انقضت عليه فى الاستعباد . وأنارت مدنية أجنبية هذا الشعب وقد كان مصدر العرفان والنور فى العالم . أنارته المدنية الفرنسوية التى جعلته يشعر بمكانته . كانت فرنسا مربيته والى فرنسا يوجه النظر مبتسما ابتسامة لخاء وثقة كلما اعتقد انه اضطهد. وهو كما ترون يستنجد على وجه خاص بفرنسا مؤيدة حقوق الانسان »

وخطب بعد ذلك واصف بطرس غالى بك خطابة طويلة تكلم فيها عن صلة مصر بفرنسا ثم انتقل الى حقوق مصر وماقاسته فى سبيل المطالبة بها وعدد الحوادث التى وقعت فى البلاد. ووصف اتحاد عناصرها ثم قال « فلم يعد للمصريين قاطبة الا ايمان واحد. وعقيدة واحدة. ودين واحد. هو دين الوطن. وانى لقرارات المؤتمرات وترتيبات الساسة والماليين وتدابير صغار السياسيين أن تؤثر فى ذلك»

وضرب الامثلة على اتحاد العنصرين وبينها ما فعله زعماء اخواننا الاقباط أيام قبل يوسف وهبه باشا تأليف الوزارة وغير ذلك مما لا يتسع له المجال

وكان السامعون يقاطعون واصف بك بالتصفيق مرات عديدة طويلا .

وخطب الاستاذ اولار ثانية بعد ذلك مظهراً عطفه وعطف الفرنسويين على القضية المصرية ووصف الشعب المصرى الذى رآه في مصر إذ زارها لتفقد المدارس العلمانية الفرنسوية فنفى عنه الوصمات الكثيرة التي يصمه بها المغرضون في الخارج ثم قال: «كنت زمنا طويلا رئيسا لجمعية كبرى غايتها نشر التعليم سعت لتنشيء في الشرق معاهد تربية طبقاً لروح الثورة الفرنسوية . لان ما تحبونه جميعا معاشر الشرقيين مصريين وسوريين . لان ما تحبونه جميعا في في فرنسا انما هو مبادىء سنة ١٧٨٩ انما هو شعارنا الانساني العظيم: الحرية . والمساواة . والاخاء »

وخطب المسيو فكتور مرغريت صاحب كتاب صوت مصر خطابة طويلة قال في ختامها :

« في غد حرب اثيرت باسم حقوق الشعوب لا دوام لصلح لا تكون قاعدته العدل . ولا سبيل الى صلح عادل متى استباح كهذا الصلح انتهاك القانون ومصادرة شعب »

وختم الاجتماع باصدار القرار الآتى :

« ان المجتمعين في ١١ ديسمبر بباريس بدعوة من حزب حقوق الانسان

« بعد سماع المسيو واصف بطرس غالى المحامى بمحكمة الاستئناف المختلطة باسكندريه والمسيو اولار والمسيو جابريل سياى الاستاذين بالسوربون والمسيو فكتور مرغريت

« يرسلون الى الشعب المصرى سلامهم الودى وأمانيهم

« ولثقتهم بمبادئ العدالة التي ضمنت الحرب فوزها

« يرجون أن يدرك هذا الشعب النبيل امانيه الشرعية في ظل السلام وبالاتفاق التام مع دول الاتفاق تحت رعاية جمعية الامم

« وهم مقتنعون بأن الشعب الانكليزى الذى حارب معنا فى سبيل الحق سيتبع مبدأه التاريخى ويعمل على اجراء العدالة طبقا لتقاليده الدائمة »

وقد طبعت الخطابات فى كراسة صغيرة الحجم وعرضها حزب حقوق الانسان للبيع . وجعل عنوانها « لاجل الشعب المصرى » وتقع فى ٣٢ صحيفة صغيرة وثمنها نصف فرنك

مسألة الحماية

يجب قبل ان انتقل الى الادوار الاخيرة من جهاد الوفد مثل دور المفاوضات ونحوه ان أذكر ان الوفد اهتم ببحث مسألة الحماية وأخذ آراء بعض علماء القانون الدولى فيها

ولا ينقص من قدر الوفد أن يقال أنه كان يشعر بالحاجة الى دراسة بعض النقط الخاصة بالقضية المصرية من الوجهه الدولية على بعض المتضلعين فيها وأحدهم أستاذ بجامعة الحقوق بباريس طلب الى ان لاأذكر اسمه لاعتبارات خاصة . وكانت اجتماعاته برجال الوفد أشبه بمحاضرات

واذا كنت قد وعدت بان لا أذكر شيئا عن الاستاذ الفرنسوى فليس هناك مايحول دون الاشارة الى فتوى السير توماس باركلاى

السير باركلاى من كبار القانونيين الانكليز ومشاهير المحامين وهو الوكيل الاول لمعهد القانون الدولى ووكيل جمعية القانون الدولى وغيرها . واستخدمته الحكومة البريطانية فى ظروف متعددة فى وضع صيغ بعض المعاهدات الشهيرة . وقد انتهز الوفد الفرصة وأراد ان يستأنس برأيه فى مسألة الحماية فقابله الرئيس سعد باشا وبعض الاعضاء مرات وأخيرا قرر الرأى على ان يوجهوا اليه أسئلة فى شأن الحماية يقدمون معها مستندات القضية . وقد استهل الوفد الاستفتاء هكذا :

« يعرض الوفد المصري المستندات المرفقة بهذا وهي : ـ

١ ـ اتفاقية بين بريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا تؤيد الفرمان السلطاني بتاريخ ١٥ يوليه سنة ١٨٤٠ بمنح مصر شبه استقلال

٢ ـ فرمان صادر في ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ يزيد مركز مصر السياسي تحديداً

٣ ـ اتفاقيه بين بريطانيا العظمى والمانيا والنمسا والمجر واسبانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا وروسيا وتركيا باحترام حرية الملاحة في قناة السويس وتاريخها ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨

٤ ـ الاتفاقية الانكليزية المصرية الخاصة بالسودان وتاريخها ١٩ يناير سنة ٨٩٩

٥ ـ اتفاقية ٨ ابريل سنة ١٩٠٤ بين انكلترا وفرنسا في شأن مصر ومراكش وموادها السرية

٦ ـ الاعلان البريطاني الصادر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ بوضع مصر تحت حماية صاحب الجلالة البريطانية

٧ ـ الاعلان البريطاني الصادر في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ بخلع عباس حلمي باشا من خديوية مصر وقبول صاحب العظمة السلطان حسين كامل لها مع لقب سلطان

٨ ـ خطاب من السير ملن تشيتهام مرفق برقم ٦ وصادر في التاريخ نفسه

٩ـ اخطار مؤرخ لوندره ق ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ بموافقة حكومة صاحب الجلالة البريطانية على الاتفاقية الفرنسوية المراكشية المؤرخة ٣٠ مارس سنة ١٩١٢

١٠ ـ خطاب مرسل من سعد زغلول ومؤرخ بالقاهرة في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ الى السير فرنسيس رجنالد ونجت نائب جلالة الملك

١١ـ خطاب من لورد كرومر الى التيمس الصادرة في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ عن مستقبل مصر

١٢ـ تلغراف من الملك جورج الى السلطان

١٣ـ رد تلغراف من السلطان على التلغراف المتقدم

١٤ـ رد على رقم ١٠ مؤرخ القاهرة فى أول ديسمبر سنة ١٩١٨

١٥ـ خطاب آخر من سعد باشا للسير ونجت بتاريخ ٣ ديسمبر رداً على رقم ١٤

١٦ـ تلغراف أرسله سعد باشا من القاهرة فى ٤ ديسمبر سنة ١٩١٨ الى المستر لويد جورج

١٧ـ خطاب من سعد باشا الى المستر لويد جورج بتاريخ ١٢ يناير سنة ١٩١٩ في الموضوع نفسه

١٨ـ خطاب استقالة حسين رشدى باشا رئيس الوزارة وتاريخه ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٨

١٩ـ تقرير مقدم للورد ادموند هنبى الذي نائب جلالة الملك

مؤرخ بالقاهرة فى ٢٩ مارس سنة ١٩١٩

٢٠ـ نداء الى مجلس العموم البريطانى مؤرخ باريس في ١٤ يوليه سنة ١٩١٩

٢١ـ تلغراف الى زغلول باشا يبلغه اعتراف أمريكا بالحماية وتاريخه ٢٣ ابريل سنة ١٩١٩

٢٢ـ المواد ١٤٧ الى ١٥٤ من معاهدة فرساى المعقودة في ٢٨ يونيه سنة ١٩١٩ وهي المواد الخاصة بمصر

٢٣ـ موجز باماني المصريين وتاريخه ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٨

« ويرجو (أى الوفد) السير توماس باركلاى أن يشير عليه بما يراه فى المسائل التالية

١ ـ هل الحماية الموضوعة على مصر بغير موافقة شعبها شرعية؟

٢ ـ ماهو مركز مصر من المباديء التي وضعها رئيس جمهورية الولايات المتحدة وقبلتها الدول ؟

٣ ـ ماهى سلطات عصبة الامم بالنسبة لمصر ؟

٤ ـ أى مسلك يستحسن اتباعه للحصول على استقلال مصر بغير اضرار بالمصالح البريطانية ؟

ويلي ذلك بسط القضية المصرية وقد تناولت المذكرة المسألة من عهد محمد علي بايجاز إذ قالت : « ترجع الحركة الوطنية التي ترمي الى الحصول على استقلال مصر الى سنة ١٨٣٢ إذ تولى قيادتها محمد على

ولكن تنافس الدول الاجنبيـة في السيطرة على مصر واستثمارها ومقاومـة الدول الاخرى جعلها تحت رحمة دول أوربا الغربية التي سوت اختلافاتها فى اتفاقية ١٥ يوليه سنة ١٨٤٠ دون نظر الى أماني المصريين . وقد اجازت الاتفاقية لمصر نوال استقلالها الداخلي دون ان تسمح لها بجنى ثمار انتصارها على تركيا

« وقـد زاد التداخل الاجنبي شعور الاهالى وقصة الجهود التى بذلها المغفور له اسماعيل باشا لارضائهم والدستور الواسع الذى اعطى سنة ١٨٨١ (وهو الدستور الذى وضعته لجنـة مجلس النواب التى كان رئيسها المرحوم عبدالسلام باشاالمويلحى وكاتم سرها المرحوم اديب اسحاق) معروفة ذكرها جميع المؤرخين في كتبهم عن مصر الحديثة

وقد فشلت الرقابة المزدوجة فى وقف تحرير الحركة ثم انهارت انهياراً تاما (أى الرقابة المزدوجة) عندما طلب من فرنسا الاشتراك مع انكلترا فى سياسة الاتحاد

« وفى ١١ يوليه سنـة ١٨٨٢ ضرب اسطول بريطانى بعض قلاع الاسكندرية بدعوى انها تقوى لمنع التداخل الاجنبي الذى يمكن ان ينشأ عن ثوران الخوطر المنتشر بين الاهالى

« واعقب الضرب نزول الجنود البريطانيين وقد قاوم عرابى باشا على رأس جنود مصريين هذا الاحتلال العسكرى ولكن الاحتلال أبقى لحفظ النظام

« وفي ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٢ تكلم المستر غلادستون في مجلس العموم فقال ان القوات البريطانيه في مصر ازلت الى ١٢٠٠٠ الف رجل وان الاحتلال ليس الا مؤقتا وان الحكومة البريطانية ستضع شروطه قريبا بالاتفاق مع الحكومة المصرية

« وفى ١٩ ديسمبر من السنة المتقدمة خطب المستر تشامبرلن فقال ان انكلترا لاتريد سوى ضمان رخاء مصر واستقلالها

« وفى ٦ أغسطس سنة ١٨٨٣ قال المستر غلادستون فى مجلس العموم ان الجنود البريطانيين لن يبقوا يوما واحدا زياده عن الزمن الضرورى. وقال فى ٩ منه ان الحكومة البريطانية لم تحتل مطلقا بضم مصر

« وقال السير وليام هاركوت فى دربي فى ١٥ ابريل سنة ١٨٨٤: لاضم ولا حماية فأننا سنجلو عن مصر بمجرد ما يبسط السلامة والنظام»

« وفي ١٥ أغسطس سنه ١٨٨٥ صرح السير هكس بيتش فى مجلس العموم ان غاية الحكومة البريطانية الوحيدة انما هى اعداد البلاد للاستقلال

« وفى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٥ صرح المستر غلادستون بأن الاحتلال البريطانى بنى على غلطة (وقد ذكر لورد كرومر فى تقريره عن مصر سنة ١٩٠٥ صحيفة ٢ ان الحركة التى أدت الى الاحتلال كانت فى جوهرها ثورة صحيحة ضد سوء الحكم ولم تكن في جوهرها موجهة ضد الاوروبيين)

وهكذا أخذت المذكرة أو الاستفتاء يشير الى تصريحات الساسة الانكليز عن مصر واستقلالها وانتقل الى شركة السودان فقال ان المصريين لا يعترفون بصحة معاهدة سنة ١٨٩٩ ولكنها من جانب انكلترا تضع مصر في موضع الخليفة

ثم انتقل الى ماورد صراحة فى اتفاق سنة ١٩٠٤ الانكليزى الفرنسوى من أن الحكومة البريطانية « لا تنوى تغيير مركز مصر السياسى »

وانتقل الى دخول تركيا الحرب وما نشأ عن ذلك وفسر إعلان الحماية بأنه ضرورة حربية لا تؤثر فى استقلال مصر وأورد الحجج على ذلك ثم أشار الى مساعدة مصر للحلفاء

وتكلم عن الحركة الوطنية عند عقد الهدنة وتأليف الوفد والمفاوضات التى جرت ليسمح له بالسفر وغير ذلك مما لا أجد حاجة لذكره ثم أورد أسماء رئيس الوفد وأعضائه

وأشار بايجاز الى رفض اذن السفر ثم الحركة التى أعقبته واعتقال الاربعة ثم الافراج والسفر وما حدث فى مؤتمر الصلح من اعتراف المانيا والنمسا في معاهدتى فرساى وسان جرمان بالحماية البريطانية وما ينشأ عنها

وتلى ذلك الفتوى وفيها تناول السير توماس باركلاى السؤال الاول وهو « هل الحماية الموضوعة على مصر بغير موافقة شعبها

شرعية ؟ » فقال انه يتضمن عدة نقط فرعية وهي :

(١) ماهي مميزات الحماية أو الحماية التي نحن بصددها ؟

(ب) ما معنى الكلمة « شرعية » في السؤال المطروح ؟

(ج) ما معنى « موافقة الشعب » ؟

وتكلم السير باركلاي على كل نقطة باسهاب وقسمه الى نقط أخرى مما يطول شرحه هنا ثم انتهى بالجواب التالي وهو :

« وعلى هذا يكون ردى على السؤال الاول هو ان حماية دائمة تبسط على مصر بغير موافقة شعب مصر تكون مخالفة للقانون الدولي ولكن بسط حماية بسطا مؤقتا كضرورة حربية بمثابة أداء الامانة يكون مبرراً الى الحد الذى يظهر فيه الاخلاص »

وتناول السؤال الثاني وهو : « ماهو مركز مصر من المبادىء التي وضعها رئيس الولايات المتحدة وقبلتها الدول ؟ »

وبعد بحث طويل أجاب بقوله انه يرى أن المسألة المصرية بقيت عند انتهاء الحرب في المركز الذى كانت فيه قبلها أى انها لا تزال مطروحة مفتوحة وانها تدخل في دائرة النقطة الخامسة من نقط الرئيس ولسن الاربع عشرة وفى دائرة النقطة الثانية من نقط ٤ يوليو سنة ١٩١٨

وتكلم عن السؤال الثالث فبرهن على أن مسألة مصر تدخل في اختصاص حزب الامم

وتناول السؤال الاخير وهو « ما هو المسلك الذى يستحسن اتباعه للحصول على استقلال مصر دون اضرار بالمصالح البريطانية ؟ » . فقال :.

« يجب أن تكون مصر في مركز يمكنها من أن تحكم نفسها بنفسها بعد أن دربها مساعدون بريطانيون أكفاء نحو ثلاثين عاما وتدل مطالبة كبار المصريين..(أي ذوى المصالح) بالاستقلال بمثل هذا الالحاح على أنهم يشعرون بأن في استطاعتهم الآن أن يتولوا مقاليد الحكم الذاتى دون أن تتعرض البلاد لفوضى الحكم ثانية

« وان فى انتهاك الساسة البريطانيين حرمة التعهدات الرسمية البريطانية نحو مصر في الوقت الذى كنا نحارب فيه ألمانيا لخرقها حرمة عهدها لبلجيكا قولا غير جدير ببريطانيا لنفس الوسائل التى كانت الحكومة البريطانية تستخدم جميع قوة الامبراطورية ومواردها للقضاء عليها

« وهناك من جهة أخرى مصالح بريطانية مرتبطة بمصر ارتباطا كبيراً ولا يمكن الاغضاء عنها وهذه يمكن حفظها بالاتفاق

« ومن الضرورى أن تتناول معاهدة تحالف بين الامبراطورية البريطانية ومصر الدفاع عن قناة السويس

« وتثير مجاورة طرابلس تحت حكم ايطاليا لمصر اعتباراً آخر يجب أن يكون نصب الاعين عند وضع شروط المحالفة . وفوق

هذا فان مجاورة البحر الاحمر يجب أن يدبر أمرها فان حرية هذا البحر ضرورية للتجارة كحرية قناة السويس نفسها وهو التكملة العملية لها

« ويمكن ضمان سلامة القناة والبحر الاحمر الحالية بالتعاون الودى الفعلى بين الامبراطورية ومصر أكثر منه بنظام يكون من شأنه ابقاء السيادة البريطانية بالقوة رغم ارادة شعب معاد »

وهنا أورد السير توماس باركلاى في هامش فتواه رأيين للمستر سدنى لو وردا في كتابه « مصر فى طور الانتقال » وهما :

الاول : « اننا لسنا محبوبين فى مصر . يحتمل أن يكون البعض يخافنا ولا أشك فى أن كثيرين غيرهم يحترموننا ولكن الذين يحبوننا حقيقة قلائل »

والثانى : « من الصعب على أية طبقة من الرجال لا سيما صغار السن ذوى المطامع والروح العالية أن يحكمهم قوم غرباء عنهم فى الدين والجنس والعاطفة وان كان الحكم لمصلحتهم »

وتابع السير باركلاى الرد على السؤال الرابع فقال :

« ويصح أن أشير فى النهاية الى أن الدول عدت مبدأ تقرير الامم لمصير نفسها بنفسها ضروريا فى جميع الحالات التى وجد فيها سبب معقول للشك فى رغبات أى شعب فيما يختص بتبعيته

« وأعيد القول ان مثل هذه الرغبات لا يمكن تحديدها الا

باستشارة عامة . ويصح مع هذا ان أشير أيضا الى انه فى حالة قبول الحكومة البريطانية مبدأ الجلاء باستشارة الاهالى او بدون استشارتهم فقد لا يكون من المستحسن طلب الجلاء التام فى الحال إذ من الضروري ان يكون هناك طور انتقال . وانى اقترح ان يوضع جدول بالوظائف المختلفة التى يشغلها البريطانيون وغيرهم من الاجانب ويعد مشروع تدريجى لانقاص الموظفين والضباط الذين لا تريد الحكومة المصرية استبقاءهم.اولفصلهم واحالتهم الى المعاش على التعاقب ويعرض هذا المشروع على الحكومة البريطانية »

وأورد بعد ذلك السير باركلاى ١٢ حيثية وختمها برأيه فى الموضوع كله فقال :

١ ـ حيث أنه قيل في سنة ١٨٨٢ أن الغاية من التداخل البريطانى في مصر سنة ١٨٨٢ كانت أعادة سلطة الخديوى وحفظ السكينة فى البلاد.

٢ ـ وحيث أن التأكيدات أعطيت فى وقت الاحتلال البريطانى الذى أعقب التداخل بأن الاحتلال مؤقت وكررت هذه التأكيدات من وقت لآخر مدة ثلاثين عاما

٣ ـ وحيث أن هذه التأكيدات كانت ترمى دائما الى أن الجلاء البريطانى متوقف على وصول المصريين الى الدرجة التى تمكنهم من ادارة شئونهم بانفسهم

٤ ـ وحيث أن السبب الوحيد الذى ذكر دائما لبقاء الاحتلال

انما هو خير المصريين أنفسهم

. . . .

٥ ـ وحيث أن المصريين قد جربوا الحكم أكثر من طبقة ولم يعد ينقصهم موظفون خبيرون

٦ ـ وحيث أنه لا يمكن أن ينتظر منهم الرضاء بالبقاء تحت وصاية دائمة وأن هنالك شعوراً قوياً بوجوب تحديد تاريخ للجلاء

٧ ـ وحيث أن بريطانيا سلمت مع غيرها من الدول بمبدأ مساعدة الجنسيات الشرقية التي لم تتدرب على حكم نفسها مساعدة بغير بسط حماية عليها أو ابقائها تحت وصاية دائمة أو طويلة. وحيث أن مصر بقيت مدة طويلة تحت الوصاية وأصبحت تشعر بأنها الآن أقدر على تولي شئونها من موظفين يرسلون الى مصر ويتعلمون ... كيفية ادارة تلك الشئون

٨ ـ وحيث ان الدول وافقت في معاهدات الصلح على مبادىء ـ بينها اتفاقية عصبة الامم ـ لانالة الامم القادرة على حكم نفسها حريتها

٩ ـ وحيث ان الاسباب الوحيدة التي يمكن ان تتذرع بها الحكومة البريطانية لابقاء قبضتها على مصر هي حماية قناة السويس وتحقيق مشروع سكة حديد القاهرة الى الكاب

١٠ ـ وحيث انه فيما عدا هذين الغرضين ليس لبريطانيا مصالح في مصر لا يمكن حمايتها وحفظها باتفاق مع حكومة

مصرية مستقلة

١١ — وحيث ان للامبراطورية البريطانية ومصر مصالح مشتركة سياسية واقتصادية مثل دفاع محتمل ضد اعتداء ومثل نشر التجارة . وهي مصالح لا يمكن الا ان تؤلف بينهما وتجمع كلمتهما على اتباع سياسة مشتركة . ومن المستحسن ان يصلا الى اتفاق مرض لكليهما باسرع وقت ممكن

ولهذه الاسباب :

تكون الحماية ضرورة حرب وبقاؤها بعد انتهاء الحرب غير مشروع

وتكون مصر بانفصالها عن تركيا نهائيا مستقلة شرعا بطبيعة الحال

وارجو في الختام ان اشير بان تعاون الطرفين تعاونا وديا صريحا بمعاهدة تعترف لمصر باستقلالها وتضمن هذا الاستقلال كما تضمن حفظ مصالح الفريقين الدائمة هو خير حماية لمثل تلك المصالح من ضغط يتلوه عداء وان جاء متأخرا . عداء شعب يطلب الاستقلال بدعوى الحق والعدالة »

الامضاء : توماس باركلاي

باريس ـ ١٧ شارع باسكيه ـ في نوفمبر سنة ١٩١٩

خيانة أم اخلاص

التضحية الادبية

آن أوان نشر أكثر الصحائف التي ظلت مطوية حتى الآن. وحان اطلاق الالسن التي ألجمها الواجب سنوات فتركت السهام تفوق. والرماح تسدد. ولم ترتفع لرد فرية. أو تتحرك لدفع إفك أو باطل. لان مصلحة الوطن كان يجب أن تمر قبل كل مصلحة أخرى. قبل الاحزاب ومنازعاتها. قبل الاشخاص ومجادلاتهم بل قبل الكرامة الذاتية اذا اقتضى الامر

لاجل مصر احتملت الاذى نحو عامين وصبرت على الضيم وظللت عشرين شهراً أطأطىء رأسا ريثما تمر مصلحة الوطن فوقه

التضحية فى المال مهما عظمت كميته ليست شيئا مذكوراً بجانب التضحية الادبية. ولكن قليلين من الناس فقط هم الذين يدركون ذلك

يدرك عظم التضحية الادبية الذين ضحوا. الذين رأوا السخائم تصب على رءوسهم. وشعروا بالضربات تنزل بهم فلم يحركوا ساكنا بل تركوا صيتهم يلوث ويجر فى الاوحال والاقذار وفي وسعهم أن ينتشلوه ويغسلوه ولكنهم لا يفعلون احتفاظا بأمنية سامية تصبو اليها نفوسهم وتحنو عليها ضلوعهم

يعرف عظم التضحية الادبية الذين يرون التهمة الكاذبة تلصق

بهم والفرية الدنيئة تنسب اليهم وفى استطاعتهم أن ينطقوا فتنجلى براءتهم ولكنهم يؤثرون السكوت احتراما لغاية نبيلة تملكت عليهم حواسهم

أولئك يفضلون أن يتألموا بمعزل عن الناس . فى مكان مقفل خشية أن يظهر ألمهم فيتم على براءتهم

أولئك يصح أن يجيئوا فى المرتبة بعد الشهداء

***

أخذتنى الحرب وأنا أتأهب للسفر الى الاستانة. وأتحفز لحياة جديدة في ميدان جديد ..وأنا أقلب صفحة وأهم بفتح غيرها فقعدت بى عن السفر . ثم وجدتنى محرراً بجريدة « وادى النيل » باسكندرية

***

مجهودى اثناء الحرب

اذا كانت الحرب قد انتهت فان سيفها لا يزال مجرداً فالظروف الاستثنائية والقوانين العرفية تغل اليد عن فتح كتاب الحرب ليعرف القارئون مبلغ الخدمات التى أديت للقضية المصرية خاصة. وقضية الامم المظلومة عامة . الامم المستعبدة التى كانت ترجو أن تخرج من هذه الحرب الطاحنة محطمة القيود مكسرة الاغلال

وهكذا أجدنى مضطراً الا بقاء الستار مسدولا على جهاد أربع سنوات . . .

***

عند ظهور الوفد

ثم وضعت الحرب أوزارها وأنا بالاسكندرية بجريدة «وادى النيل» فسمعنا همسا أن وفداً ألف للمطالبة باستقلال مصر وكنا بين مصدق ومكذب . وكانت الاكثرية تميل الى التكذيب فان الضغط الشديد الذى عانته الامة اثناء الحرب جعل الكثيرين يظنون فى البلاد الاستكانة

وتواترت الاشاعة ثم أخذت أسماء القائمين بالحركة تظهر شيئا فشيئا . وأخذت أعمالهم تخرج من الخفاء الى الجهر

وان أنس لا أنسى كيف كانت خطابات الوفد ومذكراته وخطابات رشدى باشا رئيس الوزارة فى ذلك العهد تجلب سراً الى الاسكندرية وكيف كنا نستخرج منها صور عديدة لتوزيعها وتداولها فى القهاوى والمنتديات

نشطت حركة الوفد وزاد اهتمام الناس به وخرج العمل من التكتم الى الجهر وأخذ الكل يتحدثون بمساعي سعد باشا وزملائه وبمواقف رشدى باشا وزملائه أيضا

وأخذت الايدي تتداول التوكيلات وأخذنا نخصص جزءاً كبيراً من وقتنا بالطواف لجمع التوقيعات عليها علانية ثم سراً

ولما قامت حركة تعدد الوفود حاربناها جهدنا لا ريبة فى

وطنية مؤلفى الوفود الاخرى ولا شكا فى اخلاصهم .وانما حرصا على الوحدة القومية من التفكك.وعلى التضامن الاهلى من التمزق وضنا بالنهضة المباركة أن تطحن بين المتزاحمين على قيادة الامة . المتطاحنين على زعامتها

وفاز الوفد فاجتمعت كلمة الشعب بأسره حوله .وكان المركز يتطلب رجلا مقارعا مجالداً . رجلا صلب الرأى . قوي الارادة . عنيف المراس . رجل نضال وصراع وكان هذا الرجل سعدزغلول

كيف ألحقت بخدمة الوفد

وكان كل مصرى يرى فرضا عليه أن يقوم بواجبه نحو القضية المصرية وكانت كمية تلك الواجبات والجهود الوفد

وحدث فى شهر فبراير سنة ١٩١٩ أن قدم محمود أبو النصر بك الى الاسكندرية وكان عضوا بالوفد فاطلعنه على بعض ماتنشره الصحف الاجنبية عامة والانكليزية خاصة عن مصر مما لم تكن تسمح الظروف بنشره كله فى الصحف المصرية فأخذ القصاصات منى وطلب الى أن أوافيه بكل ما أعثر عليه ففعلت

وهكذا كنت أشترى الصحف الخارجية كلها وأخصص جزءاً كبيراً من وقتى بفحصها وأترجم ما فيها وأبعث بالترجمة والاصل الى أبى النصر بك ليعرضه على هيئة الوفد

وحدث أن نشرت جريدة التيمس مقالا لمراسلها فى العاصمة

تناول فيه الوفد ورئيسه بالمطاعن والمثالب فقال أن سعد باشا ومن معه يغررون بالبلاد لغايات شخصية وانهم ممن خابت آمالهم فى الحكومة ومناصبها وغير ذلك فأرسلت المقال والترجمة الى محمود بك وكتبت اقترح على الوفد الاهتمام بتكذيب مثل هذه الاوقايل فى الصحف التى تنشرها والرد عليها. والظاهر أن هذا الاقتراح صادف قبولا من سعد باشا وزملائه فجاءنى فى اليوم الثانى من شهر مارس سنة ١٩١٩ الخطاب الآتى .وهذا نصه حرفيا :

« القاهرة فى اول مارس سنة ١٩١٩

« عزيزى أبو الفتح أفندى

« قرأت جوابك الاخير وترجمة مقالة التيمس الاخيرة على معالى الرئيس وأغلب الاعضاء فقدروا أهمية اقتراحك ورأوا ضرورة وقوفنا أولا فأولا على ما تكتبه الجرائد الانجليزية والامريكية والافرنسية والرد على ما تذيعه الاولى من الاضاليل وما تروجه من الاباطيل كما رأوا بذلك لهذه المهمة وقدر لكم مبلغ عشرة جنيهات شهريا ابتداء من اليوم (اول مارس الحالى) وهو مبلغ زهيد فى جانب الفائدة المنتظرة منكم ولكنها خدمة البلاد وها أنا أبلغكم الامر تنفيذا لاشارة معالى الرئيس لتوجهوا عنايتكم الى القيام بهذه المهمة وتوافونا باعمالكم المفيدة وأرجو أن تحقق آمالي فيكم لدى جمعنا . وهذا مع بقائكم طبعا فى عملكم

بجريدة وادي النيل . والسلام ختام »

الامضاء — « محمود أبو النصر »

***

وهكذا تابعت العمل . ثم حدث ما لم يكن في الحسبان فاستدعى قائد القوات البريطانية الوفد ورئيسه وتلا عليهم انذاره المشهور . وفي الغداة ألقي القبض على سعد باشا وصدقي باشا ومحمد محمود باشا وحمد باشا . ثم تلت ذلك حوادث شهر مارس سنة ١٩١٩ فسافرت الى القاهرة لأتبين الحالة وأضع نفسي تحت أمر الوفد اذا كان هناك ما يقتضي خدمتي بالقاهرة

وأعقب وصولي قطع السكك الحديدية وانقطاع سير القطر عليها فاضطررت الى البقاء بمصر حتى أوائل ابريل . وطلب مني في الوفد الاستمرار في عملي بالقاهرة فكنت عند وصول كل بريد ألخصه وأقتطع ما فيه عن مصر وأترجمه وأطالعه لهيئة الوفد في اجتماعاتها . وفي نهاية الشهر دفع لي عبد العزيز بك فهمي عشرة الجنيهات التي أشار اليها أبو النصر بك في خطابه المنشور على الصحيفة السابقة . وقد اضطرني انقطاع المواصلات وتعذر حصولي على نقود من الجريدة التي كنت أعمل فيها الى قبولها لوقف حركة النقل

***

وكنت قبل... مارس مباشرة قد كتبت باللغة الانكليزية رداً على مقالة وردت فى عدد ١٤ فبراير سنة ١٩١٩ من جريدة التيمس وعرضتها على الوفد . فلما اعتقل الاربعة وحدث ما حدث قدمت وأنا بالقاهرة مذكرة الى الوفد عن ضرورة عمل بروباجندا في أوروبا وأمريكا قلت :

« أرسلت لكم مقالة كتبتها بالانكليزية رداً على مقالة التيمس الصادرة فى ١٤ فبراير سنة ١٩١٩ ولكنى أجدها بعد الحوادث الاخيرة تقتضى تعديل كثير من أجزائها فاذا سمحتم قمت بذلك

« وانى مع اعتقادى بأن الشئون الداخلية هي موضوع اهتمام حضرات أعضاء الوفد الآن أرجو أن يسمح لي بأن أشير الى ضرورة اذاعة أخبار الحوادث التي وقعت فى البلدان الاوروبية وأمريكا واطلاع الرأى العام هناك على تصرفات السلطات البريطانية وما أدت اليه مما لا يتفق بأى حال من الاحوال على المدنية أو المبادىء التي جعلتها الامم شعارها والتي تزعم بريطانيا انها فى طليعة من يؤيدها .

. . . .

« ومما يؤسف له ان بعض المسيرين لدفة السياسة فى أوروبا من أنصار قاعدة المساومة. ولكن هناك عاملا جديداً هو الرأى

العلم فقد هزت نكبات الحرب الحالية كثيراً من الشعوب وأزالت عنها الاستكانة الماضية فقامت تهيمن على تصرفات ساستها . على أن تلك الشعوب تجهل مصر والمصريين ولا تعرف عنهم الا ما تدلى به اليها المصادر الانكليزية المختلفة سواء مباشرة أو غير مباشرة

« ويعتمد ... على جهل تلك الشعوب المضى في سياسة المساومة القديمة مع الساسة الذين يقومون بالتسوية العامة. وهي يهمها الآن أكثر من كل شيء آخر أن لا يتحرك صوت مصر في أوروبا وامريكا وان لا ترى طبقات الامم التي تشعر صورة مصر تحت سيطرة الاستعمار الانكليزي.

« ويهم بريطانيا الشعب الامريكي لما له من الصوت الرفيع في تقرير المسائل المطروحة على بساط البحث في باريس فيهمنا كثيرا أن تعرف الشعوب الاوروبية والامريكية المسألة المصرية على حقيقتها .. ولنثق بأن ما يتقرر في مؤتمر الصلح انما هو صدى الاصوات المرتفعة من طبقات الشعب في البلدان التي يجلس ساستها في المؤتمر

« فمن أعظم الواجبات الجوهرية في هذه الحالة البروباجندا في الخارج أعني ... في بلدان الحلفاء بالكتابة في الصحف وطبع الكراسات عن المسألة المصرية وعن جهاد المصريين . واذا كان

هـذا المجهود سياق عقبات في بعض البلاد فانه يجد كثيرا من المنابت الخصبة في غيرها ويجد صدورا رحبة لا سيما في الصحف الامريكية وبين الشعب الامريكي وكذلك في إيطاليا

«وقد جئت بهذا أعرض على حضرات الاعضاء ان يسمحوا لى باقتباس بيان عن المسألة المصرية من المذكرات التى وضعت وكتابة مقالات مختلفة لبعض صحف أمريكية مسموعة الكلمة عن الحوادث الحالية وغيرها »

***

كيف حادثت لورداللنبي

وكان السير ونجت قد استدعي الى انكلترا وعين لورد اللنبي مكانه وجاء اللورد مسرعا على مدمرة

وكانت الاقاويل فى البرنامج الذي جاء به متضاربة فقيل انه جاء يضرب بقبضة حديدية وقيل غير ذلك. فخطر لى كصحفي ان أطلب محادثته رجاء استطلاع شيء من نياته وكاشفت بذلك بعض رجال الوفد فأقرونى على الفكرة وفعلا كتبت الى سكرتير اللورد اطلب مقابلة لعمل حديث معه

وفى مساء ٣١ مارس سنة ١٩١٩ تلقيت رداً من المستر كيون بويد بان اللورد سيقابلنى في منتصف الساعة التاسعة من صباح أول ابريل ورأيت قبل الذهاب لعمل الحديث ان أعرض الاسئلة التى

أزمع توجيهها للورد على بعض أعضاء الوفد ولكنى لم أوفق لمقابلة أحد منهم بعد استلام الخطاب فذهبت مبكراً — فى صباح أول ابريل — الى دار محمود أبى النصر بك فلم يتردد فى مقابلتى رغم اشتداد البرد والساعة المبكرة التى ذهبت فيها فعرضت عليه الاسئلة التى اعددتها فعدلها وقر الرأى على ان أوجه اليه الاسئلة التي رآها القراء فى جريدة وادى النيل فى حينها

وذهبت الى دار الحماية وكانت هذه أول مرة دخلتها . وارسلت بطاقتى فجاءنى المستر كيون بويد السكرتير الشرقى وهو يحسن العربية فادخلنى غرفة الماريشال وسألنى هل أتكلم الانكليزية فقلت نعم . فقال اذن لاحاجة لك بترجمتي وتركنا وانصرف

***

استقبلنى الماريشال فى غرفة عمله وهي بسيطة في فرشها بسيطة فى زينتها . وما كدت ادخل من الباب مع المستر كيون بويد حتى وقف وتقدم خطوتين ومد الىّ يده مصافحا مبتسما وطلب منى ان أجلس على مقعد كان بجوار منضدة عمله .

وكان بملابسه العسكرية وهو طويل القامة حسن البنيان ترى فيه الجندي مجرداً من خشونته . يتكلم بهدوء ويبتسم أكثر الاحايين ولكنه اذا تكلم ادركت انك لاتحدث محاميا أوخطيبا اعتاد التزويق والتمن ن ولا تخاطب سياسيا جرى على المراوغة

والمثالطة وأنما تحدث عسكريا — اقتضت عنه العسكرية — كحل جندى آخر الاصباغ والالوان التى يصبغ بها الساسة ورجال الاعمال بحيث يمكنك ان تقرأ فى وجهه مايجول بفكره

* * *

ولئن كان لورد اللنبي لم يحدثنى بشىء معين محدد عن نياته والبرنامج الذى جاء به فقد رأيت فى وجهه أثر الطيبة التى يجدها الانسان غالبا عند رجال الجندية الذين استهدفوا للمهالك حتى انى خرجت من عنده وانا أعتقد ان سياسة التضييق ستتغير

* * *

حادثت الماريشال اللنبي نحو ساعه وكان يجيب على اسئلتى بغير تكلف ولكن بصعوبة ولعلها تريث الجندى الذى اعتاد وضع الخطط قبل الهجوم. وكان لا يستنكف وهو ممثل التاج البريطانى. وهو بمركزه العالى وكقائد للجيوش البريطانيه تستمد من سلطته الاحكام العرفيه من ان يسمع منى سؤالا جافا أورداً شديدا

. . . .

وفى نهاية الحديث طلب منى عرضه قبل ارساله للنشر فخرجت من دار الحماية الى مقر الوفد فاطلعت الحاضرين من أعضائه على نتيجه الحديث . ثم وضعته كتابة وحملته الى دار الحمايه

فأخذه مني المستر فرنس الذى كان مفتشا ببوليس الاسكندرية ورئيسا لمراقبة المطبوعات بها اثناء الحرب فتركني زمنا ثم عاد وابدى لي بعض ملاحظات . وطلب منى كتابة الحديث ثانية ففعلت وابدى ملاحظات ايضا وفى النهايه اجيز الحديث وأشير علىّ بحمله الى الماجور دلى ردكليف رئيس مراقبه الميدان باوتيل سافوى ليبصمه بخاتم الرقابة العسكرية حتى لايحتاج الامر لعرضه على الرقابة المحليــة ففعلت . وحملت الحديث الى مقر الوفد بدار سعد باشا

وكانت الجلسة منعقدة فقابلنى ثلاثة من الاعضاء على انفراد وافهمونى ان بين الاعضاء عضواً يشكون فى اخلاصه ولذا يحسن ان لا اذكر شيئا عن الحديث الابعد انصرافه . وهكذا انتظرت حتى انصرف ثم أدخلت فطالعت الحديث لمن بقي من الاعضاء وذكرت الاطوار التى مر بها فأشاروا بنشره ورأوا انه مفيد رغم كل ما ورد فيه وانه يعد خطوة الى الامام

وهكذا ارسلته لجريدة « وادى النيل » التى كنت أعمل فيها تبعا للاشارة التى تلقيتها من بعض أعضاء الوفد إذ عرضت الحديث عليهم وكانوا مسرورين بالنتيجه التي وصلت اليها

*
* *

وعد بالسفر

وكان بعض من أعرفهم من أعضاء الوفد قد ذكروا لى انهم اذا أجيز لهم السفر سيستصحبون معهم سكرتارية من الملمين باللغات الاجنبية وانى بطبيعة الحال سأكون بين من سيقع عليهم الاختيار . ولكن لم يكن يظن ان إجازة السفر ستجيء بالسرعة التي جاءت بها فعدت الى الاسكندرية فى أواخر الاسبوع الاول من شهر ابريل

وما كدت أقضي يوما في عملى حتى جاء تلغراف من مراسل « وادى النيل » (فرحات افندى) يحمل الينا خبر صدور بلاغ لورد اللنبي باطلاق سراح الاربعة المعتقلين واباحة السفر الى الخارج لمن يشاء

ولما اطلعت على التلغراف عولت على العودة الى مصر لارى متى يزمع الوفد السفر الى أوروبا وهل سيتيسر لى السفر ضمن سكرتاريته . وبحثت عن حضرة محمد افندى الكازه صاحب جريدة وادى النيل التي أعمل فيها لأطلعه على نيتى فلم أوفق لمقابلته فكتبت له خطابا وقلت له انني اذا سافرت مع الوفد تيسر لي أن أوافي الجريدة بما يهم القراء الاطلاع عليه من أعماله ومساعيه ورجوته أن يرسل تلغرافا برأيه فى ذلك الى بمصر بمكتب وادى النيل

وكان وصولى الى القاهرة فى ٨ ابريل على ما أظن فذهبت بعد الظهر لمقابلة من وعدونى بالسفر من الاعضاء فعلمت منهم

عولوا على عدم استصحاب أحد وانهم قدموا فعلا كشفا للسلطة العسكرية بأسماء الاعضاء المسافرين وانهم ليس في استطاعتهم تعديل الكشف . ولكن هذا لم يثن عزمي عن السفر فقد كنت أرى أن سفر الوفد دون استصحاب صحافي سيحول دون اطلاع البلد هنا على الجهود التي يقوم بها كما كنت أرى ان الصحافي الذي سيأخذ على عاتقه هذه المهمة يمكن أن يخدم بلده خدمات جليلة ويخدم نفسه أيضاً من الوجهة الادبية لا سيما اذا ساعدته الظروف فنقل الى الامة أخباراً سارة .طيبة

وحاولت كثيراً أن يكون سفري بواسطة الوفد وخاطبت في ذلك كثيرين من أعضائه فقيل لى انه ليس من المتيسر سفري على نفقة الوفد ولكن يصح أن أسعى أنا للسفر كصحفي. فاستعلمت من السكرتارية عن كيفية الوصول الى ذلك فقيل لى انهم حصلوا على اذن بواسطة تقديم طلبات للسلطة العسكرية بأوتيل «سافوي» وان الاذن صادر من دار الحماية . فذهبت الى مركز القيادة بالسافوي وقابلت الماجور دلي ردكليف رئيس مراقبة المطبوعات العسكرية وأفهمته اني أريد السفر مع الوفد نائبا عن بعض الصحف المصرية وبعد مناقشة أحالني على دار الحماية . وهناك قابلت المستر فرنس وبعد مناقشة ظلت نحو ساعتين ردني المستر فرنس الى مركز القيادة وأعطاني خطابا للماجور ردكليف . وهنا أحالني على ضابط

مكلف باصدار أذونات السفر لمن يسمح لهم به . واسمه الكابتن تويدي فزودني بورقة لقلم الجوازات لاعطائي جواز سفر. وأفهمني الكابتن انهم سيضيفون اسمى الى الكشف الذي سيرسل الى السلطات بميناء بور سعيد حاويا اسماء من اجيزلهم السفر من رجال الوفد . وذكر ان اجرة السفر عشرين جنيها تدفع ببور سعيد

هذا كله وقع يوم ٩ ابريل وكان الوفد يزمع السفر من القاهرة في صباح الجمعة ١١ ابريل اي انه لم يكن قد بقى امامي للتأهب للسفر الا يوم واحد

***

وفى ٩ ابريل نفسه عملت مظاهرة كبرى ابتهاجا بالافراج عن سعد باشا ومن معه وإباحة السفر . وسارت فى المظاهرة جميع الطوائف والجماعات وبينها جماعة الصحافيين فسرت معهم ولما وصلنا الى ميدان عابدين دخل كثيرون منا القصر ووقعوا دفتر الزيارة ثم طلب الحاضرون التشرف بمقابلة السلطان. وبعد خطابات طويلة ومناقشات اشترك فيها دولة حسين رشدى باشا ومعالى ذو الفقار باشا وسعادة أمين يحيى باشا . طلب الى الحاضرين أن ينيبوا عنهم وفداً فأنابوا سبعة أو ثمانية وكنت أنا عن الصحافيين

وقبل صعودنا للتشرف بمقابلة عظمته قرر أن يترك الكلام لمرقص حنا بك . وكان عن المحامين مع ابراهيم أفندى الشواربى

وصمدنا فاذا عظمة السلطان واقف في ردهة فسيحة بسذلة طويلة رمادية اللون يحف به كبار رجال البلاط فصافحنا. ثم وقفنا أمامه فتكلم مرقص بك حنا واشار الى ما حدث والى رجاء الامة في عظمته. فرد السلطان مظهراً الرجاء في المستقبل متمنيا النجاح واعداً بالخير ثم انسحبنا

. . . .

كيف سافرت من مصر

كان سفري الى باريس مجازفة جنونية. ولكنها روح الشباب. ولكنها الرغبة في الخدمة. الرغبة في العمل. ولكنها مجازفة شاب يريد أن يبني مستقبلا ثابتا على انقاض ماض مؤلم. يريد أن ينهض وينفض غبار الموت المدني الذي رضي به ورضخ له وأسكت فاه عن النطق بالحق وفاءاً حيث لا وفاء. وإخلاصا حيث لا إخلاص. مجازفة شاب عرف أنه لا سبيل للوصول الا اذا سار الى غايته على الشوك والحصى فأقدم غير وجل لانه نظر الى الغاية فقط. الى الغاية الشريفة ولم ينظر الى ما يحف بها من صعاب

***

وهكذا لم ينقض يوم الاربعاء حتى كنت قد خصلت من مركز القيادة على اذن -كالذي أعطى لاعضاء الوفد- لقلم الجوازات لاعطائي جواز سفر

وفى صباح الخميس ١٠ ابريل حصلت من قلم الجوازات على جوازى وكان هناك مندوب من الوفد يستلم جوازات الاعضاء أيضا . ثم ذهبت الى قنصلية فرنسا لتحصيل اذنها بدخول البلاد الفرنسوية كالمادة المتبعة

وهكذا كنت عند ظهر الخميس قد أنجزت الاجراءات اللازمة للسفر

وفى هذه الاثناء كنت قد أرسلت الى حضرة محمد افندى الكلزة صاحب جريدةوادى النيل تلغرافا أسأله فيه عما اذا كان من المتيسر سفرى من قبل الجريدة ؟ وكنت قد أرسلت ذلك بعد أن رأيت انه ليس من المتيسر سفري مع الوفد وعلى نفقته

وظللت أنتظر الرد ولكن اضطراب المواصلات التلغرافية أخر وصوله فذهبت الى جريدة الاهرام وقابلت الاستاذ داود افندى بركات رئيس التحرير وعرضت عليه مراسلة الاهرام فقبل ولكنه أجل الكلام في نقطة الاجر الذى يدفع لى الى ان يعود صاحب الجريدة من سوريا غير أن داود افندى قال لى سافر وكن مطمئنا من هذه الجهة . وفعلا صدر الاهرام فى صباح السفر وفيه كلمة تشعر بذلك

وكان كل ما معي في ذلك الوقت نحو ثلاثة جنيهات وأجرة الباخرة وحدها عشرين جنيها عدا نفقات النقل والسكة الحديدية

الخ الخ الخ ولكن هـذا لم يثبط همتي أيضا فقصدت شخصا أعرفه عرضت عليه الامر فأقرضني عشرة جنيهات

وعند الساعة السادسة سلمني محمود افندي رحمي وكيل وادي النيل تلغرافا من صاحب الجريدة بالموافقة على سفري فكانت صديقا بأن يعتذر للاستاذ بركات نيابة عني لاسيما اني كنت أعمل في وادي النيل من قبل أربع سنوات وكنت في سفري انما اتابع عملي فيه بحيث اذا عدت فالى مركزي الاول فيه

واطلعت رحمي افندي على أني لا أملك النفقات الكافية فذهبنا سوية نبحث عن متعهد بيع وادي النيل لاخذ ما يلزمني منه ولكننا لم نوفق الى مقابلته وأخيراً ذهبنا معا الى بيت قريب لي بالعباسية كان كل ما وجدته عشرين جنيها أخذتها منه أمام رحمي افندي وبذا صار كل ما معي ٣٣ جنيها

كيف وصلت الى باريس

وقبل أن أترك رحمي افندي أعطيته خطابا لصاحب « وادي النيل » بسطت له فيه كيفية سفري ورجوته أن يرسل لي نقوداً بالتلغراف على بنك الكريدي ليونيه بمارسيليا

وفي الصباح التالي استقللت القطار مع أعضاء الوفد في العربة المخصصة بهم وفي بور سعيد دفع كل منا عشرين جنيها للسلطات العسكرية في الميناء فان الباخرة كالدونيا كانت في ذلك الوقت تحت

وخصص لنا جناح فى الباخرة فكنت في غرفة واحدة مع حضرة الدكتور حافظ عفيفي بك وحضرة مصطفى النحاس بك لم يكن معي شيء من العفش أو الملابس فانها كلها كانت بالاسكندرية ولم أكن أظن عند سفرى منها الى القاهرة فى ٨ ابريل انى سأغادر القطر بعد يومين بل كنت أظن أن اجرآات السفر ستقتضى زمنا طويلا يمكنني أن أعود اثناءه لاخذ ما يلزمنى من الملابس . وهكذا لم يكن معي عند نزول الباخرة الا « جانطة » صغيرة فيها « بيجاما » للنوم وقيص ولباس وقيص افرنجي حتى انى اضطررت الى شراء مناديل من بور سعيد

***

وصلنا الى مارسليا فأحصيت ما بقى من ثروتى فاذا به سبعة جنيهات مصرية استبدلتها بعملة انكليزية من بدريك.وفى مارسيليا انفقت جنيها ودفعت خمسة جنيهات أجرة السفر الى باريس ولم تكن قد وردت الى « الكريدى» بمارسيليا نقود برسمى.وهكذا استقللت القطار الى باريس وكل ما معى جنيه واحد . وفى ذلك الوقت فقط أدركت مبلغ المجازفة التى أتيتها . فظللت طول الليل حائراً مرتبكا قلقا وأدرك ذلك صديق من أعضاء الوفد فسألنى عن الامر وعرض عليّ مساعدته لى وقدم لى مائتى فرنك . وشجعنى

بكلماته قائلا انى يمكننى الاعتماد عليه فى كل ما أحتاجه حتى ترد لى نقود . وكانت هذه منه يد لا أنساها قط . ومكرمة لا تغيب عن ذاكرتى مهما مر من الظروف

كيف أقمت في باريس

ولحسن الحظ وجدت بين الطلبة الذين كانوا بباريس وأتموا دراستهم كثيرين كنت أعرفهم فأخذونى الى فندق في الحي اللاتيني حيث عثرت على غرفة كنت أدفع أجرتها ١١ فرنكا يوميا فى أوتيل « تريانون بالاس » بالحى اللاتينى ولكنى مع هذا لم أستطع البقاء فيها لعدم ورود نقود الى مدة فانتقلت الى غرفة أخرى فى الدار رقم ١٦ بشارع سان فرديناند كنت أدفع أجرتها ستة فرنكات يوميا

وبقيت أسبوعين فى باريس لم أتلق فيهما خبراً من جريدتى ولكني فى أواخر ابريل وأوائل مايو ورد لى تلغراف من صاحب وادى النيل يبلغنى فيه أنه أرسل لى ألفا وخمسمائة فرنك تحويلا على الكريدى ليونيه . ولعله خشى أن لا يصلنى التلغراف فأرسل الى شعراوي باشا مثل هذا الخبر تلغرافيا ليبلغه لى . ولكن الديون التى تراكمت على كانت تستغرق كل هذا المبلغ أو جله على الاقل

وأرسل لى الكازه أفندى بعد ذلك الفين من الفرنكات على دفعتين وعلمت بعد عودتى أنه أرسل لى الفا ثالثة ولكن سوء الادارة فى البنك الذى حول المبلغ اليه حال دون وصوله الى أو اخطارى

به على الاقل فلم أعلم به وأستلمه الا بعد عودتى الى مصر وبعد مخابرات طويلة مع الكريدى ليونيه وشركة كوك

وقد قضى على سوء حالتى المالية بباريس أن أترك غرفتى فى شارع سان فردينان الى غرفة أحقر منها كنت أدفع أجرتها مائة فرنك فى الشهر وهى فى الدور الرابع من البناء رقم ١٩ فى شارع الفونس دوديه فى الدائرة الرابعة عشرة. وهذه الدائرة معروفة بأنها حى العمال : وهو فى طرف باريس من جهة باب أورلياذ

وحدث أن اعتصب عمال النقل والترام والمترو والاومنيبوس ولم تكن حالتي تسمح لى باستئجار سيارة فكنت كل يوم أقطع المسافة من دارى الى مقر الوفد بشارع مالاكوف سيراً على الاقدام . أى أنى كنت أخترق باريس من أحد طرفيها الى طرفها الآخر ماشيا

وليدرك القارىء طول هذه المسافة التى كنت أقطعها ذهابا وعودة أقول أن باريس يبلغ تعدادها نحو أربعة أو خمسة ملايين نفس وحجمها يكاد يكون ستة أضعاف حجم القاهرة

ليلة تحت سماء باريس

ومع كل هذا فقد بلغ بى سوء الحال أنى لم أستطع دفع إيجار غرفة حقيرة أقمت بها. وانقضت ثلاثة أسابيع وربة البيت تطالبنى وأنا أعدها رجاء أن يصلني بين يوم وآخر ما يمكنني من إيفاء دينها . وبالضبط فى يوم ٢٢ يونيه عدت لانام حول منتصف الليل وكنت

منهوك القوى أكاد أسقط من التعب فوجدت باب الغرفة موصدا وعليه ورقه من ربة الدار تقول فيها أنها أوصدتها الى ان ادفع لها الايجار . وهكذا قضيت ليلى في شوارع باريس تحت المطر الشديد وفى البرد القارص. وكنت كلما أنهكنى التعب من السير أجلس على مقعد من المقاعد العامة

وطلع علىّ النهار وأنا أرتجف من ألم البرد والتعب وكان كل ما معى فرنك واحد فدخلت قهوة من قهاوى العمال شربت فيها فنجان قهوة بخمسة وثلاثين سنتيما

ولم تشأ عناية الله أن أعذب أكثر من هذا فوجدت نجدة لم أطلبها فى الواقع فقد استلمت فى بريدى اخطاراً من بنك الكريدى ليونيه فذهبت فاذا ٢٩٠٠ فرنك (مائة جنيه) مرسلة لي من أسرتى تحويلا تلغرافيا من فرع شبين الكوم ولم أكن قد طلبت منها نقوداً قط ولكنها العناية الربانية

ومن هذا المبلغ سددت كثيراً من ديونى فلم يبق منه الا القليل وضاق بى الحال حتى لم أستطع الاقامة أكثر من ذلك فدبرت أجرة العودة اقتراضا من بعض الاصدقاء وكلهم من أعضاء الوفد ورجاله ثم عدت فى ٦ اغسطس فوصلت الاسكندرية في ١١ منه

ويصح ان أقول انصافا للكازه افندى اننا تحاسبنا بعد عودتى ودفع لي كل ما بقي لى عنده من مرتبي ونفقاتى فى السفر والعودة

لعلى بعد هذا أكون قد وفقت الى ارضاء فضول الذين كانوا يتساءلون كيف سافر وكيف عاد وكيف أقام . ولعلى أوفق بعد ذلك الى إجابتهم على بقية ما جال في نفوسهم بعد عودتى

ان التفاصيل التى كتبتها والتى سأكتبها صادرة من نفس محزونة متألمة . من نفس تجرحها كل كلمة من تلك الكلمات ولكنها تحتمل كل هذا لتنفض عنها الغبار الذى أثاره قوم أكل الحسد قلوبهم وأعمى الغيظ بصائرهم وابصارهم

ورغم الحياة الشاقة التى كابدتها فى باريس ورغم الاعسار الشديد الذى كنت أكابده تيسر لى ان أخدم بلادى الى أكبر حد مستطاع

كنت أخدم بلادى برسائلى فى « وادى النيل » . وبعملى فى باريس

كنت في الوقت الذى اقفل فيه كل باب امام الوفد . في الوقت الذى استحكمت فيه حلقات اليأس حتى خشى ان يكون لها تأثير على الروح العامة هنا أكتب الرسالة تلو الرسالة ادعوا الى الثقة بالوفد والالتفاف حوله

وصل الوفد الى باريس ولقى فى الدوائر الرسمية الصدمة تلو الصدمة . فأخذ الرجاء يتضاءل . والامل يزول . وقال البعض انتهت مهمتنا فلنعد . وقال البعض الآخر لم يعد ثمة مجال لعمل

شيء فلا فائدة في انفاق المال . وقال البعض يجب أن نعترف بضياع كل أمل وان ما نعمله الآن ما هو الا تنظيم للهزيمة

رأيت سعد باشا وزملاءه يدقون أبواب المؤتمر ووفود الصلح فتقفل في وجوههم ويجبهون . فوجدت نفسي أمام واجبين واجب الصحفي . وواجب المصري

كصحفي كان يتحتم عليّ ان أسرد لقراء جريدتي الحقيقة على علاتها . وان لا أخفي عنهم ما كان يقع دون تحوير أو تبديل . وأن لا أكتم شيئا من الصدمات التي كانت تصيب الوفد وبعبارة أخرى قضية مصر . ولا من الاختلافات التي كانت تقع بين الاعضاء وبعضهم ولا ولا ولا الخ الخ .

هكذا كان واجبي كصحفي

ولكني أعترف هنا بأني لم أتردد في تضحية هذا الواجب أمام الواجب الوطني فقد كنت أرى أن واجبي كمصري يقضي عليّ بأن لا أكتب حرفا يمكن ان يبعث اليأس في نفوس المصريين . كنت أرى أن القوة الوحيدة الباقية لنا هي في اتحادنا . وانا لم يعد لنا سلاح بعد قرار مؤتمر الصلح سوى تضامننا وتآزرنا . بل تركت بريئين يلوثان ظلما ويتهمان باطلا . ولم أتقدم للدفاع عنهما لان الدفاع عنهما كان من المحقق أن يمس غيرهما كما كان يحتمل أن يؤدي الى اضطراب في الافكار مهما صغر فضرره كبير

هكذا كنت أرى واجبي كمصري . وعلى هـذا الرأى كنت ابنى مقالاتى ورسائلى

كنت لا أقول الـكلمة المرة الا لمن يصح أن يسمعوها فى باريس فاجرد رسائلى من العبارات المثبطة للعزائم مهما كانت حقيقتها

والظاهر أنى أصبت فى اتباع هذه الخطة والظاهر انها جاءت بالفائدة منها فقد أخبرنى سكرتير لجنة الوفد المركزية (عبد الرحمن بك فهمى) فى حديث جرى لى معه بعد عودتى انه جاء وقت سكون وفتور وكانت التلغرافات ترد بضعف الرجاء وحبوط المساعى ولكنه كان ينشر بدلا منه ما يبعث الرجاء ويشدد العزائم . وكانت رسائلى تجىء فتساعد على التأثير المطلوب

***

كنت فى باريس اشعر بمبلغ جهل الاوروبيين بقضيتنا فقد كان كل ما يعرفونه عنا صورة مشوهـه مضطربة رسمها مغرضون فصورونا فيها جهلاء متعصبين منحلين خملين لا نصلح الا لان نساق ولا سبيل الى اصلاحنا الا مكرهين

ولم يكن فى وسعي أن أقوم بحركة «بروباجندا» لقلة ما بيدى من المال ولكنى مع هذا رأيت أن ذمتى لا تبرأ الا اذا فعلت كل ما يقدرنى عمله فقدمت الى الوفد فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٩ تقريراً مطولا عن ضرورة الاهتمام بحركة النشر وخاطبت بعض اخوانى من أعضاء

الجمعية فى الامر . وعلمت أن بعض الجمعيات الاشتراكية والاحزاب فى انكلترا أخـذ يهتم بمسألة مصر غـير أن الصحف الاستعمارية وحدها هى التى كانت تنشر تفاصيل عن الحركة المصرية . على انها كانت تفاصيل منفرة فعمدت فى الحال الى وضع مذكرة موجزة لم تكن تسمح مالبتى بطبعها فطبعتها على الآلة الكاتبة فقط وصدرتها بخطاب تاريخه ٢٥ ابريل سنة ١٩١٩. أما المذكرة فمن الحركة المصرية ومطالب المصريين . واما الخطاب ففيه تمهيد ونفى للتهم التي رميت بهـا الحركة الوطنية الاخيرة من انها دينية أو ضد الافرنج . وقد نشرت الخطاب فى كتابى « مع الوفد » فلاحاجة الى اعادة شىء منه

وارسلت المذكرة والخطاب الى لورد كرو رئيس حزب المعارضة فى مجلس اللوردات والى الكابتن ودجوودبن عضو مجلس العموم وهما اللذان اثارا المناقشة المشهورة في شأن مصر في المجلسين فى جلسة ١٥ مايو سنة ١٩١٩

وارسلتها الى رئيس حزب العمال فى مجلس العموم والى عشرات من اعضائه واعضاء مجلس الاعيان والي غيرهم من اعضاء الجمعيات الحرة والاشتراكية فى انكلترا

وكتبت الى المسز بلنت المشهور والى «برنارد شو» الكاتب المعروف وقد كتب الي الثانى يقول ان جمعية « فابيان » (جمعية حرة بانكلترا) تهتم الآن بمسألة مصر وانهـا يسرها ان تسمعنى

كمصرى» وقد حاولت ثلاث مرات الحصول على اذن بالسفر الى لوندزه ولكن السلطات البريطانية بباريس رفضت ذلك قطعيا

وفى ١٣ مايو عرفت ان مناقشة فى شأن مصر ستجرى فى مجلس العموم فطيرت الخبر الى جريدة « وادى النيل » . وكان المقرر ان تخصص لذلك جلسة ١٥ مايو بعد الظهر فارسلت فى ظهر اليوم نفسه تلغرافا الى الكابتن ودجوود بن صاحب الاستعلام الذي جددت لاجله الجلسة — حتى يصل اليه أثناء الاجتماع وفيه لفتت نظره الى الحوادث التى وقعت فى البلاد المصرية وقد أتيت على صورته الرسمية بالزنكوغراف وعلى ترجمته فى كتابى « مع الوفد »

***

ولم اترك اعتراف الرئيس ولسن بالحماية يمردون ان ارسل اليه احتجاجا . وقد حاولت ان اصل اليه لعمل حديث معه عن الاسباب التى حملته على الاعتراف بالحماية وعن موقف مصر تلقاء عصابة الامم . وكتبت الى سكرتيره الخاص في ٢٨ ابريل ولكن جاءني منه ردرقيق بان الرئيس ولسن جعل لنفسه قاعدة عدم اعطاء احاديث

وكنت اتردد على الاوساط المختلفة لشرح المسألة المصرية وتاريخها والحركة الاخيرة واسبابها فكنت اجد جهلا مطبقا بالمصريين وحالتهم ومسألتهم فاعمل على تبديده جهد الاستطاعة

وقد اشرت الى جل ذلك فى كتابي «مع الوفد»

* * *

هذا موجز لما قمت به لمصر . ولكنه ليس كل مافعلته بباريس فقد وجدت مجال العمل للشرق فعملت

عرفت كثيرين من الشرقيين على اختلاف جنسياتهم. وكنا نجتمع و نتداول فى احوال كل أمة منا وأحوال الشرق عامة فرأينا ان الشرق خرج من هذه الحرب ممزقا وان مطامع دول الغرب سارت فى استعماره ...فبحثنا فى خير وسيلة نحطم بها قيود الغرب . فوجدنا ان العلة هي الانقسام وعدم وجود رابطة مابين الشرقيين عامة . فأردنا ان نضع الحجر الاساسى لهذه الرابطة

وكنا نجتمع المرة بعد المرة فى أماكن مختلفة وعقدنا جلسات عديدة وضعنا فيها نظام اتحاد شرقى سميناه عصبة الامم الشرقية غايته تآزر هذه الامم واتحادها فى العمل لتحرير كل أمة منها وترقيتها. ووضع قانون أساسي مبدئى لذلك وقد عرضت الفكرة على بعض أعضاء الوفد فحبذوها ولكنهم اعتذروا عن الاشتراك فيها لأن صفتهم فى الوفد تحول دون ذلك

وقد سافرت فى العام الماضي ثانية الى أوروبا لحضور مؤتمر كان المتفق عقده فى نوفمبر سنة ١٩١٩ ثم ارجىء الى ابريل . وقد اطلعت بعد عودتى على تفاصيل عن اجتماعات أخرى له في بعض

البلدان وأعمال هامة نافعة يقوم بها

***

مذكرات مني

ويصح ان أذكر في نهاية هذا القسم انى رفعت للوفد واثناء بباريس اربع مذكرات

الاولى في ٢٤ ابريل سنة ١٩١٩ عن الفرص التي تسنح وضرورة انتهازها. وتحوى بيانا بالمعلومات كثيرة عن حالة المفاوضات عامة في مؤتمر الصلح والدسائس التي تدبرها الدول فيه للوصول الى غاياتها ومهارة السياسة البريطانية وكيف تسير المؤتمر طبقا لأغراضها . وفي المذكرة بحث في ضرورة الاهتمام بحركة النشر وإحداث ضجة كبرى في الصحف

والثانية في اليوم التالى (٢٥ ابريل) فان بعض الامريكيين لفت نظرى الى أن الكلمة الاخيرة في مصير مصر لم تقل لأن شروط الصلح لم تكن قد سلمت للالمان والاتراك بعد فقد لايخلو الاهتمام بالبروباجندا من فائدة وانما يجب مضاعفة المجهود حتى يكون له تأثير . وقد كتبت ذلك للوفد وقلت انه من المفيد كثيراً ارسال عضوين ممن يعرفون الانكليزية الى أمريكا لعمل حركة بروباجندا

كتبت هذا في ٢٥ ابريل سنة ١٩١٩ . والظاهر ان الحوادث

برهنت للوفد فيما بعد على فائدة العمل في آمريكا فاتفق مع المستر فولك وأوفد محمد باشا محمود بعد ذلك بنحو أربعة شهور

والثالثة في ١٣ مايو عن ضرورة الاهتمام بنشر تفاصيل القضية المصرية في البلاد المختلفة وارسال وفود لعمل حركة بروباجندا في كل مكان لا سيما انكلترا وأمريكا وإيطاليا

والرابعة في ١١ يونيو عن موضوع البروباجندا أيضا

ولقد سرت مذكرة ١٣ مايو كثيرين من أعضاء الوفد رغم ما ورد فيها

***

قد يدهش القارىء إذ يجدني كنت دائما ألحّ في ضرورة الاهتمام بالبروباجندا ولفت نظر الوفد اليها . ولو علم مبلغ جهل الاجانب بمسألتنا وحالتنا ومطالبنا وحقوقنا لأدرك كنه ذلك

ولم أكن وحدي المدر ذلك فان الجمعية المصرية خابرته في الامر مرات . وكان الوفد على ما يظهر يعني أكثر من كل شيء بالسعي لدى الدوائر الرسمية . وكان بطبيعة الحال يتكتم أعماله ومساعيه ولذا كان يخيل للبعيد عنه أنه لا يعمل شيئا أو انه على الاقل يترك أشياء .

وتجسمت هذه الفكرة الى حد أن اقترح أحد أعضاء الجمعية المصرية في جلسة حضرتها ارسال خطاب شديد للوفد لمحاسبته

على الاهمال في نشر الدعوة . وكان كثيرون يرون هذا الرأى ولكني وبعض الاخوان حملناهم على رفض هذا الاقتراح والاكتفاء بارسال عضو للوفد يلفت نظره الى زيادة الاهتمام بالنشر . ومع هذا فان بعض أعضاء الجمعية وغيرهم أرسلوا خطابات خاصة بهذا المعنى .

وكان يزيد هذه الفكرة تجسما ما كان يشاع عن استياء بعض اعضاء الوفد انفسهم من السكون والاقتصار على المساعي الرسمية دون عمل شيء آخر ودون القيام بحملة في الصحف وبواسطة النشرات والخطابات .

بعد العودة

تيسر لى فى أواخر يوليه أن اقترض نفقات السفر الى مصر من عبد العزيز بك فهمي وأبو النصر بك وبدر بك سكرتير الوفد وفى ٢ أغسطس سنة ١٩٢٠ حضرت المأدبة التي أدبها الوفد ظهراً للصحافيين الفرنسويين والاجانب ولغيرهم ثم غادرت باريس فى مساء اليوم نفسه الى مرسيليا حيث استقلت الباخرة « لوتس » عائداً الى مصر وكان عليها صدقى باشا وأبو النصر بك وبدر بك . وكانت المساعى الجارية بين الوفد وبعض الامريكيين للدفاع عن القضية المصرية لاتزال في طي الكتمان ولكنى كنت واقفا على تفاصيلها غير أنى كنت قد قطعت عهداً بأن

لا أذكر عنها شيئا حتى يبلغها بدر بك الى اللجنة المركزية

ولست فى حاجة الى تذكير القراء بما حدث بعد عودتى من استمرارى على الكتابة مطنبا فى جهود الوفد حاثا على متابعة الالتفاف حوله. ثم قضت بعض أسباب بينها المرض علي بمغادرة الاسكندرية الى القاهرة . وهنا قابلنى صاحب جريدة الافكار وأفهمنى أنه فسخ عقد الشركة الذي كان بينه وبين الصوفانى بك وعرض عليّ رئاسة تحرير جريدته فقبلت. وكان أول شرط تمسكت به أن أحدد خطة الجريدة في التعاقد بأنها خدمة القضية المصرية الوطنية وتعضيد الحركة الموصلة الى الحصول على الاستقلال التام

ولم أكد أتأهب لتولى عملى الجديد حتى وجدت اشاعة خبيثة قد انتشرت فقيل ان شركة انكليزية اشترت جريدة الافكار واشترطت تعيينى رئيسا للتحرير ضمانا لخطتها وقيل غير ذلك كثير من هذا القبيل

وجاء كثيرون ممن يهمهم أمرى يلفتون نظري الى هذه الاشاعات ويشيرون عليّ بتكذيبها في الصحف فآثرت أن أترك للظروف والحوادث قتل هذه الاكاذيب وأظهار اختلاق أصحابها وكنت أقول لمن يسألوني ان الامة عاقلة وان الشعب أصبح ولله الحمد يدرك الغث من الثمين وستصدر الافكار فاذا كانت غير وطنية النزعة فلينبذها الجمهور

وقد ظهرت « الافكار » فكانت فى طليعة الصحف المؤيدة للوفد المناصرة للحركة الوطنية وأنى أتحدى أيا كان لان يخرج منها ماينافى الوطنية فى المدة التى توليت تحريرها فيها

فالافكار فى عهدي كانت الجريدة الوحيدة التى . . .

كانت تنشر من الاخبار الداخلية والخارجية كل مايمكن أن يقوى الثقة فى نفوس الاهالى ويشدد عزائمهم . ولا حاجة بي الى تعديد ما قامت به من الخدمات للقضية المصرية فقد كان الناس يقرؤن مافيها

وقد صدقت فراستي فى الامة فانها قدرت عملى حق قدره فكان لايخلو البريد كل يوم من خطابات ثناء وتشجيع لى على عملي أو قصيدة اطناب فىّ وفى خطة « الافكار » فى ذلك الحين مع أنى لم أكن أؤدى الا الواجب المفروض الذى يعد أهماله جريمة

ولقد كان الناس يقفون . . . . . أمام مقر جريدة « الافكار » فيهتفون لهذا العاجز الضعيف والافكار في حياتها الجديدة . وكانت هذه أعظم مكافأة سررت بها في حياتى . وكان هذا الهتاف ينسينى آلامى ومتاعبي . ولا يضيرنى أن أقول أنى لم اكن أتمالك نفسي من البكاء

على أن خدمتى الوطنية لم تقتصر على تحرير « الافكار » ومجرد الكتابة . وهناك أشياء كثيرة . . . . . لم يحن أوان نشرها ولكنى أشير منها الى المجهود الذى بذلته مع الصحافيين الاجانب عصر

وصل الى القاهرة عند وصول لجنة لوردملنر بعض المراسلين الانكليز ومراسل جريدة « تشيكاجو تريبيون » الامريكية فرأيت انه يصح الاستفادة بهم لخدمة قضيتنا فى صحفهم فاقترحت على من بيدهم العمل أن يعهدوا الى بعض الشبان المتعلمين التردد على أولئك المراسلين وجمعهم برجال الامة واطلاعهم على حقيقة الحالة وحقيقة الروح الوطنية حتى لا تكون رسائلهم لصحفهم صارة بالقضية من حيث « البروباجندا » . ولكن اقتراحي هذا أهمل مع الاسف كما أهمل كثير من الاعمال العامة لجهل بالواجب وقلة خبرة بأهمية تلك الامور

ورغم هذا رأيت أن أقوم بالواجب في هذا الشأن جهدى فوجدت أن بين المراسلين من جاءوا لغاية معينة يراد بها خدمة سياسة معينة مثل مراسل الدايلى مايل فقد كان لا ينتظر منه الا الضرب على النغمة التى ترضى الاستعماريين فى بلاده . ومثل هذا المراسل وجدت أن من العبث اضاعة الوقت معه فلم أكلف نفسى عناء التعرف به ومناقشته ووو الخ

وكان بين المراسلين من كانوا لا يأبون سماع الحقيقة والرضوخ لها مثل مراسل المانشستر جارديان والدايلى نيوز . فهؤلاء كانوا يتناقشون للتنور ويبحثون للوصول الى الحقيقة

وكان هناك مراسل جريدة « تشيكاجو تريبيون » وهي أكبر

جريدة منتشرة بأمريكا تصدر منها نسخة بمدينة « تشيكاجو » وتطبع سبعمائة الف نسخة يوميا . ولها نسخة اخرى تصدر بباريس . ولها صلة بصحف عديدة كبرى فى مختلف البلدان الامريكية وغيرها تأخذ عنها اخبارها . ومراسل « تشيكاجو تريبيون » جاء محايداً واراد دراسة الحالة كمحايد خالى الذهن من كل فكرة ترمي الى التحيز أو عدم الانصاف

اما المستر جفريز مراسل « الدايلى مايل » فابتعدت عنه وقد ذكر لي احد الكبراء ممن يعرفونه انه طلب منه ان يجمعنى به ولكنى اعتذرت لانى سمعت ممن قابلوه انه فى مناقشته لا يخرج عن نغمة واحدة وفكرة واحدة وغرض واحد

اما المستر سمث مراسل الدايلى نيوز وغيره فكانوا لا يستنكفون ان يواجهوا الحقيقة وقد كان اول عمل عملته ان جمعتهم ببعض رجال الوفد وزعماء الحركة الوطنية فى مآدب كنت ادعوهم اليها بفندق شبرد حيث كنت اقيم . وممن جمعتهم بهم حضرة الدكتور حافظ بك عفيفى وحضرة امين بك الرافعي . وكنت امهد لهم الطرق لمحادثة الكبار مثل دولة رشدى باشا ومعالى عدلى باشا وغيرهما

وقد جاءت جهودى فى هذه الجهة بفوائد كثيرة فان كثيرا من رسائل هؤلاء المراسلين كانت لا تخلو من جانب كثير من الانصاف للمصريين وكذلك لم تخل من اشياء كثيرة لمصلحة

ولعل اكبر خدمة اداها صحفي اجنبي للقضية المصرية هي الخدمة التي اداها المستر لاري رو المراسل الامريكي

المستر لاري رو شاب متوقد الذكاء قوي الفكر سريع الخاطر. قل ان يوجد شخص في سنه له مثل تجربته وبعد نظره في استقراء ما يجول في خاطر محدثه مهما حاول المحدث ستره واخفاءه

وصل الى القاهرة وهو لا يعرف احداً هنا فكان أول ما فعله زيارة بعض الدوائر الخصوصية ولكن ما سمعه فيها لم يكن مما يبتهج له المصريون . ثم عرف بعض افاضل الوطنيين فافهموه شيئا من الحقيقة . ثم عرفته في شبرد فكنت اصحبه الى مقابلة الكبراء والزعماء لمحادثتهم . وكنت اصحبه الى الازهر والكنائس في حفلات اعياد المسلمين والمسيحيين ليرى بعينيه مبلغ التآخي بين عنصري الامة ويتحقق كذب ما قيل له من تأصل روح التعصب الديني في نفوس المصريين . وجمعته بكثيرين من الاسرائيليين ليرى ان الامة كلها على اختلاف اديانها مجمعة على المطالبة باستقلالها . وقابلته بكثيرين من الاجانب ليتحقق ان الحركة الوطنية مجردة من اقل روح عداء للاجانب كما اشاعت بعض الصحف المغرضة في الخارج . واخذته الى القرى ليتأكد بنفسه ان الحركة الوطنية تتناول جميع الطبقات وانها غير مقصورة على المتعلمين او اهل المدن فقط

وكان المستر لاري رو كصحافى محايد اجنبي يتردد على مقر لجنة ملنر لاستطلاع الاخبار وحدث انه كان يناقش سكرتير اللجنة فى مطالب المصريين . وجرت المناقشة الى ذكر حوادث • فنفى المستر لويد السكرتير ذلك قائلا انه مجرد اختلاقات لا اثر لها من الحقيقة . وقد خشيت ان يكون لهذا القول اثر فى المراسل

فجمعته بحضرة ابراهيم دسوقى اباظه بك • • •

ثم جمعته بالاستاذ احمد افندي ابراهيم المحامى • •

وشرح له المسائل التى كان يستعلم عنها باسهاب . وبعد استيفاء المعلومات كلها من القاهرة اخذته لزيارة القرى فى • • حيث زار بعضها بيتا بيتا وقابل أهلها وعمدها وحادثهم وصادف أن وجد بين الاهالى أشخاصا يعرفون اللغة الانكليزية الى حدما فكانوا يفهمونه مايستعلم عنه مباشرة

وقد كتب المستر رو المراسل مقالة عما شاهده مؤثرة جداً ظهرت فى عدد أول مارس من جريدة « تشيكاجو تريبيون »

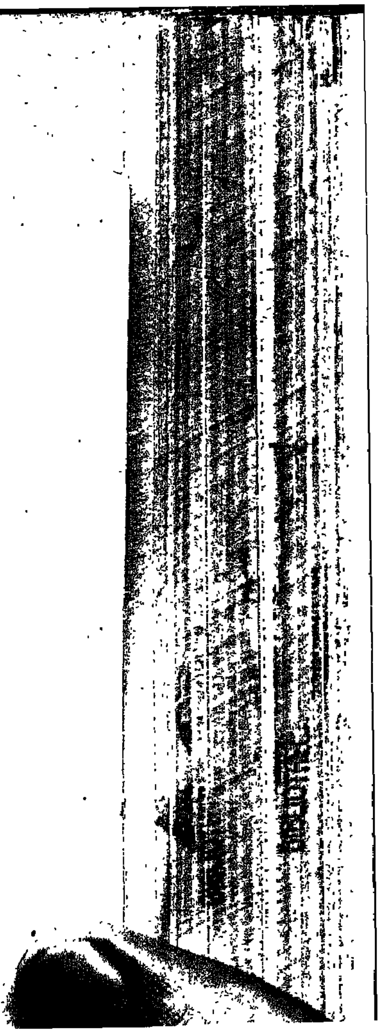
وكنت أنتهز فرصة كل اجتماع لآخذ المستر رو وأخوانه المراسلين الاجانب اليه وهكذا جعلتهم يشاهدون مبلغ نهضة المصريين وكنت أفسر لهم مايغمض عليهم

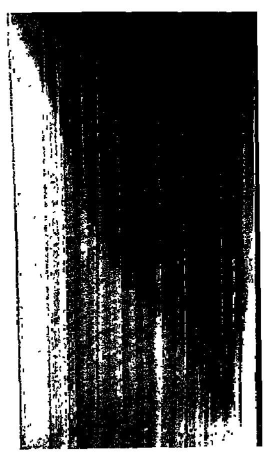
وقدم لى المستر رو أسئلة عن القضية المصرية طلب منى الاجابة



المستر لارى رو

انظر صحيفة ٢٠٧ الى ٢١٣





عليها أو اعطائه معلومات عنها وقد كتبت له مقالتين من بعضها نشرا في جريدة « تشيكاجو تريبيون » بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٢٠ وتاريخ ٣ مارس سنة ١٩٢٠ . الاولى عن الشرق ومبادئ ولسن ومعاهدة الصلح في نظر الشرقيين والثانية عن أهلية المصريين لتولي شئونهم بأنفسهم دون تداخل أجنبي وما يزعمون عمله اذا استقلوا . وقد نشرتهما « تشيكاجو تريبيون » في موضعين ظاهرين

أما بقية الاسئلة فاعطيتها لامين بك الرافعي للرد عليها وقد كتب الرد وترجم الى الانكليزية وسلم الى لاري رو والظاهر ان نطاق الجريدة لم يتسع له لطوله وقد نشر أمين بك الترجمة في جريدة الاخبار منذ مدة . والاسئلة تتناول مركز الانكليز في مصر

وقد بعث المستر رو من مصر نحو ستين رسالة من الانصاف له ومن قبيل الاعتراف بفضله ومن قبيل تسجيل يد أداها لمصر بعدم تحيزه وبانصياعه الى الحق أقول انها كانت من أعظم الخدمات التي اديت لمصر من حيث نشر الدعوة . ولا شك ان مقالاته التي نشرت في اوروبا وامريكا قد علمت الملايين كثيرا من الحقائق التي كانوا يجهلونها عن مصر . ومهما قلت فلن اوفي المستر رو حقه من الثناء

بدأ المستر رو رسائله بوصف الحركة الوطنية فاظهر كيف انها تتناول جميع الطبقات واورد أدلة محسوسة على ذلك ومما اذكره عرضا انه كان يخرج وينتقل في الاحياء المختلفة ويحادث الناس على اختلاف

درجاتهم بين فقير وغنى وكبير وحقير

ثم كتب رسائل أظهر فيها بالبراهين ان الحركة المصرية الاخيرة وطنية بحتة لا تتناول الدين ولا تمس الاجانب وضرب الامثلة على ذلك وعلى تضامن الاقباط والمسلمين وكان يكتب عن صلة الفريقين واتحادهما

وكتب عن روح الرقى بين المصريين وتقدمهم وانتشار العرفان بينهم . وعن نهضة المرأة المصرية ومقدرتها والدور الذى لعبته فى الحركات المصرية وعن مسألة النقاب وحقوق المرأة فى صدر الاسلام

وتكلم عن نهضة المصريين الاقتصادية واقبالهم على شراء سندات الدين المصرى لتحرير مصر من رق الدين الذى يشل حركتها ويقيد حريتها

وكان يكتب عن كل مظاهرة من المظاهرات الوطنية التى كانت تعمل لاستقبال العاملين أو وداعهم أو أو الخ الخ . وبالجملة وفى الشعور الوطني حقه من الوصف الصحيح المجرد عن الهوى

وكتب مقالات عن حالة مصر قبل الاحتلال وبعده مظهراً النهضة العلمية التى كانت فيها لعهد محمد على واسماعيل . وموضحا أن الرقى المادى أو الادبى الذى نالته مصر فيما بعد ذلك انما كان نتيجة لازمة لسنة الارتقاء الطبيعية وانما كان يصح أن تصل الى

أضعافه لو كانت مستقلة .

وكتب ايضا عن نظام الحكم فى البلاد والموظفين الانكليز وغير ذلك ونشر أحاديث مع كثيرين من الكبراء مثل رشدى باشا وغيره. وعلى ذكر الاحاديث أذكر انه فى الاسابيع الاولى من وجود لجنة ملنر كانت هناك اشاعة يفهم منها ان اللجنة تقبل المفاوضة على قاعدة الاستقلال التام وانها مستعدة للتسليم به متى أقنعت بذلك . وقد اطلعت المستر رو على هذه المساعى فرأى ان يتبين ذلك من بعض أعضائها أو من رئيسهم وتيسر له أن يحادث المستر سبندر احد اعضائها

وقد اطلعني المستر رو على الحديث بعد عودته من فندق سميراميس فاذا بالمستر سبندر يقول له ان المسألة ليست مسألة استقلال تام وان أكثر المصريين لا يدركون معنى الاستقلال التام الذى يطلبونه وانه ليس بينهم اثنان يعرفان ماهية الاستقلال التام الذى يطالبون به وان المسألة مسألة اصلاحات داخلية وإنقاص عدد الموظفين الانكليز وازالة أسباب الشكوى من بعض مسائل ادارية وغيرها

أسر لى المستر رو المراسل بهذا الحديث كما يسر الصديق لصحافى الصديق الصحافى . وهو يعتقد بطبيعة الحال انى سأكتمه الى أن يظهر فى جريدته ولكن الواجب الوطني تغلب هذه المرة

على الواجب الصحفى أيضا فلم أتردد فى الذهاب الى دار سعد باشا زغلول حيث كانت تجتمع لجنة الوفد المركزية. وكانت اللجنة مجتمعة فقصصت عليها ما جرى وأطلعتها على الحديث . والظاهر انه كان بين أعضائها فريق يرى المفاوضة وفريق ضدها والظاهر ان الفريق الثانى اعتز بهذا الحديث لاقامة الدليل على أن لجنة ملنر لا تزمع فعلا قبول الاستقلال التام أو قبول جمله قاعدة للمفاوضات

. . . .

وأبلغت ان المستر سبندر يلح في مقابلتي وانه سينتظرني بفندق «سميراميس» الساعة الحادية عشرة صباحا والساعة السابعة مساء فاعتذرت أيضا . وأخيراً جرت لي مقابلة مع المستر سبندر نفى لى فيها ما روى عنه خاصا برأيه فى مطالب المصريين وأكد لى انهم لا يترددون في منح مصر استقلالها وان كل ما يطلبونه انما هو ضمان مصالحهم ومصالح الاجانب ونحو ذلك وطلب مني أن أنشر شيئا في هذا الشأن في جريدة الافكار فامتنعت وقلت له انهم يمكنهم أن ينشروا ما يشاءون ببلاغات منهم مباشرة . أما أنا فلا يمكن أن ينتظروا مني أى عمل يصح أن يكون فيه تسهيل مهمة لجنة ملنر ما دامت الامة مجمعة على مقاطعتها وما دامت هذه المهمة تنافى مصلحة البلاد

ولم أكد انتهى من مقابلة المستر سبندر حتى قصدت الى مقابلة

بعض أعضاء الوفد ولجنته واطلعتهم على الحديث الذى جرى لى وأطلعت بدر بك سكرتير الوفد عليه أيضا

وإتماما للفائدة اذكر انه جرى للمستر رو حديث آخر مع لورد ملنر نفسه اطلعت بعض اعضاء الوفد عليه فى حينه وقبل نشره فى « تشيكاجو تريبون » . كما أطلعتهم على تفاصيل أخرى خاصة بالحديث . وقد أبلغ أمره لسعد باشا فى حينه

وقد كان لكتابات صديقى لارى رو المراسل الامريكى فى جريدته تأثير كبير قدره رئيس الوفد المصرى كما قدرته الجمعية المصرية بباريس وأرسلت وفداً منها يشكر رئيس تحرير الجريدة على الخدمة الكبرى التى أدتها جريدته للقضية المصرية على لسان مندوبها فى مصر

ومما أذكره انصافا للمستر رو كصحفى وللحقيقة انه اذا كان قد ايد القضية المصرية فليس ذلك لانه اراد تأييدها وانما لانه درسها دراسة تامة وافية فقد كان قبل كتابة أية رسالة يسألنى عن المعلومات التى يريدها ثم يعمد الى تحريها من مصادر مختلفة وينقب ويبحث حتى يصل الى انها الحقيقة ثم يكتب عن اعتقاد . ومن الغريب ان المستر رو رغم صغر سنه ورغم ما قد يظهر عليه من الخفة أو ما يخيل لمن لا يعرفه منها شديد فى تمسكه بواجبه الصحفى ، شديد فى تقدير هذا الواجب . صادق الفراسة فى الحكم على الاشخاص وإن لم يجالسهم

الا دقائق قليلة

كيف اقفلت جريدة الافكار

كانت الافكار فى عهدى كما قلت فى طليعة الصحف المؤيدة للحركة الوطنية . وكانت أخبارها الخارجية تنتقى بحيث لاتخلو من فائدة ولو غير مباشرة للمصريين وحركتهم .... وكانت تتناول أخبار الشرق لاسيما البلاد التى تعمل مثلنا للاستقلال التام. واخبار الحركات الوطنية فى البلدان المختلفة. واخبار الازمات التى تثار حول معاهدة فرساى.....

وأيد بعض رجال الوفد ولجنته فكانت الافكار فى طليعة الصحف المنادية بالافراج عنهم كما انها كانت فى طليعة الصحف المحرضة على مقاطعة لورد ملنر عند حضورها

وعاد سينوت حنا بك من الفشن فأراد العودة الى نشر المقالات التى أصدر بعضها بجريدة « مصر » فأفسحنا لها صدر «الافكار» وبينا كانت تصدر فى « الافكار »......

ورأت السلطات أن الملاحظات لم تكف لردعنا فأمرت شفويا بعرض مقالات سينوت حنا بك قبل نشرها ولكن سينوت بك خشى ان يحذف شيء من المقالات أو يحدث تحوير فيها فأبى الا ان تنشر دون رقابة وبحذافيرها ..... وهكذا ظهرت مقالة لسينوت بك دون عرضها . وكان ذلك مخالفة بطبيعة الحال للاوامر الصادرة وهكذا

صدر الامر بأقفال الجريدة مؤقتا

واستدعيت في بعض الدوائر حيث جيء بالمقالة التي أقفلت لاجلها الجريدة . وقيل لى أن فيها مطاعن على الحكومة ورجالها يمكن ان تترك أثراً سيئا وان ماورد فيها يدخل تحت طائلة قانون العقوبات . وانى بعملي هذا يصح تقديمي لمحكمة الجنايات لمعاقبتي على المطاعن المشار اليها . وقيل ان الحكومة لا يمكن أن تسمح لاحد بأى عمل من شأنه اثارة اضطرابات وانها ترمي تنفيذ سلطتها ولا يمكن أن تسمح بعناوأتها ولا يمكن ان تسكت وترضخ لمشيئة فرد أو أفراد يجرون البلد الى ماليس وراءه سوى الضرر والخراب

وقد خرجت وأنا تحت تأثير الانفعال الشديد والالم فكتبت مقالة بعنوان « في سبيل الحرية » أعددتها لاول عدد يصدر بعد انتهاء مدة التعطيل . وقد كتبتها ودفعت بها الى المطبعة دون ان أقرأها ثانية ، وقد نشرت دون ان أتمكن من مراجعتها مرة أخري . . وهكذا لم يظهر عدد واحد من الافكار حتى صدر الامر ثانية بأقفالها ورأيت صاحب الافكار يفاوض غيرى لتولى رئاسة تحرير جريدته بدلي .... فوجدت كل باب للعمل موصد في وجهي

وعلمت فجأة ان سينوت بك حنا لامر ما يتأهب للسفر على أول باخرة وحدث ان جاءتني خطابات من أوروبا بأن مؤتمر الامم الشرقية الذى اشتركت في تأسيسه بباريس سنة ١٩١٦ سينعقد بايطاليا

في أوائل ابريل فصحت عزيمتي في آخر وقت على مغادرة مصر . وكان ذلك في الاسبوع الثاني من شهر مارس . وكانت أول باخرة ستغادر البلاد في ١٨ مارس فأخذت تذكرتي عليها وكان معي جواز معد منذ شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ استعداداً للطوارىء ورغم تكتمي عرف البعض نيتي فأخذ الافاكون يشيعون الاشاعات حول سفري فقيل انني مسافر الى لوندره للكتابة في صحف انكلترا ضد الوفد . وقيل غير ذلك . وتجاهل البعض موافقي في خدمة القضية المصرية وهم الذين كانوا يبعثون الي بكل مقالة تحجم الصحف عن نشرها . نسوا ذلك كله وكانوا يتساءلون مع المتسائلين : هل سيسافر ابو الفتح للطعن على الوفد فى الصحف الانكليزية ؟ . كأنهم نسوا انني حولت الافكار من جريدة محاربة للوفد خارجة عليه الى جريدة مناصرة له مؤيدة لخطته . وكأنهم نسوا ان كل كلمة نشرتها في الافكار كانت ترمى الي تأييد الوفد وتعضيده . وكأنهم نسوا الكفاح الذى كنت أكافحه كل يوم وكانت تصل اليهم أخباره أولا فأولا

وتساءل البعض كيف تيسر لابى الفتح ان يقيم بشبرد ومن أين له بنفقاتها ؟ ولئن كان ثقيلا على النفس ان يضطر الانسان الى عرض داخليته أمام أنظار الفضوليين فانى لا أتردد الآن فى تقديم هذه التضحية الادبية ليعرف من كانوا يتساءلون كيف تسنى لي ان

اقيم فى فندق شبرد العظيم

بعد عودتى من أوروبا بأسابيع تحاسبت مع حضرة الكازه أفندى صاحب وادى النيل فتبقى لى بعد خصم ماأرسله الى باوروبا وما دفعه لى بعد عودتى نحو مائة وخمسين جنيها دفعها لى حضرته ثم أضطرتنى صحتى الى المجيء الى مصر . وكانت نيتى أن لا اقيم فيها الا أياما قليلة فنزلت فى فندق شبرد وكان ذلك فى شهر نوفمبر وقبيل آخره عرض علىّ صاحب الافكار تولى رئاسة تحرير جريدته فقبلت وتعاقدنا بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ على ذلك مقابل مرتب شهرى مقداره ثلاثون جنيها. وقد اشتغلت معه أشهر ديسمبر ويناير وفبراير ونصف مارس فيكون مجموع ما قبضته فى هذه المدة مائة وخمسة جنيهات . ودفع لى مصطفى النحاس بك عضو الوفد اربعين جنيها على دفعتين .وعرف سينوت حنا بك بعض الجهود التى ابذلها لخدمة القضية المصرية وما أتكبده من النفقات فأمدنى بمائة وخمسين جنيها على ثلاث دفعات . واذا أضفت هذه المبالغ الى بعضها كانت جملتها اربعمائة جنيه وخمسة وأربعين جنيها وهكذا يكون ما دخل الى فى ثلاثة شهور ونصف شهر أقمتها بفندق شبرد مبلغ اربعمائة وخمسة وأربعين جنيها تقريبا أما نفقاتى فكانت ايجار الغرفة التى أقمت فيها وهو نصف جنيه يوميا أى نحو خمسة عشر جنيها شهريا أما الاكل فكنت اتناوله فى اغلب الاحايين فى الخارج . ومهما قيل فى مبلغ

نفقاتى فلا شــك ان مبلغ ٤٤٥ جنيها كان كافيا وزيادة لان أصيدشر
المعيشة التى كان البعض يتساءل عن سرها

وقد دخل الي مما بعته من كتابى اكثر من ثمانمائة جنيه فسافرت
الى اوروبا ولم اذهب الى لوندره كما تكهن بعض المختلقين بل قضيت
جل المدة فى أيطاليا وبلجيكا وجنوب فرنسا

لجنة ملنر

تأليفها

لما وقعت الحوادث المعروفة . كان لذلك تأثير في الدوائر العامة. وأخذ كثيرون يتساءلون عن السبب واختلفت الاقوال في تعليل ذلك . وبدأت الاصوات ترتفع في التساؤل عن ذلك

وجرت مناقشات طويلة في مجلسي العموم واللوردات في ابريل ومايو وتلقاء ذلك صرحت الحكومة البريطانية بعزمها على ايفاد لجنة تحقيق الى مصر في فصل الخريف

ثم أعلن تأليف اللجنة وقد روعيت في تأليفها عوامل كثيرة من حيث المقدرة والكفاءة والخبرة فقلدت الرئاسة للورد ملنر وزير المستعمرات وانتدب للعضوية السير رنل رود الذي كان سفيراً لبريطانيا بروما أثناء الحرب وأظهر مهارة كبرى في حمل ايطاليا على دخول الحرب بجانب الحلفاء رغم محالفتها مع دول الجرمان. والجنرال السير جون مكسويل الذي كان قائداً للجيوش البريطانية بمصر . والمستر (الآن السير) هرست المستشار القضائي بوزارة الخارجية البريطانية . والجنرال السير أون توماس عضو مجلس العموم . وكان من أعضاء حزب العمال المشهورين بالخبرة في المسائل الزراعية . والمستر سبندر رئيس تحرير جريدة «وستمنستر غازيت»

وانتدب المستر لويد سكرتيراً للجنة وهو يتقن العربية. وكان المستر انجرام الموظف بوزارة الخارجية مساعداً له وسكرتيراً خاصاً للورد ملنر

أما المهمة التي انتخبت اللجنة لأجلها فقد أعلنت مرات في مجلسي العموم واللوردات على لسان لورد كرزن وغيره من رجال الحكومة البريطانية ولا حاجة الى إيراد تصريحاتهم بل يكفي أن نأتي على نص التفويض نقلا عن تقرير لجنة ملنر الذى رفعته للحكومة بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٠ وهو حرفيا عن النسخة العربية :

« تحقيق أسباب الاضطرابات التي حدثت أخيراً في القطر المصرى. وتقديم تقرير عن الحالة الحاضرة في تلك البلاد وعن شكل القانون النظامي الذى يعد تحت الحماية خير دستور لترقية أسباب السلام واليسر والرخاء فيها ولتوسيع نطاق الحكم الذاتي فيها وتوسيعه دائم التقدم والترقي ولحماية المصالح الاجنبية »

استقالة وزارة سعيد باشا

قيل ان اللجنة ستسافر الى مصر في الخريف ولكن أصوات المصريين أخذت ترتفع بأنه من العبث ارسالها لأنها لن تجد من يرضى بمفاوضتها . وقيل ان المسألة المصرية دولية وانها ليست مقصورة على بريطانيا

ولم يكن أحد يعرف موعد مجيئها تماما ولكن أشيع في شهر

اكتوبر سنة ١٩١٩ انها توشك ان تسافر الى مصر فأحدث هذا الامر تأثيراً كبيراً . ولكن دولة سعيد باشا رئيس الوزارة لذلك العهد صرح بأنه يعارض فى مجيئها ويزمع الاستقالة اذا جاءت وقد أرجىء مجيئها فعلا ولكن الماريشال اللنبي أبلغ سعيد باشا فى نهاية الاسبوع الثانى من شهر نوفمبر ان اللجنة ستصل قريبا غير ان الباشا احتج على مجىء اللجنة قبل امضاء عقد الصلح مع تركيا (ص ٢ من تقرير لجنة ملنر)

ونشرت دار الحماية البلاغ التالى فى ١٥ نوفمبر سنه ١٩١٩ . وهو :

« ان سياسة بريطانيا في القطر المصري هي المحافظة على حكومته الذاتية تحت الحماية البريطانية وانشاء نظام حكومة ذاتية تحت رياسة حاكم وطني . وغرض بريطانيا الدفاع عن مصر من كل خطر خارجى أو من تدخل أية دولة أجنبية . وغرضها في الوقت نفسه تأسيس نظام دستورى تحت ارشاد بريطانيا على قدر الحاجة ، النظام الذى يمكن عظمة السلطان ومعالى الوزراء وحضرات مندوبي الامة في دوائرهم الخاصة من الاشتراك في ادارة الامور المصرية اشترا كا يزيد فيه نفوذهم على مرور الايام : وعليه فقد قررت حكومة الملك ارسال لجنة الى مصر مهمتها تقرير نظام الحكم للوصول الى تلك الغاية بعد أن تستشير اللجنة عظمة السلطان ووزراءه وأصحاب الشأن والرأى من المصريين وتباشر الاعمال الاولية اللازمة قبل وضع قانون الحكومة المستقبلة نهائيا وليس من اختصاص اللجنة ان تستقل بوضع شكل الحكومة على مصر فان مهمتها هي ان تدرس الاحوال درسا دقيقا وتبحث مع أصحاب الشأن

في البلاد فى الاصلاحات اللازمة وأن تقترح نظام الحكم الذى يمكن تنفيذه فيها في النتيجة . والمأمول ان يكون ذلك بالموافقة التامة مع عظمة السلطان ووزرائه الكرام »

وقد نشرت لجنة الوفد المركزية بيانا فى موضوع بلاغ لورد اللنبي دعت المصريين فى ختامه الى مزيادة تمسكهم بحقوقهم المقدسة وانصرافهم عن كل مناقشة خاصة وتوثيق روابط الاتحاد والتضامن بينهم ومضاعفة جهادهم الوطني وتوجيه كل عزائمهم لخدمة القضية العامة بالوسائل المشروعة »

* * *

فى ١٤ نوفمبر أبلغ صاحب الفخامة لورد اللنبي سعيد باشا قرب حضور اللجنة وعدم قبوله ارجاء قدومها بعد ذلك. وأطلع دولته عظمة السلطان على ذلك وقضى فى حضرتها شطراً كبيراً من ليل ١٤ الى ١٥ نوفمبر. وفى الغداة فاوض زملاءه فيما تلقوه من دار الحماية عن سفر اللجنة وفى البلاغ المتقدم الخاص بذلك فاستقر رأيهم بالاجماع على رفع استقالتهم الى السلطان . وبعد ظهر ١٥ قدم سعيد باشا خطاب الاستقالة الى عظمته في قصر رأس التين وهذا نصه :

« ياصاحب العظمة »

« حينما تفضلتم عظمتكم فطلبتم معاونتى فى تأليف الوزارة قد رأيت ان الواجب المفروض على أمام وطني يقضى على بقبول هذه المهمة التى ماكنت أتجاهل اعباءها الثقيلة ثم لعضيد عظمتكم وتأييدها قد بذلت كل مافي وسعى للتغلب على المتاعب المتجددة في كل يوم بقصد ايجاد ما كان مرغوبا فيه من تهدئة الخواطر فى البلاد على أنه قد حدث الآن اختلاف في النظر بشأن ملاءمة حضور اللجنة المعلن عن مجيئها الى مصر كما قد عرضته على مسامع عظمتكم . وهذا الاختلاف من شأنه ان يجعل استمراري في العمل عديم الفائدة بالمرة للبلاد ولعظمتكم

لذلك أرانى مضطرا للتقدم بين يدى عظمتكم راجيا التكرم بقبول استقالتي من رئاسة الوزارة مع خالص الشكر لما كنت الاقيه على الدوام من التعطف العالى الذى كنتم تتفضلون به على ذلك الذى لايزال لعظمتكم »

« الخاضع »

الامضا ــ « محمد سعيد »

وقد قبل استعفاء سعيد باشا فعلا واعلن ذلك فى ٢٠ نوفمبر وألف يوسف وهبه باشا الوزارة الجديدة .

قدوم اللجنة الى مصر

ولم يغير كل هذا شيئا في الخطة المرسومة ففي صباح الاحد ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ دخلت الباخرة « مالطة » ميناء بور سعيد وعليها لورد ملنر واعضاء لجنته

وكانت مصلحة السكة الحديدية قد أعدت لهم قطاراً خاصاً في محطة بور سعيد استقلوه الى القاهرة فى الساعة التاسعة صباحا

. . . .

وقد وصل الى محطة العاصمة عند الساعة الثانية وخمس دقائق فنزل منه اللورد ورفاقه

وكان فى استقبالهم الكولونل وطسن الملحق العسكرى بدار الحماية والمستر بويد السكرتير بها مندوبين من قبل دار الحماية . والجنرال كونجريف نائب القائد العام وبعض ضباط من أركان حرب الجيش البريطانى . وحكمدار العاصمة ونائب مدير السكك الحديدية

وادت لهم التحية فصيلة من جنود الاورطة السادسة عشرة وكان البوليس يحرس الطرق ويحفظ النظام . ومع هذا فقد ذهب الاعضاء وحاشيتهم الى دار الحماية وفندق سميراميس

. . . .

حركة المقاطعة

وقد أثار وصول اللجنة الانكليزية حركة مقاطعة عامة وارتفعت الاصوات بالمقاطعة من كل جانب

وانى اترك الكلمة للجنة نفسها تصف ما شاهدته في مصر عند

وصولها . فبيانها رغم النقص الذى يعتوره يشعر بما كانت عليه الحال

قالت اللجنة في الفصل الاول (عمل اللجنة في مصر) ص٢ ما يأتي.

« واستعفى وهبه باشا بعد ذلك لاعتلال صحته فحل محله توفيق نسيم باشا احد زملائه في الوزارة وكان وزيرا للداخلية مدة اقامتنا بمصر. ويعسر على المرء ان يفي هذين الرئيسين وسائر رفاقهم الوزراء حقهم من المدح والاطراء على ما أبدوا من الشجاعة والغيرة الوطنيه باستلامهم مقاليد الاحكام في زمن كانت فيه بلادهم تعاني شدة ازمة كهذه وكانت حياتهم مهددة بخطر دائم. ولا تزال وزارة توفيق نسيم باشا قابضة على زمام الامور واعضاؤها هم عين الوزراء الذين كانوا في وزارة وهبه باشا ما خلا وزيرا واحدا فهي كسابقتها في اوصافها — وزارة اعمال مؤلفة من رجال اداريين اكفاء مقيمين على ولاء السلطان الخ ....

. . . .

وقال في ص ٣ من الفصل نفسه :

« وقد كان الاحترام اشد ظهورا من ذلك في الوزراء — وهبه باشا ورفاقه — الذين تعرفنا بهم في حفلة اقامها اللورد اللنبي بدار الحماية في ١١ ديسمبر والذين كنا نحن واياهم على غاية الوداد طول مدة اقامتنا بمصر وكانوا دائما على استعداد لمساعدتنا في بحثنا ولموافاتنا بكل انواع المعلومات وجمعنا بكل موظف نريد مقابلته . ولم يكن ثمة ريب على الاطلاق في رغبتهم في تمكيننا من انتهاز كل فرصة تمكننا من معرفة نظام الحكومة وكيفية ادارتها لاعمالها ومن الاطلاع على حالة البلاد ولكنهم كانوا شديدي العناية بتركنا وشأننا حتى نستنتج النتائج بأنفسنا ولما طلبنا منهم صريحا ان يفصحوا لنا عن

آرائهم أظهروا عدم رغبتهم فى اقتراح شيء من عندهم فى المسائل الدستورية الخارجة عن المسائل الادارية ولم يظهروا ادنى رغبة فى معرفة الجهة التي تتجه اليها افكار اللجنة من جهة حكومة مصر فى المستقبل

« غير ان هذا الاحتراس والتمنع الذى بدا فى رجال الحكومة الوطنيين كان على نقيض ما فعله جمهور الوطنيين والجرائد الوطنية فانهم أثاروا عواصف الاحتجاج والاستنكار على اللجنة حين وصولها ولم نكد نقيم اياما بل ساعات في القاهرة حتى رأينا الادلة الكثيرة على وجود معارضة شديدة لنا منظمة لمقاومتها فان التلغرافات انهالت علينا معلنة عزم مرسليها على الاعتصاب احتجاجا منهم على وجودنا فى البلاد . وكان كثير من هذه التلغرافات مرسلا من صبيان المدارس وتلامذتها ولكن تلغرافات أخرى وردت من هيئات عمومية كمجالس المديريات وبعضها من موظفي الحكومة وكثير من النقابات والجماعات المتفاوتة فى الاهمية وعظم الشأن. وقد بلغ عدد التلغرافات التي وردت علينا مدة اقامتنا بمصر ١١٣١ تلغرافا كلها من هذا القبيل ولم يصلنا غير ٢٩ تلغراف تهنئة معظمها من اناس يعرفون بعض رجال اللجنة بأشخاصهم -

« أما الجرائد الوطنية فكلها ما عدا القليل النادر منها أفرغت جعبتها في القدح والتعريض منادية بأن كل اعتراف باللجنة يؤول بكونه رضى عن الحالة الحاضرة وان كل مصري يكون له علاقة بأعضائها يرتكب جناية خيانة الوطن واتفقت كلمة معظم الكتاب طبعا لمقتضى ذلك على ان زغلول باشا المقيم بباريس هو الوكيل الذى انابه الشعب المصرى عنه فالاولى باللجنة مفاوضته في الامر

« واضرب صبيان المدارس والمحامون وعمال الترمواى عن العمل كل فريق منهم في دوره وجعلوا يخرجون فى مواكب ينضم اليها الصبية من تلامذة المدارس والغوغاء ويطوفون فى الشوارع

« و بعد مرور اسبوع او اسبوعين على وصولنا خف الاضطراب والاخلال بالنظام على انه وقع بعض التعدى على جنود من البريطانيين مدة اقامتنا بمصر وحاول المعتدون اغتيال بعض الوزراء ثلاث مرات متوالية فدل ذلك على ان العنصر المجرم كان لا يزال نشيطا وخصوصا بين فئة من الطلبة والذين على شاكلتهم »

المفاوضات في مصر

وصلت لجنة ملنر في ٧ ديسمبر فكان اول باب طرقته باب السلطان واني أكتفي هنا بايراد ما كتبته اللجنة نفسها في تقريرها قالت (ص ٣) :

« وفي اليوم التالي ليوم وصولنا قدمنا اللورد اللنبي كلنا الى عظمة السلطان فكان ذلك الزيارة الرسمية وانما تقدمتها زيارة قصيرة قابل فيها عظمته اللورد ملنر مقابلة ودية غير رسمية وكان ذلك أول حديث من عدة أحاديث جرت لرئيسنا وبعض أعضاء لجنتنا مع عظمته فكان عظمته يعاملنا فيها بتمام الصداقة ويعرب في أثنائها بصراحة عن رأيه في الحالة السياسية بمصر والحوادث التي حدثت بها في السنوات القليلة الماضية وعن صعوبة مركزه ولكنه امتنع عن أن يشير برأى او ان يعطي نصيحة في الموضوع الذى انتدبنا له أي دستور مصر في المستقبل . ولم يحاول قط أن يدير زمام مداولاتنا أو أن يؤثر فيها أقل تأثير وانما اقتصر على النصح لنا بالتأني في استنتاج النتائج والاحتراس من الفضوليين ودلنا على بعض من ذوى المقامات الذين يحسن بنا استشارتهم مثل رشدى باشا وعدلي باشا ومحمد سعيد باشا ومظلوم باشا وكلهم من الوزراء السابقين وكان موقفه بازاء غرض اللجنة موقف الملتزم جانب الحياد»

وقد قامت اللجنة باتباع نصائح عظمته فعلا فأخذ أعضاؤها يزورون من أشار بمقابلتهم

وكانت حركة المقاطعة تامة شديدة جرفت فى طريقها كل حركة أخرى كان يخشى منها حتى أن الافراد القلائل الذين كانوا يرون — قصداً أو عفواً — مفاوضة اللجنة اذ عنوا للرأى العام وخضعوا لقوة الاغلبية فانضموا اليها أو جاهروا بذلك على الاقل

وهكذا لم تجد اللجنة اقبالا ولا شبه اقبال فأخذ افرادها يزورون كبار المصريين فكان هؤلاء يقابلونهم بالأدب المعروف عن الشرقى ولكن هذا الأدب لم يخرج الى حد التفريط فى الواجب

وكان الجنرال مكسويل يطرق أبواب كثيرين من المصريين تركهم — اذ كان هنا قائداً للجيش — أصدقاء . فكان يدهشه شدتهم فى التمسك بحقوق بلادهم . واجماعهم على عدم الخوض فى شيء من المسألة السياسية واكتفائهم باحالة محدثهم على سعد باشا والوفد

وزار لورد ملنر رشدى باشا وعدلي باشا وثروت باشا وتكلم معهم فى مهمته فأفهموه انه ليس فى البلاد مصري يرضى بمفاوضته وهو يعرف أن لجنة ملنر جاءت تعمل في دائرة الحماية . كما انه لا يوجد مصرى يرضى بالمساومة في حقوق بلاده واستقلالها

. . . .

وقابل اللورد كثيرين من الكبراء مثل سعيد باشا ومظلوم باشا وغيرهما وقد كانت آراؤهم جميعا أن الامة كلها مجمعة على مطلب واحد هو الاستقلال التام

وقد رأى لورد ملنر وزملاؤه اشتداد حركة المقاطعة فأيقنوا انه لا بد من تغيير أساليبهم وأدركوا انهم اذا تمسكوا بالقاعدة التي جاءوا عليها لا يصلون الى غاية فأظهروا استعدادهم لأن يوسعوا دائرة المناقشة بحيث لا تكون مقيدة .

ونصح لهم من قابلوهم من الوزراء السابقين بأنهم اذا لم يجاهروا بالخروج عن هذه القاعدة فلا سبيل الى السعي للتوفيق بينهم وبين الامة في شخص وفدها . ولا سبيل الى التوسط للوصول الى حل مالم تشعر الامة بأن هذا الحل سيصون حقوقها ويطمئن الوفد الى ذلك

وفعلا وضعت اللجنة بلاغا نشر في الجريدة الرسمية في ٢٩ ديسمبر هذا تعريبه :

« جاءت اللجنة البريطانية الى مصر فادهشها مارأته من الاعتقاد الشائع بين الجمهور بأن الغرض من مجيئها هو سلب شيء من الحقوق التي كانت لمصر الى اليوم فاللجنة تعلن فساد هذا الاعتقاد وأنه لا نصيب له من الصحة البتة وأنها انما اوفدتها الحكومة البريطانية لموافقة مجلس نوابها ومجلس اعيانها لغرض واحد هو التوفيق بين الامة المصرية وبينها لبريطانيا العظمى من المصالح الخاصة في مصر مع المحافظة على الحقوق المشروعة التي لجميع

الاجانب القاطنين فيها . وان اللجنة لعلى يقين من انه اذا توفر حسن النية وصدق الاخلاص بين الجانبين يصبح من الميسور تحقيق هذه الغاية وأنها لترغب رغبة اكيدة في ان تكون الصلات بين بريطانيا العظمى ومصر اساسها اتفاق ودى يستأصل كل سبب للتنافر فيتمكن المصريون من ان يفرغوا جهدهم في ترقية شؤون بلادهم تحت انظمة دستورية .

«وللوصول الى هذه الغاية تود اللجنة ان تقف على أراء الهيئة المشخصة للامة المصرية وآراء الاشخاص الذين يهتمون اهتماما صادقا بخير بلادهم ويتمكن كل فرد من ابتداء رأيه بغاية الصراحة ونهاية الحرية اذ ليس من غرض اللجنة تقييد الآراء او المناقشة بقيد ما أو حصرها في دائرة مخصوصة وهي تعلن ان الدخول في المناقشة لا يعتبر اعترافا بمبدأ أو تنازل عن رأى من قبل اللجنة أو من قبل المناقش لهـا وان حرية المناقشة شرط أساسى للنجاح و بغيرها يتعذر رفع سوء الفهم والوصول الى الاتفاق »

ولكن هذا التصريح لم يأت بنتيجة ما من حيث حمل الناس على المفاوضة أو التقدم لمقابلة اللجنة غير انه من وجهة أخرى برهن على ان اللجنة قد قرأت في الحوادث التي وقعت تحت نظرها. وانها لم تجيء مغمضة الاعين مقفلة الآذان

وأصدرت لجنة الوفد المركزية بلاغاً مساء يوم ظهور اعلان اللجنة البريطانية دعت فيه الى استمرار المقاطعة كما أصدر الحزب الوطنى بياناً آخر.

ولما رأت اللجنة أن عملها لم يجيء بنتيجة تابع أعضاؤها التردد على الكبراء . ولم يقتصروا على الذين بالقاهرة بل سافر بعضهم الى

الاقاليم . وتيسرت لهم مقابلة كثيرين فعلا من نزعات مختلفة وبعضهم من كبار ذوى المكانه في الحركة الوطنية

ومما يجدر بالذكر أن بعض أعضاء اللجنة كان بعد ما لقوه في مقابلاتهم للمصريين يقولون انهم وجدوا انفسهم متماثلة وواجهة متماسكة وكانوا يسعون فعلا الى تحقيق ذلك بوساطة بعض الوزراء السابقين على أن تكون الغاية من المفاوضات الوصول الى تسوية تعطى فيها مصر أكبر نصيب من الاستقلال يمكن منحه مع قيود . ولكن من عرض عليهم ذلك أظهروا للجنة انه من المتعذر الوصول الى اقناع الوفد بالمفاوضة على غير قاعدة معاهدة تجرى المفاوضات لأجلها بين المصريين والبريطانيين كانداد متساوين لا كأقوياء يملون شروطهم على ضعفاء ويعترف فيها باستقلال مصر اعترافا تنتفى معه كل شبهة فى بقاء الحماية أو صلة مصر ببريطانيا صلة تخرج عن حد صلة الحليفة للحليفة

وقد انتهت المناقشات باعراب لورد ملنر وزملائه عن اقتناعهم بهذه الفكرة ولكنهم اشترطوا لذلك شروطا قالوا ان الغاية منها حفظ مصالح بريطانيا . وهذه القيود هي اشراف بريطانيا على سياسة مصر الخارجية . وابقاء قوة فى البلادالمصرية لقضاء أغراض بريطانيا الامبراطورية . ومنح انكلترا امتيازات تكفل صيانة حقوق الاجانب ومصالحهم

ولكن الكبراء الذين كان يخاطبهم اللورد وزملاؤه لم يرضوا بذلك وأظهروا صعوبة الوصول الى نتيجة اذا أصرت اللجنة على مثل هذه القيود غير انهم مع هذا لم يقطعوا الامل من حمل اللجنة على التسليم ببقية حقوق الامة . وتركوا الامر في يدالوفدفكتبوا اليه تفاصيل ما دار بينهم وبين اللجنة

. . . .

اجتمع الوفد المصرى بباريس فى ١٢ فبراير سنة ١٩٢٠ اثناء وجود لجنة ملنر بمصر واثناء مقابلات لورد ملنر مع عدلى باشا وزملائه وبحث المسألة بحثا مستفيضا وافيا بناء على الاخبار التى وردت عليه من لجنة الوفد بالقاهرة ومن عدلى باشا وزملائه ومن كثيرين آخرين. وتناقش فى الامر وتقرر باجماع الاراء عدا فيها رأى سعد باشا أن يطلبوا من عدلى باشا عمل ما يلزم للقيام بالمفاوضات مع وقوف الوفد خارجا عنها موقف الحياد

وقد أرسل الوفد تلغرافا بهذا القرار الى عدلى باشا ولكن عدلى باشا أبى أن يقوم بعمل لايشترك فيه الوفد او يؤيده على الاقل

ومما يذكر انصافا للرجل انه فى كل أعماله فى الحركة الوطنية وفى كل مساعيه كان يحافظ على المكانة التى جعلتها الامة لوفدها

وكانت اللجنة لا تميل فى بداية الامر الى الاعتراف بقوة

الوفـد ولا بأنه يمثل الامة ولكنها أخذت تتحول عن رأيها تلقاء ما كانت تسمعه من عدلى باشا وزملائه

وكانت هناك فكرة ترمي الى حمل سعد باشـا وزملائه على الحضور الى مصر لمفاوضة اللجنة هنا . وكان لهذه الفكرة أنصار من بعض رجال الحركة الوطنية نفسها ولكن سعد باشا أبي العودة

***

وأثناء ذلك كانت اللجنة تتابع ابحاثها ومقابلاتها.فأخذالمستر هرست فى دراسة النظام القضائى وتبين النظام الذى يمكن استبداله به تمهيداً لالغاء الامتيـازات الاجنبية · وأخذ الجنرال أون ـفي فحص الاحوال الزراعية في البلاد

وقابلت اللجنة كثيرين من الاجانب كماقابلت فى الاسكندرية مندوبين عن الغرف التجـارية الفرنسوية والايطاليـة واليونانية والبريطانية

وزار الجنرالان ماكسويل وتوماس السودان أيضا

وكان لورد اللنبي قد أصدر تعليماته قبل حضور اللجنة بزمن بتأليف لجنة ابحاث لاعداد الاحصائيات والبيانات التى يمكن أن تحتاج اليها لجنة ملنر أثناء القيام بمهمتها كما زودتها وزارة الخارجية البريطانية بمجلدات من الاوراق الرسمية التى لها علاقة بأعمـالها

وكانت لجنة الابحاث تجمع معلوماتها من الوزارات والمصالح

المختلفة كما حاولت أن تجمع شيئا من آراء المصريين غير الموظفين بواسطة نشرات وزعتها فيها أسئلة طلبت الاجابة عليها . هذا عدا الآراء التي كان يدلى بها اليهم الموظفون البريطانيون هنا

* * *

وهكذا كانت اللجنة تمضي في ابحاثها بمختلف الوسائل مباشرة بينما كانت تسعى لاقناع المصريين بترك مقاطعتها ومفاوضتها

وكان رشدي باشا وعدلي باشا وثروت باشا محور مساعيها فكتبوا الى سعد باشا بتفاصيل كل شيء وبمبلغ ماظهر من لورد ملنر من الاستعداد ورأيهم في ذلك . وختموا خطابهم بأنه اذا كان لدى سعد باشا حل آخر أو كان يؤمل في حل آخر فانهم يؤيدونه فيه ويعضدونه في الوصول اليه

***

ولا يفوتني ان أذكر ان سعد باشا لم يترك فرصة للاحتجاج على قدوم اللجنة الى مصر وعلى عملها فانه فوق التلغرافات التي كان يرسلها الى مصر بمقاطعتها ارسل في آخر الاسبوع الثالث من شهر ديسمبر تلغرافات احتجاج الى المستر لويد جورج والى المسيو كليمانصو بصفته رئيس مؤتمر الصلح والى المستر ولسن رئيس جمهورية آمريكا كما أرسل احتجاجا مطولا الى لورد كرزن

وزير خارجية بريطانيا تكلم فيه عن مظاهر المقاطعة التى تجلت فى مصر

ومما يجدر بالذكر بين مظاهر الاحتجاج المشار اليها احتجاج الجمعية التشريعية فى ٩ مارس سنة ١٩٢٠ فى اجتماعها بمنزل معالى سعد باشا وكيلها المنتخب وبحضور ٥١ عضواً. وقد تولى الرئاسة ابراهيم سعيد باشا بصفته أكبر الاعضاء سنا وعهدت السكرتارية الى فتح الله بركات باشا وحسين هلال بك وعبد الخالق مدكور باشا

وقد وافق الحاضرون على ثمانية أمور خاصة بحقوق مصر وبالحماية

كيف سافر الوفد الى لوندره

فى أواسط مارس تفرق أعضاء لجنة ملنر على ان يستأنفوا العمل فى لوندره لوضع تقريرهم بناء على المعلومات التى جمعوها . وهم يزمعون ان يشيروا على الحكومة البريطانية بآراء انتهى اليها بحثهم . ولكنهم كانوا يشعرون بانه بحث ناقص كما ان النتيجة قد لاتكون حسن التفاهم الذى ينشدونه بين المصريين وبريطانيا . ولذا قابل لورد ملنر عدلى باشا قبل سفره وأبلغه انه ازمع العودة الى لوندره ولكنهم قرروا ارجاء كتابة تقريرهم ولا ينتظر ان يعملوا شيئا حتى أواخر ابريل بعد الانتهاء من عطلة الاعياد . وذكر اللورد انه يدع الباب مفتوحا وانه على الاستعداد لمفاوضة الوفد المصرى ولا يمتنع عن قبول كل مامن شأنه ان يوصل الى حل مرضى

وسافر لورد ملنر فى ١٨ مارس على الباخرة حلوان فجرى عدلى باشا على المسلك الذى اتبعه من بداية اتصال لورد ملنر به وكتب الى سعد باشا بصفته رئيس الوفد الذى وكلته الامة للمطالبة بحقوقها وأبلغه حديث لورد ملنر . ثم ذكر عدلى باشا أنه يزمع السفر الى أوروبا فى شهر مايو لتغيير الهواء إذ قضى كل زمن الحرب في مصر دون أن يتمكن من السفر كسابق عادته وقال انه على استعداد لان يقدم موعد سفره اذا رأى سعد باشا حاجة لذلك

وكان الوفد يرى جميع الابواب موصدة ويرى انه ليس ثمة سبيل الى نتيجة معجلة وانه قد يكون من المصلحة أن ينتهز الفرصة السانحة اذا صح أن لورد ملنر وزملاءه يريدون حقيقة الوصول الى حل مرض يعطى لمصر حقوقها ويحفظ لبريطانيا مصالحها فارسل سعد باشا الى عدلى باشا تلغرافا يرجوه فيه أن يعجل بالسفر الى باريس

وهكذا لبى عدلى باشا نداء رئيس الوفد وسافر اجابة لدعوته.

وعقدت اجتماعات كثيرة بينه وبين الوفد ورئيسه للبحث فى خير طريقة لدخول المفاوضات مع عدم التفريط فى حقوق الامة ومع حفظ كرامة الوفد

وكتب عدلى باشا الى لورد ملنر يبلغه أن الوفد لا يجد مانعا من المفاوضة اذا كان أساسها الاعتراف باستقلال مصر وسأله اذا صحت عزيمة اللورد على ذلك أين وكيف تكون المقابلة

فكتب لورد ملنر الى عدلى باشا يقول انه لا يزال على ما أخبر به الباشا وزملاءه مرات قبل سفره مستعداً للمفاوضة على أساس الاعتراف لمصر باستقلالها مع الاحتفاظ بمصالح بريطانيا وأبلغه أن المستر هرست عضو لجنته سيصل الى باريس

وجاء المستر هرست الى باريس فأكد لعدلى باشا وللوفد أن اللجنة على استعداد لمفاوضتهم على الرأي الذى قيل

وكان عدلى باشا يفضل أن تجرى المفاوضات بباريس بحيث

لا يتكلف الوفد عناء السفر الى لوندره ادبيا وماديا.وكانت هذه فكرة الوفد أيضا وقد سعى عدلى باشا وراء تحقيقها فى مناقشاته مع سفير بريطانيا الذى قابله مرات ومع المستر هرست وغيره من ذوى النفوذ ممن تقدموا الوساطة

ولكن المستر هرست عاد الى باريس ثانية فذكر أن لورد ملنر ما كان ليمتنع عن الحضور الى باريس لولا أن أعماله تعوقه عن التغيب عن لوندره أكثر من المدة التى تغيبها فى مصر وانه لذلك يستحسن أن تجرى المفاوضات على مقربة من مركز عمله . وذكر المستر هرست أن لوندرة والحالة هذه خير مكان يصلح للمفاوضة

وعاد المستر هرست فدعا الوفد للسفر الى لوندره باسم لورد ملنر ولجنته وذكر أن اللجنة على استعداد لان ترسل الدعوة الى الوفد كتابة ولكن سعد باشا ذكر انه يكتفى بالدعوة الشفوية مادام المستر هرست قد جاء بنفسه لهذه الغاية

* * *

ومما يذكر فى هذا الصدد أن الحكومة البريطانية صرحت على لسان المستر بونارلو فى مجلس العموم فى جلسة ٤ مايو بما يأتى :ــ

«رد المستر بونارلو على اللفتننت كوماندر كنورثى فقال لو كان الممثلون المصريون مستعدين المناقشة في اعطاء الضمانات المعقولة الكافية لصيانة المصالح البريطانية الخاصة بقناة السويس والمصالح التجارية والمالية مقابل وعد

بريطانيا باحترام استقلال مصر لكانوا انتهزوا فرصة بلاغ اللورد ملنر الذى نص على ان لاحد للمناقشة

«وسأل المستر كنورثى هل من الممكن نظراً لعدم استطاعة اللورد ملنر المناقشة مع المصريين ان يفتح باب المناقشة من جديد حتى يستطاع أخذ رأي هؤلاء السادة المصريين في الاتفاق الودي الذي سيعقد بين البلادين؟؟

«فرد المستر بونارلو عليه قائلا اني واثق بأن كل مناقشة يكون وراءها نتيجة مرضية تقبل في الحال ولكن يجب أن تقدر الحكومة فائدة هذه المناقشة

«وسأل اللفتننت كولونل مالون عما اذا كانت لجنة اللورد ملنر قد ذهبت الى مصر ومعها تعليمات من الحكومة بقصد اتباع أحسن الوسائل لتثبيت الحماية البريطانية على مصر وعلى ذلك هل لم يكن من الجلي ان يحجم الوطنيون عن مفاوضة اللورد ملنر

« فأجابه المستر بونارلو بقوله ـ كلا ـ لم يكن هناك شئ من هذا القبيل فان اللجنة قصدت مصر لايجاد أحسن طريقة لحكم مصر

« ورد المستر بونارلو على سؤال اللفتننت كوماندر كنورثى عن الوعود البريطانية التي قطعتها الحكومة بخصوص مسائل مصر قائلا : ان التصريحات العديدة التى فاه بها رجال الحكومة البريطانية محفوظة في السجلات وهي واضحة لا تحتاج الى تفسير واني لا أظن انه يمكن ان يستخلص منها أنها وعود اعطيت بقصد ضمان استقلال مصر ولم تصرح حكومة جلالة الملك بجلاء الجنود الانكليزية من مصر بمجرد انتهاء الحرب

«فقال الكوماندر كنورثي ـ لعل تصريحاً من آخر التصريحات التي فاه بها جلالة الملك في أول الحرب يتبع لفظا ومعنى وهو التصريح القائل باننا سنحمي حقوق مصر في الاستقلال الذاتى ؟



لورد ملنر

« فقال المستر بونارلو ارجو الرجوع الى الكلمات التى قيلت فعلا »

***

وتقرر ارسال ثلاثة من أعضاء الوفد الى لوندره لتبين الحالة والوقوف مباشرة على مبلغ استعداد لورد ملنر لقبول قاعدة الاعتراف لمصر باستقلالها في المفاوضات المقبلة وقر الرأى أيضا على أن يسافر معالى عدلى باشا فى الوقت نفسه

وقد سافر معاليه وثلاثة من رجال الوفد فى يوم الاحد ٢٣ مايو الى لوندره وكان فى استقبالهم على المحطة المستر انجرام مساعد سكرتير لجنة ملنر وسكرتير اللورد جاء يحييهم نيابة عن اللورد . وكان هنالك أيضا المستر هرست فابلغ عدلى باشا أن لورد ملنر يرجو أن يقابله فى الحال

وذكر المستر إنجرام للاعضاء أن تحت أمر كل منهم سيارة وقد نزلوا فى فندق كارلتون ونزل عدلي باشا فى فندق كلاردج

وقابل معاليه اللورد فابلغه هذا انه على استعداد لمفاوضة الوفد بلا قيد ولا شرط بحيث اذا ادت المناقشة للاقتناع بمنح الاستقلال التام فلامانع عنده . وتحدد يوم الثلاثاء ٢٥ مايو لاجتماع اللورد بالاعضاء الثلاثة . ولكن هذه المقابلة اقتصرت على التعارف والتحية والترحيب . واتفقوا على أن يجتمعوا باللورد ثانية يوم الخميس ٢٧ مايو للتحدث فيما جاءوا لاجله

وفى هذا الاجتماع كرر عليهم لورد ملنر ما قاله لعدلى باشا ولكنهم طلبوا أن يصرح لورد ملنر أولا نيابة عن الحكومة البريطانية بقبول مبدأ الاستقلال التام لمصر وان يعلن الوفد ذلك فى مصر وبعد ذلك يبحثون مسألة الضمانات على هذه القاعدة

غير ان اللورد لم يقبل هذا الرأى وقال انه على استعداد لمباحثة الوفد في حقوق مصر ومصالح انكلترا وذكر انهم لا يمتنعون عن التسليم لمصر بحقها في الاستقلال متى اطمأنوا على ضمان مصالحهم . وقال انه لا يرى ما يحول دون الوصول الى هذه النتيجة لا سيما ان مصالح انكلترا لا تتعارض مع مصالح مصر

وقد كتب المندوبون تفاصيل ما حدث وما قيل الى سعد باشا والظاهر انه وبقية أعضاء الوفد اقتنعوا بأنه لا ضرر من السفر ودخول المفاوضات فعلا

وقد سافر الرئيس وزملاؤه الى انكلترا فوصلوا لوندره يوم السبت ٥ يونيه . وكان المصريون المقيمون بالجزر البريطانية قد وطدوا العزم على انتهاز هذه الفرصة

فتبادلوا المكاتبات

بالبرق والبريد واجتمعت مئات منهم من كافة انحاء الجزر البريطانية من أدناها الى أقصاها

. وذهبوا الى المحطة قبيل وصول



الباخرة كالدونيا تغادر بور سعيد فى ١٢ ابريل سنة ١٩١٩ وعليها الوفد وزوارق الاهالى تشيعها

القطار . وما كاد يصل حتى أخذوا يهتفون بالانكليزية لمصر بالاستقلال وللوفد ورئيسه بالحياة . . . . .

ونزل سعد باشا ومن معه في فندق كارلتون وكان في استقبالهم على المحطة مندوب من قبل لورد ملنر ولجنته أيضا . وقد أرسل سعد باشا تلغرافا الى لجنة الوفد يظهر فيه سروره بما قوبل به ويرجو تحقيق الاماني قريبا

المفاوضات فى لوندره

وصل سعد باشا وبقية زملائه الى لوندره يوم السبت ٥ يونيه وكان الغد يوم أحد فلم يعمل شىء لانه يوم عطلة يقدسه الانكليز فلا تفتح فيه متاجر ولا مسارح ولا يباشر أحد عملا ما

وفى صباح الاثنين ٧ يونيه التقى سعدباشاوعدلى باشاواستقلا السيارةالى دار لورد ملنر ليقوما له بزيارة خاصة قبل المقابلةالرسمية على نحو ما يجرى فى هذه الحالات أحيانا

وكان عدلى باشا واسطة التعارف وبعد تبادل التحية العادية وعبارات المجاملات المألوفة ذكر لورد ملنر انه يدعو رئيس الوفد وزملاءه وعدلى باشا لتناول الشاى بعد ظهر اليوم نفسه حيث يجتمعون ببقية أعضاء لجنته .

وذكر اللورد أن اشتراك الهيئتين فى المفاوضات بكامل أعضائهما قد يؤدى الى ضياع وقت كبير والى الابطاء الشديد فى العمل ولذا اقترح أن يختار كل فريق اثنين أو ثلاثة ينوبون عنه . وقد وافق سعد باشا على هذا الرأى أيضا

وفى منتصف الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم نفسه اجتمع سعد باشا وعدلي باشا واعضاء الوفد بلورد ملنر واعضاء « لجنته الخصوصية » على مائدة الشاى بوزارةالمستعمرات البريطانيةولكن

الحديث اقتصر فى أغلبه على التعارف والسمر . وتقرر ان يبدأ مندوبو الفريقين العمل من يوم الاربعاء ٩ يونيه

وفى هذا اليوم اجتمع من جانب الوفد سعد باشا ومحمد محمود باشا واحمد لطفى السيد بك ومن جانب لجنة ملنر لورد ملنر والسير رنل رود وحضر الاجتماع عدلي باشا

وقد استغرق لورد ملنر جل هـذه الجلسة فى شرح رأيه فى الاتفاق الذى يعتقد ان من المتيسر الوصول اليه . وتكلم فى ذلك كلاما طويلا يمكن تلخيصه فى أنهم مقتنعون بضرورة تسوية المسألة المصرية على اساس يرضى المصريين ويحفظ صلة الوداد بينهم وبين الانكليز . وبأن هذه النتيجة لا تجىء بحل تضعه بريطانيا وتفرضه على مصر قسراً وبغير ارادتها . وانما بحل يشترك فى وضعه الطرفان ويكون بمثابة معاهدة تعقد بينهما . يعترف فيها لمصر باستقلالها مع وضع قيود تحمى المصالح الحيوية البريطانية والاجنبية من العبث فى الداخل والخطر من الخارج فترضى مصر بمنح بريطانيا بعض الحقوق فى البـلاد وباتخاذها مرشداً لها فى صلاتها الخارجية وعلاقاتها بالدول

واشار لورد ملنر فى حديثه الى تلك الحقوق فذكر انها وضع قوة حربية فى الاراضى المصرية لحماية المواصلات الامبراطورية . وان يكون لها شىء من الاشراف على التشريع المصرى والادارة

فى البـلاد يمكنها من الدفاع عن مصالح الاجانب المعقولة . بحيث يتيسر لانكلترا اقناع تلك الدول بالتخلى عن امتيازاتها التى شلت حركة التقـدم فى مصر كثيراً . او على الاقل بقصرها على اشـياء معقولة لا يكون لها تأثير جوهرى فى نمو البلاد ورقيها

وتـكلم لورد ملنر عما يمكن أن ينشأ عن التسوية المقبلة وعن الانظمة الحكومية فارتاى ان تكون مصر ملكية دستورية ذات برلمان ووزارة مسئولة امامه

وفى النهاية تقرر استئناف الاجتماع يوم الجمعة ١١ يونيه للمناقشة فى كل مسألة من المسائل التفصيلية الرئيسية

وقـد عقـد الاجتماع ثانيـة في وزارة المسـتعمرات كالعادة وجرى البحث حول مسألة الموظفين الانكليز

وكان لورد ملنر فى جلسة ١١ يونيه يرى أن تخلى بريطانيا عن مركزها فى مصر يطرح على بساط البحث حتما مسألة مصير الموظفين البريطانيين وقال ان انكلترا أنجزت فى مصر مدة تولى شـئونها أعمالا عظيمة وقطعت بها فى سبيل الرقى والنهوض مراحل واسعة ويهمها ان ترى تلك الاعمال باقية. وأن تصان من العبث اذا تغير الحال

وذكر ان الفضل فى كثير من تقدم البلاد ورخائها يرجع الى الجهود التى بذلها الموظفون الانكليز فيها وقد قضي كثيرون منهم جل حياتهم فى القطر المصرى وبعضهم يتعذر عليهم بعدا بتعادهم عن

بلادهم زمنا طويلا ان يبدأوا حياة جديدة فى ميدان جديد فهؤلاء أيضا يجب ضمان مستقبلهم

ولكن سعد باشا أفهم لورد ملنر انه ليس من المعقول ان الحكومة المصرية المستقلة ستعمد بمجرد استلام زمام البلاد الى طرد جميع الموظفين البريطانيين منها فان هذا العمل يؤدى حتما الى فوضى لا يرضى باحتمال مسئوليتها أحد . فلا مناص لأية حكومة مصرية تتولى الامر من استبقاء كثيرين من الموظفين البريطانيين ولكنهم يكونون فى هذه الحالة بمثابة موظفين مصريين حكمهم حكم بقية الموظفين . اما اذا استغنى عن أحد فانه يعطى المعاش اللازم أو المكافأة . ومع هذا فان الاستغناء يكون تدريجيا بطبيعة الحال

وجرى البحث فى أمر الموظفين الذين يحتمل ان يفضلوا الاستقالة اذا تغيرت الحالة السياسية فى مصر وهؤلاء رؤى أن يكافأوا أيضا

وانتهت المناقشة الى فكرة اطلاق يد الحكومة المصرية فى المستقبل فى مسألة توظيف الاجانب وقد جر هذا الامر الى استثناءين هما فى حالة المستشار المالي والموظف الذى يكون بالحقانية . والفكرة التى قيلت فى حالة الاول ان حملة الديون المصرية أو بعبارة أوضح الدول الاجنبية يهمها ان تكون مصر قادرة على إيفاء ديونها

وقد جرت مناقشات طويلة حول عمل المستشار المالي فقد كان الوفد يخشى ان يتعدى حدود اختصاصات لجنة صندوق الدين الى التداخل الفعلي فى كيفية التصرف فى ميزانية البلاد مما يمكن أن تكون له عواقب سيئة

وهنا سأل سعد باشا وهل يكون للمستشار حق حضور جلسات مجلس الوزراء كما هو الحال الآن ؟ . فتدارك عدلى باشا الامر . وقال قبل ان ينطق ملنر « كلا بطبيعة الحال » فأيد لورد ملنر رد عدلى باشا

ووقعت مشادة أيضا عند المناقشة فى الموظف البريطانى الذى يعين فى وزارة الحقانية . وكذلك في السلطة التى أريد إعطاؤها للمعتمد البريطانى وهي حق منع تطبيق القوانين المصرية على الاجانب . وقد عارض الوفد معارضة شديدة في اختصاصات الاول والثانى وذكر ان وجودهما يهدد استقلال القضاء المصرى كما انه في حالة المعتمد يخوله سلطة كبرى منافية لروح الاستقلال فان حقه قد يتحول الى حق منع عام في التشريع المصرى وحاول الوفد ان يمنع تعيين انكليزى في الحقانية اكتفاء بتعيين نائب عام بريطانى للمحاكم المختلطة

وقد كانت حجة لورد ملنر في التمسك باعطاء الاختصاصات المتقدمة لبريطانيين طمأنينة الدول الاجنبية الى النظام الجديد متى وثقت بأن حقوق رعاياها ستكون مصونة في ظله

وتقرر استئناف البحث فى اليوم التالي فعقدت الجلسة الثالثة يوم السبت ١٢ يونيه وفيها طرحت مسألة الموظفين والمستشار المالى وموظف وزارة الحقانية ثانية

ثم انتقل البحث الى مسألة التمثيل الخارجي

وقد كانت مسألة التمثيل الخارجي ومسألة ابقاء قوة بريطانية على الاراضى المصرية من النقط الشائكة المعقدة أثناء المفاوضات . فان اللجنة ابت ان تسلم بالاولى وأصرت على الثانية

وكان الوفد قد تطوع فعرض مساعدة مصر الحربية لانكلترا اذا دخلت فى حرب ولولم تكن لها مصلحة فيها نظير تعهد هذه بالدفاع عن مصر حتى يكون هناك أخذ وعطاء كما هو الحال بين حليفتين متعاقدتين على قاعدة التساوى . ولكنه عارض فى بقاء قوة بمصر لانه ينقض مظهر الاستقلال

غير ان اللجنة أبت ان تتخلى عن أمر تعده حيويا للامبراطورية البريطانية : وهو ضمانة سلامة مواصلاتها وتمسكت بذلك تمسكا لاشك معه في أنها كانت لاتتردد فى قطع المفاوضات لو أصر الوفد على سحب كل قوة بريطانية من مصر

وسار الوفد خطوة فى سبيل الاتفاق فقبل تمكين انكلترا من حماية مواصلاتها الامبراطورية ولكن المناقشة احتدمت حول الموضع الذي ترابط فيه القوة . وكان رأى الوفد ان يعاد

النظر فى مسألة بحث القوة الباقية بعد زمن معين .

أما اللجنة فكانت ترى ان حفظ المواصلات الامبراطورية لا يقتصر على حماية قناة السويس وضمان حرية الملاحة لبريطانيا فيها وانما يتناول المواصلات الجوية والبرية أيضا ولذا يتحتم أن تكون القوة البريطانية التى ستبقى بمصر موزعة على مناطق عديدة

وكان المفهوم من ذلك أن تكون هناك قوة بالاسكندرية لضمان الملاحة فى البحر الابيض ولتكون قاعدة للاسطول البريطانى. وفى المواقع التي ستكون مراكز للطيران وفى جهات المواصلات البرية الرئيسية

ولكن الوفد لم يقبل التسليم بمثل هذه الفكرة لما فيها من خطر ظاهر يهدد استقلال البلاد . واصر على ان لا ترابط القوة الحربية فى أكثر من نقطة واحدة . وطلب ان تكون هذه النقطة بعيدة عن البلاد الاهلة وان تكون على ضفة القناة .وعلى ضفته الشرقية .

وكانت اللجنه ترد على ذلك بان احتلال منطقة القناة يوجد مشاكل لبريطانيا والدول الاخرى إذ قناة السويس بموجب اتفاقية سنة ١٨٨٩ محايدة حياداً ضمنته الدول الموقعة على الاتفاقية فاحتلالها خرق للاتفاقية . وكان الوفد يرد على هذا بان الاتفاقية المذكورة تنص على منع وجود قوات لاحدى الدول على مسافة

خمسة كيلو مترات وكانت المدفعيات فى ذلك الوقت قصيرة المرمى ففي وسع انكلترا ان تختار نقطة بعيدة عن القناة بأكثر من خمسة كيلو مترات فتكون قد حافظت على النص الحر فى للاتفاقيه مع سهولة الدفاع عن القناة بواسطة المدفعيه الحديثه التى صار مداها يصل الى مسافات هائلة

ومع ذلك الخلاف الذى وقع حول مسألة القوة العسكرية . فانه لم يهدد بقطع المفاوضات الى الحد الذى كان عند بحث مسألة التمثيل الخارجي

بدأت المناقشة فى هذه المسألة فى جلسة ١٢ يونيه سنة ١٩٢٠ وظل الخلاف مستحكما حولها شديداً الى ٢ يوليه . وفى هذه المدة أوشكت المفاوضات أن تقطع . فان اللجنة كانت لا تريد التسليم لمصر بحق تعيين ممثلين سياسيين لها بل أصرت على جعل السيطرة لبريطانيا على السياسة الخارجية المصرية . وأبى الوفد أن يرضخ لهذا الرأي لانه وجده هادما لمظهر الاستقلال الخارجي . هادما لركن من أكبر أركان الاستقلال على العموم

كانت اللجنة تسلم بتعيين قناصل مصريين تقصر مهمتهم على المسائل التجارية ونحوها فقط . وكان لورد ملنر يقول أن تعيين معتمدين مصريين فى عواصم أوربا وتعيين معتمدين أوروبيين فى مصر يفتح الباب لدسائس قد تكون وخيمة العواقب

وقد رد سعد باشا على هـذا بأن انعدام المتمدين لا يحول دون تدبير مثل هذه الدسائس . وقال أن المصريين اذا حالفوا انكلترا فانهم لا يقبلون مطلقا ترك الاجانب يدسون دسائسهم أو يلقون الفتن بينهم وبين حليفتهم

وقد أراد لورد ملنر أن يرجيء المناقشة فى مسألة التمثيل الخارجى وينتقل الى غيره ولكن سعد باشا أبى ذلك كما أبى التقدم فى المفاوضات الا اذا فصل فى هذه المسألة اولا .وقال انه لا امل فى استمرار المفاوضات والوصول الى تسوية ودية بين مصر وانكلترا اذا رفضت اللجنة رأى الوفد فى التمثيل الخارجى

فطلب لورد ملنر تأخير الاجتماع المقبل الى يوم الثلاثاء ١٥ يونيه لاستشارة بعض أشخاص رأى ضرورة بحث الامر معهم قبل اعطاء رأى قاطع . والمفهوم أن هؤلاء الاشخاص كانوا زملاءه الوزراء البريطانيين

والظاهر ان اللورد لم يكن قد انجز استشارته فقد زار عدلى باشا فى فندق كلاردج فى صباح الاثنين ١٤ يونيه وتكلم معه فى مسألة التمثيل الخارجى وافهمه انه لم يستعد لاعطاء رد فى شأنها ولذا يرى تأجيل اجتماع الغد إذ لا يجد فائدة من ورائه

وبعد ظهر اليوم نفسه كتب اللورد خطابا الى سعد باشا يطلب فيه تأجيل الاجتماع الى يوم الجمعة ١٨ يونيه



أمين بك الرافعي مساعد سكرتير لجنة الوفد المركزية

ولكنه عاد يوم الجمعة فأجله ثانية الى أجل لم يسمه . وكان يوم العيدفاحتفل المصريون به احتفالا كبيراً دعوا اليه الوفدورئيسه وخطب سعد باشا فاكد أنه إما أن ينال الاستقلال التام أو يعود

وعاد لورد ملنر فكتب الى الوفد يوم السبت ١٩ يونيه وطلب استئناف المفاوضات يوم الاثنين ٢١ يونيه . وقد عقد الاجتماع ولكن لورد ملنر لم يظهر استعدادا لقبول مطالب المصريين فصمم الوفد على الانسحاب من المفاوضات ومغادرة لوندره . غير ان اللورد استمهله يوما آخر لاعادة الكرة على زملائه

وفي اجتماع يوم الثلاثاء ٢٢ يونيه تكلم اللورد فاظهر أنه لا يريد قطع المفاوضات بسبب مسألة التمثيل الخارجي بعد أن قطعوا كل هذا الشوط في سبيل التفاهم ولكنه يود ان ينتهي أولا من بحث مسألة الامتيازات الاجنبية والحقوق التي يمكن اعطاؤها للبريطانيين لحماية مصالح الاجانب في مصر نظير تنازل هؤلاء عن امتيازاتهم

ورؤى لتسهيل البحث انتداب لجنة من الوفد ولجنة ملنر لبحث هذه المسألة والوصول الى نتيجة تعرض على الوفد واللجنة في اجتماع يعقد فيما بعد عند انتهاء البحث

ولم يحدد موعد الجلسة التالية الى ان ينتهي بحث اللجنة المنتدبة وقد انتخب من الوفد عبد العزيز فهمي بك ومحمد على بك

وعلى بك ماهر . ومن اللجنة المستر هرست والسير رنل رود والاول صاحب مشروع النظام القضائي المعروف

وعقدت اللجنة المنتخبة بعض اجتماعات لم توصل الى نتيجة حاسمة . ولم يقبل ممثلو الوفد بحث مشروع هرست ومناقشته . وأخيراً قدم المستر هرست لهؤلاء مذكرة فردوا عليها بمثلها

وفى يوم الخميس أول يوليه رؤى عرض ما وصلت اليه اللجنة المنتدبة على الوفد ولجنة ملنر فتقرر استئناف المفاوضات في اليوم التالى

* * *

وكانت الدعوة لمساعدة مصر منتشرة وبينما كانت اللجنة الفرعية تباشر مهمتها كان حزب العمال البريطاني يعقد مؤتمره السنوى وقد وافق فيه على مبدأ حق مصر فى تقرير مصير نفسها بنفسها

وفى آخر يونيه أولم الوفد مأدبة فى فندق « كارلتون » للجنة ألفها بعض أعضاء البرلمان للدفاع عن القضية المصرية ودعى الى الوليمة بعض الصحافيين والعلماء وذوى النفوذ وفيها خطب رئيس الوفد باللغة العربية . ومما قاله « جئنا ونحن مملوءون أملا بأننا واصلون بحسن التفاهم الى حل مرض يوفق بين استقلالنا التام الذى ننشده وبين مصالح الامة الانكليزية الحقة . على ان استقلالنا فى الحقيقة لا يناقض الا شيئا واحداً هو المطامع وهذه المطامع نبرىء منها الامة الانكليزية »

وشرب نخب المبادىء الديموقراطية. وترجم خطابه سعادة محمد محمود باشا

وخطب المستر ماكدونالد عضو حزب العمال المعروف والمستر جورج لانسبورى رئيس تحرير جريدة الدايلى هرالد فهنأ الوفد بوصوله الى لوندره وتمنيا لمصر الاستقلال

وارتجل سعد باشا خطبة أخرى ترجمها أحد المصريين الحاضرين

***

انتهت اللجنة الفرعية من عملها فى أول يوليه فعقد اجتماع يوم الجمعة ٢ منه ثم أرجىء الى يوم الاثنين ٥ يوليه. وفى هذا الاجتماع جرى البحث فى أمر الامتيازات الأجنبية ومركز انكلترا أمام الدول اذا قصرت الامتيازات على حدود ضيقة. وأعلن لورد ملنر فى هذه الجلسة انه قبل رأى الوفد في التمثيل الخارجي

وهكذا حلت عقدة من أصعب العقد التى اعترضت سير المفاوضات وكادت تؤدى الى قطعها

وقد كانت مسألة السودان من النقط الشائكة أيضا فقد ظهر من اللجنة انها لا تريد مناقشة ما في مركز السودان ولا ترضي بأمر يكون من شأنه المساس بحقوق انكلترا فيه فقد كانت تعد مسألته مستقلة مسواة بموجب اتفاقية سنة ١٨٩٩. واذا صح أن تجري مناقشة فانما فى تنفيذ نصوص الاتفاقية من حيث كون

السودان شركة بين مصر وبريطانيا

ولم يرض الوفد بحث مسألة السودان على هذه القاعدة حتى لا يؤول عمله بمثابة اعتراف بالاتفاقية المتقدمة التى لم تسلم بها الامة المصرية في أى وقت من الاوقات

مشروع ملنر الاول

فى جلسة ٥ يوليه التى أعلن فيها لورد ملنر قبول رأي الوفد فى مسألة التمثيل الخارجى قال اللورد أنهم أحاطوا فى مناقشاتهم بكل المسائل الرئيسية التى يمكن أن تبنى عليها معاهدة فى المستقبل وأنه يحسن فى هذه الحالة أن يدونوا مافهموه منها كل فريق فى مذكرة حتى اذا تم وضع المذكرتين تيسرت مقارنتهما ببعضهما بحيث يمكن اقرار النقط التى يجدون أن الاتفاق عليها قدتم فعلا . ويعودون الى المناقشة فيما يكون لايزال موضع اختلاف وأخذ كل فريق فى اعداد مذكرته وكان دولة رشدى باشا قدوصل الى لوندره فى ذلك الوقت وقابل عدلى باشا وسعد باشا ورجال الوفد واطلع منهم على سير المفاوضات وما وصلت اليه وقابل لورد ملنر

ومما يصح أن أذكره أن بعض الاعضاء الاحرار المناصرين للقضية المصرية أدبوا لسعد باشا مأدبة غداء فى البرلمان في ظهر ٧ يوليه وقد خطب معاليه فكرر القول بأن مطالب مصر لاتناقض المصالح البريطانية

وفى ١٣ يوليه جرى لمعاليه حديث مع جريدة المورننج بوست فى شأن المفاوضات ومطالب مصر

وفى يوم الجمعة ١٦ يوليه كانت لجنة ملنر قد انتهت من وضع

مذكرتها وفى مساء اليوم نفسـه قابل لورد ملنر عدلي باشا وأطلعه على المذكرة وذكر أنه يزمع تقديمها للوفد فى اليوم التالى ولكن معاليه أفهـم اللورد أن ما فيها لايحقق مطالب الامة المصرية ولا يرضيها وأبدى ملاحظات عديدة عليها فأعرب اللورد عن تقديره لملاحظات الباشا واستعداده للنظر فيالمرحلة الثالثة من المفاوضات

وفى الغداة قدمت المذكرة للوفد وهذه ترجمتها :

«نقط استوثق من تيسر الوصول الى اتفاق في شأنها مع الوفد المصري الموجود بلندره الآن

«استبدال الحالات الحاضرة بمعاهدة تحالف دائمي بين بريطانيا العظمى ومصر يشترط فيها ما يأتي : ـ

١ ـ تتعهد بريطانيا بضمان سلامة مصر واستقلالها كملكية (سلطنة) دستورية ذات أنظمة نيابية

٢ ـ وتتعهد مصر من جهتها بان لاتعقد اية معاهدة سياسـية مع دولة اخرى دون موافقة بريطانيا

٣ ـ نظراً للمسئولية التى أخذتها بريطانيا العظمى على عاتقها في البند السابق ونظراً لما لبريطانيا العظمى من المصلحة الخاصة في حماية المواصلات مع ممتلكاتها في الشرق والشرق الاقصى تمنح مصر بريطانيا حق ابقاء قوة عسكريةعلى الاراضى المصرية واستخدام الموانئ والطيارات المصرية لضمان الدفاع عن مصر وحماية مواصلات بريطانيا العظمى مع تلك الممتلكات. أما الموضع أو المواضع التى يعسكر فيها الجنود البريطانيون فتعين في الاتفاقية

٤ ـ توافق مصر على تعيين مستشـار مالى بالاتفاق مع حكومة جلالة

الملك تعهد اليه جميع السلطات التي لاعضاء صندوق الدين الآن لحماية حملة السندات المصرية. ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لكل امر آخر قد ترغب في استشارته فيه

٥ ـ تتعهد بريطانيا بتعضيد مصر فى تحرير نفسها من القيود التى تقيد حريتها فى التشريع والادارة بسبب الامتيازات والضمانات التى يتمتع بها الاجانب في مصر وفي اقامة نظام يكون من شأنه تطبيق القانون المصرى على المصريين والاجانب على حد سواء

٦ ـ نظراً لتخلى الدول الاجنبية عن الامتيازات الخاصة التى يتمتع بها رعاياها حتى الآن ولضرورة تأمين تلك الدول على ان حقوق الاجانب المشروعة ستحترم مع هذا فان مصر تمنح بريطانيا العظمى حق التداخل بواسطة معتمدها في مصر لوقف تنفيذ أي قانون بدعوى انه يخالف حقوق الاجانب المشروعة أو يخالف المتبع في البلاد المتمدنه

واذا ادعت الحكومة المصرية في حالة من الحالات ان حق التداخل هذا استخدم استخداما لا ينطبق على الفعل فيصح عرض الامر على عصبة الأمم

٧ ـ يبقى نظام المحاكم المختلطة أو أي نظام آخر مساو له يحل محله ويوسع بحيث يتناول القضايا الجنائية وجميع القضايا الأخرى التى تمس الاجانب في مصر

٨ ـ توافق مصر على تعيين موظف بريطانى في وزارة الحقانية بالاتفاق مع حكومة جلالة الملك يكون له مركز وسلطة كافيتين لتمكينه من ضمان تنفيذ القانون تنفيذاً عادلا فيما له مساس بالاجانب

٩ ـ ترضى حكومة جلالة الملك بان تأخذ على عاتقها تمثيل مصر فى أية مملكة لا يعين فيها معتمد مصرى ولكن مصر لا تعهد بتمثيلها على هذا النحو

الى أية دولة أخرى خلاف بريطانيا العظمى

١٠ ـ تعترف الحكومة المصرية بان لمركز المعتمد البريطانى فى مصر صبغة خاصة وانه بصفته ممثل دولة حليفة تكون له الاولوية على جميع المعتمدين الآخرين

١١ ـ يسوى مركز عدا من ذكر في المواد السابقة من الموظفين البريطانيين والاجانب باتفاقية خاصة تعقد بين الحكومتين البريطانية والمصرية تعد جزءاً من الاتفاق الذي يعقد بينهما »

مشروع الوفد

أرسل لورد ملنر مذكرته الاولى الى الوفد في ١٧ يوليه ـ وكان الوفد من جهته قد أتم وضع مذكرته فأرسلها الى لورد ملنر مصدرة بخطاب من سعد باشا وهذه ترجمة خطاب سعد باشا ومذكرة الوفد والاول مؤرخ ١٧ يوليه سنة ١٩٢٠ :

« أتشرف بأن ابلغكم نبأ استلام خطابكم المؤرخ ١٧ الجارى والمذكرة المرفقة به . وانى أبادر فاعرض على فخامتكم طي هذا مشروع اتفاق يحوي النقط التى جرت المناقشة في شأنها في أحاديثنا وهي النقط التى يلوح لي أنكم تقبلونها

« ونحن نعتقد انهذا المشروع بالصفة التي هو عليها من شأنهان يرضي الطرفين فعلى هذهالقواعد يمكننا أن نضع دعائم صداقة متينة وتعاون عماده الاخلاص بين الشعبين الانكليزى والمصرى

« ومن المتفق عليه بيننا ان النقط التى لم تبحث بعد تكون موضوع اتفاق يعقد فيما بعد

« ولي الثقة التامة بان أعمالنا التى توليتم رئاستها بتلك الكياسة يمكنان تنتهي قريبا بحيث يتيسر ليالسفر الى «شاتل» و«فيشي» قبل فصل الخريف للاستشفاء الذي لابد منه لصحتي على ما يظهر

« وتفضلوا ... الخ »

وهذه هى المذكرة :

أولا — تعترف بريطانيا العظمى باستقلال مصر وتنتهى الحماية التي أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر والاحتلال العسكرى البريطانى . وبهذا تسترد مصر كامل سيادتها الداخلية والخارجية . وتؤلف دولة ملكية ذات نظام دستوري

ثانيا — تسحب بريطانيا العظمى جنودها من الاراضي المصرية في مدة . . . . . . ابتداء من وقت نفاذ المعاهدة الحالية

ثالثا — تتعهد الحكومة المصرية بأنها عند استخدام حقها فى الاستغناء عن خدمات الموظفين الانكليز تعامل هؤلاء الموظفين المعاملة الممتازة التالية . فيما عدا الاقالة لبلوغ حد سن الخدمة أو عدم القدرة على العمل أو الاحكام التأديبية أو انتهاء مدة التعاقد أو الاستخدام يمنح الموظف الذي يقال من الخدمة تعويضا اضافيا مقداره مرتب شهر عن كل سنة من سنى خدمته . وتتناول هذه المعاملة الممتازة الموظفين الذين يتركون خدمة الحكومة المصرية من تلقاء أنفسهم في بحر سنة من نفاذ هذه المعاهدة

رابعا — لتخفيف وطأة نظام الامتيازات الى حين الغائها تقبل مصر أن تستخدم بريطانيا باسم الدول حقوق الامتيازات التي لهذه الدول الآن ويكون ذلك بالصفة التالية :

١ — تكون الاضافات والتعديلات في النظام القضائي

المختلط معلقه على موافقه بريطانيا العظمى

٢ — جميع القوانين الاخرى التي لا يمكن أن تسرى الآن على الاجانب المتمتعين بالامتيازات الا بعد موافقة الدول أو مداولة الجمعية التشريعية للمحكمة المختلطة أو جمعيتها العمومية تصير نافذة عليهم بموجب قرار (دكريتو) يسن لذلك . الا اذا عارضت الحكومة البريطانية في ذلك . وتبلغ هذه المعارضة لوزير الخارجية المصرية في مدة . . . . . من نشر القرار فى الجريدة الرسمية . ولا تكون المعارضة الا فيما يحتوى عليه القانون من أمور لا مثيل لها فى أى تشريع من تشريعات الدول المتمتعة بالامتيازات أو اذا كان القانون خاصا بضرائب . وكان فى هذه الضرائب اجحاف بالاجانب دون الوطنيين

وفي حالة اختلاف الحكومتين على أحقية هذه المعارضة يكون لمصر أن تعرض المسألة على جمعية الامم للبت فيها

خامسا — فى حالة الغاء محاكم القنصليات واحالة النظر فى الجرائم والجنح التي يرتكبها الاجانب الى المحاكم المختلطة توافق مصر على تعيين أحد رجال القضاء البريطانيين فى مركز النائب العام لدى المحاكم المختلطة

سادساً — تقر الحكومة البريطانية بأنها على استعداد لان تنظر مع الحكومة المصرية بعد مضى ١٥ سنة فى مسألة ابطال تقييد سيادة

الحكومة المصرية الداخلية الناشىء عن الامتيازات التشريعية والقضائية التي للاجانب

وتحفظ مصر لنفسها الحق عند الاقتضا في عرض هذه المسألة على جمعية الامم بعد مضى المدة المتقدمة

سابعاً — في حالة الغاء قومسيون الدين العمومي تعين مصر موظفا ساميا تقترحه بريطانيا العظمى وتكون له الاختصاصات الحالية التي لقومسيون الدين

ويكون الموظف السامي المذكور تحت تصرف الحكومة المصرية لكل الاستشارات أو المهمات التي ترى تكليفه بها في المسائل المالية

ثامنا — للحكومة البريطانية اذا رأت ضرورة أن تنشىء على نفقاتها نقطة عسكرية على الضفة الاسيوية لقناة السويس للاشتراك في دفع أي اعتداء أجنبي يحتمل حدوثه على القناة

وتعين حدود منطقة هذه النقطة فيما بعد بواسطة لجنة من خبراء حربيين يعين كل فريق نصفهم

ومن المتفق عليه أن اقامة هذه النقطة لا يعطى بريطانيا العظمى أي حق للتداخل في شئون مصر ولا يمكن أن يمس باية حالة من الحالات حقوق السيادة التي لمصر على المنطقة المذكورة التي تبقى خاضعة لسلطة مصر محكومة بقوانينها . كما أن اقامة النقطة لا يقيد

السلطات التي اعترف بها لمصر بموجب اتفاقية الاستانة المعقودة في سنة ١٨٨٨ خاصة بحرية الملاحة في قناة السويس

وبعد مضي عشر سنوات من تاريخ سريان المعاهدة الحالية يفحص الطرفان المتعاقدان مسألة ما اذا كان بقاء تلك النقطة لم يصبح لا ضرورة له وما اذا كان يصح أن يترك لمصر وحدها تولى حماية القناة . وفي حالة الاختلاف تعرض المسألة على جمعية الامم

تاسعا — في حالة ما اذا لم تجد مصر . التي لها الحق المطلق في تعيين سفراء لها . ضرورة لتعيين ممثل سياسي مصري في أي بلد من البلاد فانها تعهد بالمصالح المصرية في هذا البلد الى ممثل بريطانيا العظمى الذي يتبع تعليمات وزير الخارجية المصرية

عاشرا — يعقد الطرفان المتعاقدان بالعقد الحالي محالفة دفاعية للغايات التالية : —

١ — تتعهد بريطانيا العظمى بالمساعدة على الدفاع عن الاراضي المصرية ضد كل اعتداء تقوم به دولة أجنبية

٢ — في حالة وقوع اعتداء من دولة أوروبية على الامبراطورية البريطانية تتعهد مصر ولو لم تكن سلامة أرضها مهددة مباشرة بان تقدم لبريطانيا العظمى في أرضها كل تسهيلات المواصلات والنقل لحاجاتها الحربية . ويحدد اتفاق خاص طرق هذه المساعدة

حادي عشر — تتعهد مصر أيضا بان لا تعقد أية معاهدة

تحالف مع دولة أخرى دون اتفاق سابق مع بريطانيا العظمى

ثانى عشر ـ هذه المحالفة معقودة لمدة ثلاثين عاما يمكن للطرفين المتعاقدين بعد انتهائها النظر فى أمر تجديدها

ثالث عشر ـ تكون مسألة السودان موضوع اتفاق خاص

رابع عشر ـ جميع النصوص المخالفة للبنود الحالية والواردة في جميع المعاهدات الاخرى خاصة بمصر تعتبر لاغية وكأنها لم تكن

خامس عشر ـ تودع المعاهدة الحالية فى سكرتارية جمعية الامم لتسجيلها بها . وتقر الحكومة البريطانية من الآن بأنها توافق فيما يختص بها على دخول مصر جمعية الامم كدولة حرة مستقلة

سادس عشر ـ تصير المعاهدة الحالية سارية المفعول بمجرد تبادل عقود ابرامها بين الطرفين المتعاقدين

ويكون ابرامها فيما يختص بمصر على أثر المصادقة عليها بواسطه جمعيه أهلية تعقد للاقتراع على الدستور المصرى الجديد

وساطة عدلى باشا

المرحلة الثانية

تبادل الفريقان مذكرتيهما وبذا انتهت المرحلة الاولى من المفاوضات وكان المفروض أن تبدأ المرحلة الثانية بعد دراستهما ولكن ظهر أن البون بينهما لايزال شاسعا . وأن من المتعذر التوفيق بين آراء متناقضة كثيراً . فالوفد من جهته أبى قبول مذكرة ملنر أساسا لاستئناف مفاوضات يتصد بها وضع قواعد المعاهدة بين مصر وانكلترا

وعد زملاء لورد ملنر مذكرة الوفد جارحة فى شكلها وفي بعض بنودها وكان رأيهم أنه لايمكن قبولها باى حال من الاحوال. وكتب اللورد الى سعد باشا خطابا بهذا المعنى. وكان يقال أن هذه الشروط عليها عدو لانكلترا حاربها فأغرق أساطيلها ومزق جيوشها واحتل بلادها وجاء يملى عليها شروطه فى عاصمة ملكها

وظن أن الباب أقفل أو كاد وأن كل أمل فى الاتفاق ضاع ولكن عدلى باشا تمكن بوساطته وحكمته من حمل لورد ملنر على اعادة النظر فى مشروعه وفي ضرورة تغييره بحيث ينطبق على مطالب المصريين مادام الانكليز يريدون فعلا التسليم لهم بحقوقهم

وجرت المفاوضات التالية بين الوفد واللجنة بصفة غير مباشرة

أى بواسطة عدلى باشا . فكان يتناول كل نقطة من نقط مشروع الاتفاق ويناقشها مع اللورد . وكان فى كل مناقشاته لايخرج عما اتفق عليه مع سعد باشا وزملائه

وكان المظنون أن تنتهى المرحلة الثانية من المفاوضات فى الاسبوع الاول من شهر أغسطس ولكن العقبات التى كانت تطرأ لاختلاف النظر أو التقدير كانت تحتم ارجاءها

وأخيراً زار لورد ملنر عدلى باشا فى ١٧ أغسطس وقدم له مذكرته المشهورة المؤرخة ١٨ أغسطس ورجاه أن يسلمها للوفد

وقد أبدى معاليه للورد ملاحظات فى شأنها وبينها خلوها من ذكر السودان وأفهمه أن هذه مسألة حيوية لمصر فارسل اللورد لعدلى باشا الخطاب التالى :

« ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠

« عزيزى الباشا

« بخصوص الحديث الذى جرى بيننا أمس أعود فأقول مرة أخرى انه ليس بين أجزاء المذكرة التى انا مرسلها اليك الآن جزء يقصد تطبيقه على السودان كما هو ظاهر من المذكرة نفسها ولكني أرى اجتنابا لكل خطأ وسوء فهم في المستقبل انه يحسن بنا أن ندون رأي اللجنة وهو أن موضوع السودان الذى لم نتناقش فيه قط نحن وزغلول باشا وأصحابه خارج بالكلية عن دائرة الاتفاق المقصود لمصر فان البلدين يختلفان اختلافاً عظيما في أحوالهما ونحن نرى ان البحث في كل منهما يجب ان يكون على وجه مختلف عن وجه البحث في الآخر



محمود أبو النصر بك

« ان السودان تقدم تقدما عظيما تحت ادارته الحالية المؤسسة على مواد اتفاق سنة ١٨٩٩ فيجب والحالة هذه ان لا يسمح لاى تغيير يحصل في حالة مصر السياسية ان يوقع الاضطراب في توسيع نطاق تقدم السودان وترقيه على نظام انتج مثل هذه النتائج الحسنة

« على اننا ندرك من الجهة الاخرى ان لمصر مصلحة حيوية في ايراد الماء الذي يصل اليهـا ماراً في السودان ونحن عازمون ان نقترح اقتراحات من شأنها ان تزيل هم مصر وقلقها من جهة كفاية ذلك الايراد لحاجاتها الحالية والمستقبلة »

(ملنر)

واننا نأتي هنا على مـذكرة ١٨ أغسطس ولو أنها نشرت في الصحف مرات حتى يتيسر للقراء مقارنتها بمشروع اللجنة الأول ومشروع الوفد وهي :

مذكرة ملنر ومقدمتها المؤرخة في ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠

« ان المذكرة المرسلة مع هذا هي نتيجة المحادثات التي دارت بلندن في شهري يونيه وأغسطس سنة ١٩٢٠ بين اللورد ملنر وأعضاء اللجنة الخصوصية المنتدبة لمصر و بين زغلول باشا وأعضاء الوفد المصرى وقد اشترك عدلي باشا في تلك المفاوضات ايضا وهي عبارة عن رسم سياسة يقصد بها تسوية المسألة المصرية على أحسن وجه لمصلحة بريطانيا العظمى ومصلحة مصر كلتيهما

« فأعضاء اللجنة مستعدون لان يشيروا على الحكومة البريطانية بقبول السياسة المبينة في هذه المذكرة اذا اقتنعوا ان زغلول باشا وأعضاء الوفد مستعدون ايضا للدفاع عنها والترغيب فيها وأنهم يستعملوا كل نفوذهم ليحصلوا على مصادقة جمعية وطنية مصرية على عقد معاهدة كالمعاهدة المبنية في المادتين ٣ و ٤ »

« وواضح انه اذا كان الفريقان لا يتحدان قلبا على تأييد الخطة المقترحة هنا فاتباعها لا يصادف نجاحا »

الامضاء (ملنر)

مذكرة

١ ـ لكي يبني استقلال مصر على أساس متين دائم يلزم تحديد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تحديداً دقيقاً ويجب تعديل ما تتمتع به الدول ذوات الامتيازات في مصر من المزايا وأحوال الاعفاء وجعلها أقل ضرراً بصالح البلاد

٢ ـ ولا يمكن تحقيق هذين الغرضين بغير مفاوضات جديدة تحصل للغرض الأول بين ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية وآخرين معتمدين من الحكومة المصرية ومفاوضات تحصل للغرض الثاني بين الحكومة البريطانية وحكومات الدول ذوات الامتيازات وجميع هذه المفاوضات ترمي الى الوصول الى اتفاقات معينة على القواعد الآتية . ـ

٣ ـ أولاً ـ تعقد معاهدة بين مصر و بريطانيا العظمى تعترف بريطانيا العظمى بموجبها باستقلال مصر كدولة ملكية دستورية ذات هيئات نيابية وتمنح مصر بريطانيا العظمى الحقوق التى تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ولتمكينها من تقديم الضمانات التي يجب ان تعطى للدول الأجنبية لتحقيق تخلي تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات

ثانياً ـ تبرم بموجب هذه المعاهدة نفسها محالفة بين بريطانيا العظمى ومصر تتعهد بمقتضاها بريطانيا العظمى أن تعضد مصر في الدفاع عن سلامة أرضها وتتعهد مصر أنها في حالة الحرب حتى ولو لم يكن هناك مساس بسلامة أرضها تقدم داخل حدود بلادها كل المساعدة التي في وسعها الى بريطانيا العظمى ومن ضمنها استعمال مالها من الموانىء وميادين الطيران ووسائل المواصلات للاغراض الحربية

٤ ـ تشمل هذه المعاهدة أحكاما للاغراض الآتية . ـ

أولا . تتمتع مصر بحق التمثيل في البلاد الاجنبية وعند عدم وجود ممثل

مصرى معتمد من حكومته تعهد الحكومة المصرية بمصالحها الى الممثل البريطانى وتتعهد مصر بأن لا تتخذ في البلاد الاجنبية خطة لاتتفق مع المحالفة أو توجد صعوبات لبريطانيا العظمى وتتعهد كذلك بأن لا تعقد مع دولة أجنبية أى اتفاق ضار بالمصالح البريطانية

ثانيا . تمنح مصر بريطانيا العظمى حق ابقاء قوة عسكرية في الاراضى المصرية لحماية مواصلاتها الامبراطورية وتعين المعاهدة المكان الذى تعسكر فيه هذه القوة وتسوى ما تستتبعه من المسائل التى تحتاج الى التسوية ولا يعتبر وجود هذه القوة بأى وجه من الوجوه احتلالا عسكريا للبلاد كما أنه لا يمس حقوق حكومة مصر

ثالثا . تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية مستشارا يعهد اليه في الوقت عينه بالاختصاصات التي لصندوق الدين الآن ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته فى جميع المسائل الاخرى التى قد ترغب فى استشارته فيها

رابعا . تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفا في وزارة الحقانية يتمتع بحق الدخول على الوزير ويجب احاطته علما على الدوام بجميع المسائل المتعلقة بأدارة القضاء فيما له مساس بالاجانب ويكون أيضا تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في أى أمر مرتبط بحفظ الامن العام

خامسا . نظراً لما فى النية من نقل الحقوق التي تستعملها الى الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى فى التداخل بواسطة ممثليها فى مصر لمنع أن يطبق على الاجانب أى قانون مصرى يستدعى الآن موافقة الدول الاجنبية وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها أن لا تستعمل هذا الحق الا حيث يكون مفعول القانون جائراً على الاجانب

صيغة أخرى لهذه المادة

نظرا لما فى النية من نقل الحقوق التي تستعملها للآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى فى التداخل بواسطة ممثليها في مصر لتمنع أن ينفذ على الاجانب أي قانون مصري يستدعى الآن موافقة الدول الاجنبية وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها بان لا تستعمل هذا الحق الا فى حالة القوانين التي تتضمن تمييزا جائرا على الاجانب في مادة فرض الضرائب أو لا توافق مبادىء التشريع المشتركة بين جميع الدول ذوات الامتيازات .

سادسا . نظرا للعلاقات الخاصة التي تنشأ عن المحالفة بين بريطانيا العظمى ومصر يمنح الممثل البريطانى مركزا استثنائيا فى مصر و يخول حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين

سابعا . الضباط والموظفون الاداريون من بريطانيين وغيرهم من الاجانب الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية فى أى وقت خلال سنتين بعد العمل بالمعاهدة وتحدد المعاهدة المعاش أو التعويض الذى يمنح للموظفين الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة عما هو مخول لهم بمقتضى القانون الحالى

وفي حالة عدم استعمال الحق المخول بهذا الاتفاق تبقى أحكام التوظف الحالية بغير مساس

٥ ـ تعرض هذه المعاهدة على جمعية تنظيم ولكن لا يعمل بها الا بعد انفاذ الاتفاقات مع الدول الاجنبية على ابطال محاكمها القنصلية وانفاذ الاوامر العالية المعدلة لنظام المحاكم المختلطة

٦ ـ يعهد الى جمعية التنظيم وضع قانون نظامي جديد تسير حكومة مصر في المستقبل بمقتضى أحكامه ويتضمن هذا النظام أحكاما تقضى بجعل الوزراء مسئولين امام الهيئة التشريعية وتقضى أيضا بأطلاق الحرية الدينية لجميع الاشخاص و بالحماية الواجبة لحقوق الاجانب

٧ ـ تحصل التعديلات اللازم ادخالها على نظام الامتيازات باتفاقات تعقد بين بريطانيا العظمى والدول المختلفة ذوات الامتيازات وتقضى هذه الاتفاقات بابطال المحاكم القنصلية الاجنبية لكي يتيسر تعديل نظام المحاكم المختلطة وتوسيع اختصاصها وسريان التشريع الذى تسنه الهيئة التشريعية المصرية (ومنه التشريع الذي يفرض الضرائب) على جميع الاجانب في مصر

٨ ـ تنص هذه الاتفاقات على ان تنتقل الى الحكومة البريطانية الحقوق التى كانت تستعملها الحكومات الاجنبية المختلفة بمقتضى نظام الامتيازات وتشمل أيضا احكاما تقضى بما يأتى . ـ

أولا . لا يسوغ العمل على التمييز الجائر على رعايا أى دولة وافقت على ابطال محاكمها القنصلية ويتمتع هؤلاء الرعايا في مصر بنفس المعاملة التى يتمتع بها الرعايا البريطانيون

ثانيا . يؤسس قانون الجنسية المصرية على قاعدة النسب فيتمتع الاولاد الذين يولدون فى مصر لاجنبي بجنسية ابيهم ولا يحق اعتبارهم رعايا مصريين

ثالثا . تخول مصر موظفي قنصليات الدول الاجنبية نفس النظام الذي يتمتع به القناصل الاجانب في انكلترا

رابعا . المعاهدات والاتفاقات الحالية التى اشتركت مصر في التعاقد عليها في مسائل التجارة والملاحة ومنها اتفاقات البريد والتلغراف تبقى نافذة المفعول اما فى المسائل التي ينالها مساس من جراء ابطال المحاكم القنصلية

فتعمل مصر بالمعاهدات النافذة المفعول بين بريطانيا العظمى والدول الاجنبية صاحبة الشأن مثل معاهدات تسليم المجرمين وتسليم البحارة الفارين وكذلك المعاهدات التي لها صفة سياسية سواء كانت معقودة بين اطراف عدة أو بين طرفين مثال ذلك اتفاقات تحكيم والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب وذلك كله ريثما تعقد اتفاقات خاصة تكون مصر طرفا فيها .

خامسا . تضمن حرية ابقاء المدارس وتعليم لغة الدولة الاجنبية صاحبة الشأن على شرط ان تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه للقوانين السارية بوجه عام على المدارس الاوروبية بمصر

سادسا . تضمن أيضا حرية ابقاء أو انشاء معاهد دينية وخيرية كالمستشفيات الخ وتنص المعاهدات أيضا على التغييرات اللازمة في صندوق الدين وعلى ابعاد العنصر الدولى عن مجلس الصحة في الاسكندرية

٩ ـ التشريع الذى تستلزمه الاتفاقات السالفة الذكر بين بريطانيا والدول الاجنبية يعمل به بمقتضى مراسيم تصدرها الحكومة المصرية

وفي الوقت عينه يصدر مرسوم يقضى باعتبار جميع الاجراآت التشريعية والادارية والقضائية التي اتخذت بمقتضى الاحكام العرفية الصحيحة

١٠ ـ تقضى المراسيم العالية المعدلة لنظام المحاكم المختلطة بتخويل هذه المحاكم كل الاختصاص الذى كان مخولا الى الآن للمحاكم القنصلية والاجنبية ويترك اختصاص المحاكم الاهلية غير ممسوس

١١ ـ بعد العمل بالمعاهدة المشار اليها في البند الثالث تبلغ بريطانيا العظمى نصها الى الدول الاوروبية الاجنبية وتعضد الطلب الذى تقدمه مصر للدخول عضوا فى جمعية الامم

كيف قطعت المفاوضات

الى هذا الحد كان الشطر الثانى من المفاوضات قد انتهى . . وأخذ الوفد ينظر فيما يتبع . وكان بين الاعضاء شيء من الاختلاف فى تقدير مشروع ملنر فالبعض يرى فيه مزايا تجعله صالحا لان يكون أساسا للمفاوضات التالية وكان سعد باشا والبعض الآخر يقولون انه ليس الاستقلال التام الذى ننشده . وكان أصحاب الرأى الاول يقولون انهم يصح أن يفحصوا المشروع وينظروا فيما يصح المطالبة بتعديله منه ثم يستأنفوا المفاوضات على تلك القاعدة. ولكن أصحاب الرأى الثانى كانوا لا يتمشون الى هذا الحد فى النظر الى المشروع وأخيراً اقترح أن تترك الكلمة للامة . فتعرض عليها مذكرة ملنر لابداء رأيها فيها وما تقرره يجرى عليه الوفد . وقد كان بعض الاعضاء يعارض فى فكرة العرض أو الاستنارة خشية أن تؤدى الى انقسام في صفوف الامة وأخيراً تقرر إيفاد محمد محمود باشا ولطفى السيد بك والمكباتى بك وعلى ماهر بك الى مصر

وقد وصلوا الى مصر فى ٥ سبتمبر ولا حاجة الى سرد قصة الاستنارة . ولكن مما لا شك فيه انهم فسروا المشروع تفسيراً يحمل على اعتقاد انه يجيء بالاستقلال فعلا . غيران المطامع على سير

المفاوضات كان يلتمس لهم كثيراً من العذر في ذلك. فان المناقشات الشفوية التي جرت بين الوفد ولجنة ملنر كانت تحمل على تأويل المشروع على النحو الذي سمع منهم هنا فقد كانت المفاوضات تجرى في دائرة مرنة وبشكل غير معين محدود

ومثال ذلك انه لما جرت المناقشة في الاعتراف باستقلال مصر وطلب الوفد النص على إلغاء الحماية كان رد لورد ملنر يشعر بأن النص أمر ميسور وانه على أي حال لا فائدة منه ما دام هناك اعتراف بالاستقلال بل انه يكون بمثابة تحصيل الحاصل

ولما جرت المناقشة في أمر المستشار المالي وطلب قصر اختصاصه على اختصاص صندوق الدين كان جواب لورد ملنر يحمل على الطمأنينة الى ذلك

ولما جرت المناقشة في أمر الموظف البريطاني الذي يعين في وزارة الحقانية عارض الوفد في ذلك وطلب الاقتصار على أن يكون النائب العام للمحاكم المختلطة بريطانيا وأن يتولى اختصاص ذلك الموظف . فكان رد لورد ملنر أن هذا الامر غير مستحيل

وكذلك كان الحال في المناقشة التي جرت حول القوة العسكرية ولكن تحديد النقطة التي ترابط فيها وعددها وغير ذلك من المسائل المتعلقة بها تركت على أن تحدد باتفاق يكون جزءاً من صلب المعاهدة التي ستعقد ـ وغير ذلك

عادرجال الوفد الى باريس يحملون نتيجةالاستنارة فاخذالوفد في بحث كل شيء بحثا دقيقا وأخيراً وضعت تحفظات رؤى أنها اذا أجيبت حققت رغبةسواد الامة وتقرر باجماع آراء أعضاء الوفد أن لايستأنف الوفد المفاوضات الااذا أجيبت التحفظات

وعلى هذا الرأى سافر سعد باشاوعبدالعزيز بك فهمي ومصطفى النحاس بك وعلى ماهر بك الى لوندره كما سافر عدلي باشاوهناك جرى لهم اجتماع بلورد ملنر وبعض اعضاء لجنته وكانت هذه أول جلسةعقدت بعد استلام مذكرة اغسطس . فتكلم سعد باشا اجماليا مشيرا الى ماوصلوا اليه

وطلب من علي ماهر بك شرح ماحدث بمصرفتكلم باسهاب عما فهاوه من عرض المشروع والتفسير الذى فسروا به بنوده المختلفة وكيف كانت تجرى الاستشارة وفى النهاية ذكر لورد ملنر أنه يوافق على التفسير الذى فسر به الاربعة المشروع ويؤيده

ولما وصل الكلام الى التحفظات وعد بذكرها في تقريره وقال أن البحث في أمرها يجيء في المفاوضات الرسمية. فلما وجد أن الوفد موطد العزم على ضرورة إجابته اليهما قبل ابتداء أية مفاوضات أخرى أخذ يظهر صعوبة ذلك . فقال أن المناقشة في التحفظات ستؤدى بطبيعة الحال الى اعادةالبحث من البداية واضاعة وقت جديد : وانه يلقي أمامه معارضة كبرى ترى المشروع في

شكله الحالى تساهلا كبيراً تعتقد انه ضار بمصالح الامبراطورية . وان هناك أحزابا لا تريد التمشى فى منح مصر الاستقلال الى الحد الذى سار اليه فيصح ان يبدأ أولا باقناع كل اولئك المعارضين بقبول المشروع الحالى حتى اذا تم له ذلك تيسر الاستدراج الى البقية . وضرب لذلك بعض أمثلة لا حاجة لايرادها هنا

ولكن حجج اللورد لم تقنع الوفد بالتخلى عن نظريته وأخيراً قال اللورد انه يعد أن مهمة لجنته انتهت وذكر أنهم سيرفعون تقريرهم الى الحكومة بما وصلوا اليه وانه ليس فى وسعه والحالة هذه إجابة الوفد الى ما طلب وارجىء الاجتماع

واخيراً رأى سعد باشا وبقية زملائه استدعاء الباقين من أعضاء الوفد ليحضروا الاجتماع التالى الذى سيبت فيه بقطعها او استمرارها

وقد وصل الاعضاء الى لوندره وعقدت جلسة ثانية بين الوفد بكامل هيئته وبين لجنة ملنر فى ٩ نوفمبر

وقبل هذا الاجتماع قابل سعد باشا لورد ملنر مرتين وقابله عدلي باشا ثلاث مرات ولكن الجهود التى بذلت لحمل اللورد على قبول مطلب الوفد فشلت . وفى جلسة ٩ نوفمبر تلا لورد ملنر المذكرة التالية ذاكراً أنها تعرب عن رأى لجنته وهى :

« رأينا أنه يحسن ان تعقد هذه الجلسة قبل سفر الممثلين المصريين

لجلاء الحالة وترك مجال للتعاون على العمل بينهم وبين اللجنة في المستقبل

« ويظهر من الاخبار التي عاد بها الينا السادة الذين رجعوا من مصر اخيرا انها تدل على أن هناك جمهورا كبيراً يستحسن التسوية على القاعدة المبينة في مذكرة أغسطس ولكنهم قالوا أن في المذكرة نقطا يرغبون تعديلها وانهم يرغبون أيضاً في اضافة شروط جديدة قبلما يعدوننا بتأييدهم لنا من غير قيد ولا شرط واني في غنى عن الاسهاب في الكلام على هذه النقط اليوم لان أعضاء اللجنة مجمعون رأيا على ان لا فائدة من المناقشة في التفاصيل الآن

« والمذكرة لم تدع انها تتضمن غير تبيان المبادىء العامة التي يمكن ان يبنى الاتفاق عليها • وعلى كل حال لا يكون الاتفاق اذا قر القرار عليه الا نتيجة مفاوضات رسمية بين ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية والحكومة المصرية كما كنا نتوقع ذلك دائما . وفي تلك المفاوضات يمكن عرض النقط الجديدة التي قدمتموها على اثر زيارة بعضكم لمصر وغيرها من النقط التي يمكن ان يعرضها هذا الفريق أو ذاك ومن المستحيل والمكروه ايضاً أن تمنع الاقتراحات التي ليس فيها مناقضة واضحة لجوهر الاتفاق المبين في المذكرة التي تحتاج في حالتها الحاضرة الى توضيح واتفاق قبلما تحول الى معاهدة رسمية . ومن رأينا اننا اذا تعرضنا لهذه المناقشات من الان لانكون قد سهلنا حصول التسوية ولذلك يكون الاجدر بنا ان نجتنب الان ابداء أي رأي في النقط الجديدة التي عرضتموها اخيرا مع اننا نعتقد انه يمكن الوصول الى حل مرض بل لا بد من الوصول اليه حينما تدور المفاوضات القانونية

« والامر الذي يهمنا الان بعد أن بلغنا ما بلغناه هو التأثير في الرأي

العام هنا وفي مصر حتى يستحسن التسوية على المبادىء التي استحسناها نحن وانتم . واعظم من ذلك كله ان نغرس ونقوى بكل وسيلة ممكنة أواصر الصداقة والثقة المتبادلة التي ساعدت محادثاتنا هنا على ايجادها والتي يجب تعميمها بين الفريقين اذا شئنا أن تفضي مساعينا الى الغاية المطلوبة فأن ذلك كله أهم جداً من المناقشة في التفاصيل . أما فيما يختص بهذه البلاد فأننا نؤمل أن تقرير اللجنة الذى نحن مهتمون بانجازه بأسرع مايمكن يؤدى الى هذه الغاية . ومما يماثل ذلك في الاهمية أن تنتج مساعيكم في مصر نتيجة مثل هذه ونحن نعترف لكم شاكرين بعظم مافعلتموه من هذا القبيل حتى الان ولكن من البين انه لايزال هنالك معارضة يجب التغلب عليها وان في مصر اناسا كثيرين لم يتشربوا روح الاتفاق بل لا يزالون معادين لحسن التفاهم بين بريطانيا العظمى ومصر لسبب من الاسباب فهم يرتابون فى نيات هذه البلاد أو يدعون ذلك غير مدركين مقدار السخاء الذى تقابل به بريطانيا العظمى أماني الشعب المصري وانكم بتبديدكم سوء الظن وسوء التفاهم وغرسكم حسن الظن فى النفوس بدلهما تعملون ما لا يستطاع عمله بطريقة أخرى للوصول الى التسوية التي نرغب فيها كلانا أشد الرغبة »

***

وقد أجاب سعد باشا بأنه يود الوصول الى تسوية أيضاً ولكن مساعيه لاتجيء بفائدة تذكر اذا لم يتمكن من ادخال الطمأنينة على مواطنيه فيما يختص بالتحفظات لا سيما اذا لم يستطع أن يقول لهم أن بريطانيا الغت الحماية فعلا

وهكذا قطعت المفاوضات وعول الوفد على السفر الى باريس . وكان عدلى باشا قد زار لورد ملنر رجاء أن يتمكن من اقناعه وأطلع اخوانه رجال الوفد على ذلك . ورأى أن يبقى بعدهم لاعادة الكرة على اللورد متى جاء

يُرد له الزيارة

وفعلا ذهب اللورد لزيارته فأفهمه معاليه أن الوفد مصر على ضرورة قبول التحفظات وفي مقدمتها الغاء الحماية . وقال له انه لا يوجد مصرى يقبل استئناف المفاوضات بصفة رسمية أو غير رسمية مالم ينص صراحة على الغاء الحماية . وأن الأمة المصرية في كل جهادها الماضى لم تكن هازلة وانما كانت تريد الوصول الى تحقيق أمنيتها في الاستقلال والتخلص من الحماية . ولكن اللورد أصر على أن هذا يجيء فى المفاوضات الرسمية وانه لا يجد ما يحول دون تحققه فيها فان انكلترا تريد فعلا الوصول الى حل نهائى يرضى المصريين ويصون مصالح البريطانيين والاجانب

بعد قطع المفاوضات

الحوادث الاخيرة

تحاشيت فى هذا الكتاب دائما سرد شيء من الاختلافات التى كانت تقع فى الوفد لان هذه الاختلافات على تفاوتها تقع دائما فى كل هيئة مهما كان عددها وكان مبلغ اتفاق أعضائها أصلا فى المبدأ والمزاج والميول الخ الخ ولم أذكر الا الحوادث التى كان لها تأثير فعلى فى تكوين الوفد نفسه أو فى أعماله مباشرة

وقد كنت أود أن أختم كتابى عند حد انتهاء المفاوضات . وهو الحد الذى كنت فيه بأوروبا وتيسر لى استقاء كثير من معلوماتى فيه من مصادر متصلة بحركة المفاوضات وغيرها . ولكن حوادث جدت ذات صلة مباشرة بالمساعى المبذولة . وكنت أريد تحاشي الاشارة اليها لولا أنها أصبحت سرا ذائعا تتلقفه الافواه وتتناقله الالسن فى كل مجلس ومنتدى وقد كثرت فيها الاقوال على أنواع مختلفة وألوان متباينة طبقا لمشرب كل راو وغاية كل محدث مما أصبح يتحتم معه نشر الحقيقة

وقد كتبت الى بعض الذين كانوا بباريس من المختلطين بالوفد المتصلين بمعالى رئيسه وأعضائه استعلم منه عما حدث وأدى الى الاشاعات الخاصة بعدلى باشا وبعودة ستة من أعضاء الوفد . أقول



تمثال « نهضة مصر » قبل الانتهاء منه

ستة لان المكباتى بك غادر باريس مع زملائه فقصد ايطاليا لبعض أمور خاصة فى طريقه الى مصر

أما فيما يختص بعدلى باشا فيقول مكاتبي أنه ليس فى وسعه الجزم بكل ما يروى عن أسباب الخلاف الذى وقع فى وقت ما خاصاً بعدلى باشا لان القسم الاول منه وقع بلوندره ومكاتبي كان بباريس فى ذلك الحين

أما فى باريس فقد كان السبب فى ازدياد الفتور التلغراف الذى أرسله مراسل احدى الصحف ماسا بعدلى باشا فقد كان ارساله بعد سوء تفاهم قيل انه وقع بلوندره

وكان عدلى باشا قد بقى بلوندره أياما قلائل بعد سفر الوفد حاول فيها اقناع اللورد بضرورة قبول تحفظات الوفد لاسيما فيما يختص بالغاء الحماية . وأثناء وجوده بلوندره تلقى من بعض أصدقائه بمصر تلغرافا بما ورد من المراسل . فلما عاد الى باريس قصد الوفد واطلع سعد باشا على التلغراف فنفى معاليه العلم به

وحدث أيضا أن أرسل أحد أعضاء الوفد الى صديق له بمصر تلغرافا قال فيه ان عدلى باشا كان كارثة على الوفد

واطلع عدلي باشا محمد باشا محمود وحمد باشا والمكباتى بك على كنه تلغراف المراسل فاستاءوا جميعا وأرسلوا تلغرافات ثناء على وطنية عدلى باشا واخلاصه

واجتمع أكثر أعضاء الوفد وتشاوروا فى الامر ثم اجتمعوا بالرئيس وبسطوا لمعاليه رأيهم ثم اقترحوا عليه ارسال تلغراف الى مصر يقول فيه ان الوفد وان كان قد صرح بأنه لا يستأنف المفاوضات قبل التصريح بقبول التحفظات وفى مقدمتها الغاء الحماية الا أنه لا يمانع اذا ألف عدلى باشا « هيئة » رسمية واستأنف المفاوضات على قاعدة تحقيق التحفظات ولا يمتنع عن تأييده اذا تمكن من تحقيق التحفظات

والظاهر أن الاجتماع لم يؤد الى نتيجة واكتفى معالي رئيس الوفد بارسال التلغراف الذى قال فيه أن عدلى باشا لا يعمل عملا بغير اتفاق مع الوفد

هذا فيما يختص بعدلى باشا

أما فيما يختص بالاعضاء العائدين فيقول مكاتبي أن الوفد اجتمع فى ٣ يناير سنة ١٩٢١ وبحث فيما آل اليه الأمر . . .

. . . . . . وقال أونرجو الحصول على شيء منهم وخير ما نفعل الآن انما هو العودة الى مصر ولا تثريب على المجد المجتهد اذا لم يصل مادام قد قام بالواجب

وكان يؤيده في رأيه هذا سينوت بك وواصف غالى بك . وكان ماهر بك يسعى دائما للتوفيق . أما الباقون فكانوا يرون أنه لا مجال لكل هذا اليأس مادامت الحكومة البريطانية لم تقطع برفض

التحفظات . وانه يصح أن يترك الباب لهيئة يثقون بها للقيام بالمفاوضات الرسمية على قاعدة التحفظات ويقف الوفد موقف الرقيب عليها فلا يدخل المفاوضات عملا بالقرار الذى صدر باجماع الآراء من أنه لا مفاوضة الا بعد قبول التحفظات

وأخذ أصحاب هذا الرأي يدلون بحججهم الى الرئيس فطلب منهم أن يضعوا البرنامج الذى يرونه ويعرضوه عليه

وفي ٥ يناير جاؤه ببرنامج من شأنه أن يقف الوفد جانبا فلا يشترك في مفاوضات ولكن اذا تألفت هيئة يركن اليها برئاسة شخص يوثق به فيصح أن يترك له مجال التفاوض دون عرقلة عمله على شرط ان تعلن الهيئة عند تأليفها برنامجها وان تنال قبل بداية المفاوضات تحقيق التحفظ الخاص بالغاء الحماية وتعلن انها جادة فى الحصول على بقية التحفظات فاذا لم تنلها واستقالت كانت حجتها حجة حكومة على حكومة ويكون الوفد فى كل هذا رقيبا بعيدا عن المفاوضات الرسمية

فاخذ سعد باشا البيان وفي ٧ يناير أبى توقيعه وامتنع عن إصداره ولما قيل له أن الاغلبية وافقت عليه قال ان المسألة ليست مسألة أغلبية وانما مسألة توكيل فقال الاعضاء انه ليس فى العمل الذى يقترحونه أي خروج عن التوكيل ولكن الباشا أصر على رفض التوقيع

وفي ٧ يناير نفسه وصل الى الوفد خطاب من لورد ملنر قال فيه انه يستحيل على الحكومة الانكليزية الغاء الحماية قبل أن تعرف على أي وجه تضمن مصالحها

وعلم الاعضاء العائدون أن سعد باشا أعطى نجيب أفندى حديثاً لجريدة الاخبار قال فيه بابتداء المفاوضات متى وعدت الحكومة البريطانية بقبول التحفظات لاسيما الغاء الحماية. وانه أعطى من قبل مثل هذا الحديث لجريدة «الدايلي هرالد» التي تصدر بلوندره

ثم قيل لهم ان الدكتور حامد محمود الملحق بسكرتارية الوفد سافر الى انكلترا في ٨ يناير يطلب من المستر بلنت التوسط لدى لورد ملنر على قاعدة وعد بالغاء الحماية فادهشهم الامر

وكان أول ما عرف أولئك بالحديث الذى أعطى لنجيب أفندى بواسطة « المورننج بوست » إذ أرسل اليها مراسلها بالقاهرة ترجمته ذاكراً أن هذا تقهقر من الوطنيين الخ الخ فسألوا سعد باشا عنه وانتهى حديثهم معه بارسال الحديث الذى نشرته الاهرام بعد ذلك لمراسلها وفيه تصحيح لما يمكن أن يفهم من الحديث الاول

والظاهر أنهم استاءوا لان معالى الرئيس لم يطلعهم على مافعله فاحتجوا على ذلك وعولوا على السفر وحجز بعضهم أماكنهم فى البواخر ولكن وصل عبد الملك افندى حمزه واسماعيل افندى كامل وقاما ببعض مساعي لم تؤد الى نتيجة فقرر أى الستة بعد ذلك على السفر

ويوم سفرهم ذهبوا لزيارة الرئيس وأطلعوه على عزمهم وذكروا أنهم سيوافونه بحالة الشعور فى مصر وميول الاهالى فقال لهم أنه ترد له معلومات كافية عن ذلك

فهرست الكتاب